

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

قسم العلوم الإجتماعية

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

شعبة علم الاجتماع

أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع موسومة

## قراءة في تمثلات أسماء الله الحسنى في القرآن

إشراف الأستاذ الدكتور: رشيد بن مالك

إعداد الطالب: زرقة لطفي هشام

### أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د شايف عكاشة
مناقشا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	أ.د شريفي عبد الواحد
مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د بشير محمد
مناقشا	جامعة وهران	أستاذ التعليم العالي	أ.د زاوي حسين
مناقشا	جامعة وهران	أستاذ محاضر (أ)	د. بن عيسى عبد الحليم

السنة الجامعية 2013 - 2014

قال الشافعي رضي الله عنه:

" جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة، وجميع السنة شرح  
للقرآن، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى، وصفاته  
العليا "

(الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص 6)

إهداء

إلى سيدي رسول الله

## الشكر والعرفان

يطيب لنا أن نتقدم بآيات الشكر والعرفان للمشرف على هذا العمل الأستاذ

الدكتور رشيد بن مالك على عظيم نصحه وسراره رأيه

كما أشكر جزيل الشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة على تكبرهم

عناء قراءة هذه الرسالة

# الفهرس العام

01	.....مقدمة عامة
11	.....الباب الأول
13	.....الفصل الأول: إشكالات حول طبيعة النص
34	.....الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة
51	.....الفصل الثالث: القرآن والمعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة
68	.....الباب الثاني
70	.....الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع الأسماء
106	.....الفصل الثاني: اسم "العلم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية
159	.....الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

مقدمة عامة

عنوان بحثنا الموسوم "قراءة في تمثيلات أسماء الله الحسنى في القرآن" ينهض أساسا على قراءة معمّقة للنص القرآني الذي يعدّ النصّ الأوّل المؤسس لثقافتنا الإسلامية. لقد أثار، ولا يزال يثير، أهم الإشكالات التي شغلت قضايانا، يومية منها والمصيرية. ورغم تغير الأزمنة وتجدد السياقات التاريخية تظل محاولات التجديد الأصيلة في واقعنا تحرك قراءات جديدة لهذا النصّ، وتحاول استضافته في سبيل استجلاء حيثيات اللحظات التاريخية التي نعيشها، واستلهام رؤية واضحة من منطلقاته. إن تفاعل القارئ مع هذا الكتاب هو بمثابة عود متكرّر لا ينتهي، عود أساسه المتين صونه من التلاعبات والقراءات المضلّلة التي لا تنهض على قراءة تأخذ في الحسبان الآليات المنهجية المؤسسة على رؤية علمية واضحة، وتولي أهمية للنص القرآني باعتباره نصّا مغايرا ومختلفا اختلافا جذريا عن النصوص العادية.

من هذه المنطلقات، فإننا نلاحظ أنّ الأمر مغاير تماما عند الحديث عن القرآن في الثقافة والمعرفة الغربية، إنّ نصّ "الآخر" الذي يعرفنا بذاته الثقافية ولكنّه في نفس الوقت نصّ مماثل لنصوص الأنا الغربية المؤسسة لرؤيته، شأنه في ذلك شأن الإلياذة أو التوراة والإنجيل. لقد أضحي العمل على هذا النصّ منبثقا عن الأسئلة التي سبق وأن أثار بها الغرب نصوصه المؤسسة لثقافته وأفضى به الأمر إلى إعادة إنتاج الرؤية نفسها التي نجدّها في الدّراسات الدينية المتعلقة بالتوراة والإنجيل. إن علاقة المعرفة الغربية مع هكذا نص هي علاقة مع موضوع و فقط فلا مجال للظنّ، عند الإنسان الغربي، أن يصبح

القرآن مصدر إجابة عن الإشكالات الوجودية التي يواجهها. إنها علاقة مع واقعة نصية تعرف تارة بأثما أدبية وتارة أخرى بأثما سرد تاريخي لوقائع غابرة.

وعلى هذا الأساس، فإن عمل هذه الرسالة يسلم بخصوصية القرآن سواء تعلق الأمر بمصدره أو طريقة نظمه، ويذهب في بحث طبيعة هذا الاستثناء السردى. إن القرآن استعمال إلهي للغة، في تعبيره عن العالم يحقق نظاما دلاليا يعبر عن العالم بالكيفية الأصدق مع فارق الوجودين في الطبيعة وتماثلهما في المنطق والنظام. إن هذا النظام النصي يشبه نظام العالم من جهة أن كل وقائعه اللغوية دالة بطريقة دقيقة مثلما أن أشياء العالم كلها تنتظم بشكل لا متناهي الدقة والصرامة.

إن السؤال الأكثر إلحاحا يتمثل في طبيعة الرسالة التي يوجهها القرآن، في المحطات الراهنة للحضارة الغربية، ويمثل أيضا في الطريقة التي تتعاطى بها معه العقلانية الآنية بكلّ رواسبها وتكلساتها. لقد استلهمنا الإجابات الأولية على هذه الأسئلة من الملامح العامة لرؤية معرفية رافقتها قناعة عقائدية تقرّ بوجود نظرة للعالم (Vision du monde) في النص القرآني تبدو لنا أعمق، في بعض جوانبها، من النماذج التي اطلعنا عليها. ويكفي ملامسة بعض سمات هذه الرؤية أن نغيّر زاوية تطرّقنا لموضوعات القرآن، فعوض مثلا أن نكتفي في موضوع التوحيد بالتأكيد على توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية واجتزار مسائل طال الحديث فيها، يمكن لنا أن ننظر إلى التوحيد من جهة أن التعدد الحاصل في مخلوقات الوجود راجع كلّ إلى مصدر خلق واحد، ونحاول تعقل ما دلالة أن يرجع التنوع والاختلاف إلى أصل واحد؟ هل ثمة اشتراك ما بين الموجودات في منطق وجودها؟ ما دلالة المماثلات التي يقيمها القرآن بين أشياء تنتمي لمراتب وجودية مختلفة؟ وهكذا.



وينبغي أن نشير في هذا السياق إلى أننا حاولنا قدر الإمكان أن نستبعد كل ما من شأنه إزاحتنا عن المواقع المنهجية التي بدت لنا متماسكة للتصدي لموضوع بحثنا واطهار الطابع العلمي من بداية البحث إلى نهايته. إننا لا نقصد في هذا الوقوف على الحقائق المطلقة، وإنما نعني بذلك أننا سننتهي إلى بعض النتائج العلمية الصادرة أساساً عن منطق تبيناه في مناقشة بعض القضايا الدلالية التي لها صلة بموضوع بحثنا، وربطها بالسياقات النصية التي ترد فيها.

من هذا المنطلق، وفي نفس هذا المسار جاء اشتغالنا على موضوع "أسماء الله الحسنى في القرآن"، ولئن كان هذا الاشتغال ينهض على قراءة السرد القرآني وتبعه، فإنه أدى بنا إلى تقييد ملاحظة في غاية الأهمية تتمثل في الوقوف على جانب منه يمكن تسميته بنموذج "لغة-وجود" الذي يتشكّل من مجموع المفردات المنتهية في الأصل إلى حقل الاستعمالات اللغوية، التي تتميز في الاستعمال القرآني بثناء دلالي لافت يتداخل فيه عالم اللغة بعالم الموجودات، و تأخذ مفردات مثل "قول" "كلمة" "اسم" "آية" "كتاب" معاني مختلفة عما استعملت له أصلاً، فالقول يصبح فعلاً خلاقاً "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون"<sup>(1)</sup> والكلمة غير بعيدة عن ذلك "وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا"<sup>(2)</sup> وحيث صار "الكتاب" توظيفا قرآنياً معقداً قد يستعمل للدلالة على أشياء العالم في إحدى مراتب وجودها. أمّا مفردة "اسم" فإنها تعدّ ذات حمولة دلالية<sup>(3)</sup> خاصة قد

1- القرآن الكريم، "سورة النحل"، الآية 40.

2- المصدر نفسه، "سورة الأنعام"، الآية 115.

3- يقول غريماس في تعريفه لها بأنها "مجموعة الاستثمارات الدلالية الكفيلة بأن توزع، في أثناء تحققها في اللغة الطبيعية، على مختلف العناصر المشكلة للملفوظ"، J. Greimas, J. Courtés, Dictionnaire de la théorie du langage, Hachette, Paris 1979, P36

نعتبرها مقولة مفتاحية لمنهجية القرآن الكريم سواء عند حديثه عن الذات الإلهية في التعريف بها (مستوى ما ورائي) أو عند الحديث عن منهجية التفكير في العالم.

وقد لاحظنا في أثناء اطلاعنا على بعض الكتابات التراثية أن موضوع "الأسماء" يعدّ أحد مباحث العقيدة الإسلامية الذي أُلّف فيه العديد من أقطاب المعرفة الإسلامية أمثال الغزالي في كتابه "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى" والقرطبي "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" وصفاته "والبيهقي "الأسماء والصفات" وغيرهم، ولهذا الاعتبار عمدنا في بحثنا إلى الاطلاع على هذه الأعمال ومحاولة الاستفادة منها وقراءتها قراءة نقدية سائلة، قادتنا إلى أن التفكير في موضوع الأسماء تمّ من خلال آليات إنتاج للمعرفة صادرة أساسا عن النظرة الإيبستيمية السائدة في تلك الحقبة. وما يمكن ملاحظته على هذا المبحث تعامله مع موضوع الأسماء من منطلق مقولات منهجية ضمنية تتمثل من جهة، في دراسة الأسماء خارج سياقاتها النصية ومن جهة أخرى، في النظر إلى كل اسم على أنه وحدة منفصلة يتم تعريفها و تحليلها بقطع النظر عن علاقاتها بالأسماء الأخرى، فهذه الكتب تخصّص لكل اسم بابا مستقلا يتم فيه التعريف به وشرحه. ونظرا للأهمية المنهجية التي تكتسبها هذه المسألة، فإننا سنخصّص لها مبحثا خاصا عنوانه "قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع الأسماء".

إن الإمساك بالدلالات الأساسية لأسماء الله الحسنى يشكّل مركز الثقل لهذا المبحث، وللإحاطة بها، فإننا سنستبعد الأحكام القيمية التي عادة ما تطلق دون التبرير المسبق لها. وللوصول إلى التجليات الدلالية للأسماء الحسنى سنعمل على بنائها من داخل النص، ومن منطلقات العلاقات التي تقيمها العناصر النصية فيما بينها. وضمن هذا الإطار المنهجي العام يتم طرح الأسئلة الآتية:

- كيف يمكن أن نحدّد منطق السرد القرآني في تعامله مع الأسماء الحسنى، وماهي الخلفية المنهجية التي تسمح لنا بفهمه؟

- ما هو السبيل للإمساك بالمضمون الدلالي للاسم في القرآن الكريم؟ كيف يمكن استخراجِه وبناءه من خلال الاستعمالات النصية المختلفة؟

- ماهي المعاني التي يمكن أن تضيفى على الارتباطات المنطقية والدلالية للأسماء عند تعلّقها ببعضها البعض في القرآن الكريم؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات فإننا صغنا بعض محاولات الإجابة وهي كما يأتي:

- إنّ منطق السرد القرآني منطق مركّب ودقيق يرقى في مكانته الاستيمولوجية إلى منطق وقائع العالم. من هذا المنطلق، حاولنا فهمه من خلال النظام الذي تحتكم إليه العلوم الدقيقة، والارتكاز في كل هذا على الإنجازات التي حقّقها التحليل السيميائي في بعده النظري والتطبيقي.

- نعتبر أسماء الله الحسنى عناصر نصية تنتظم داخل سياقات ورودها فهي تعريفات سياقية متنوّعة للذات الإلهية، وتضبط تجلّياتها الدلالية من خلال تحليل مجموع استعمالات الصيغ الصرفية التي تنتمي إلى مادّة نفس المفردة، وملاحظة العلاقات الدلالية الموجودة بينها والتي تشكّل حقلا سيميائيا مركّبا تعدّ نواته الصيغة الإسمية، والتي تنتظم حولها الصيغ الأخرى في الاستعمال القرآني.

- جنحنا إلى التفكير في هذه الأسماء من منطلق علائقي Relationel لاعتبارين أساسيين: أولهما أن الكلمة تحدّد بمحيطها وبالعلاقات التي تقيمها مع الكلمات الأخرى. ثانيهما: تحكم عددا كبيرا من الأسماء علاقات مجاورة (Relation de Contiguïté) نذكر على سبيل المثال "عليم-حكيم". إن استقراء مختلف استعمالات الأسماء في القرآن يؤدي إلى تصنيفها من خلال معيار كونها مرتبطة أو غير مرتبطة بغيرها من الأسماء. ولئن كنّا نقرّ بوجود ستة أنواع من الأسماء، فإن ما يعنينا منها هي تلك التي يمكن أن ترتبط ضمن استعمال زوجي، والتي تعد سمة غالبية في القرآن. إننا نفكر في هذا النوع من الأسماء باعتباره عنصرا داخل بنية زوجية تأخذ الشكل الآتي:

[موقع(1) - اسم (1) الرابط موقع(2) - اسم(2)]

قد يبدو هذا الشكل غامضا للوهلة الأولى، وسنعمد على تبسيطه وشرحه في أثناء التحليل (في المبحث الثالث من الباب الثاني والموسوم بـ العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها). إن عناصر البنية ثلاثة: الاسم والموقع والرابط، وقد يأخذ كلٌّ منها أشكالا مختلفة، فعدد الأسماء التي قد ترتبط ببعضها كبير وثمة موقعان وإمكانات الارتباط مختلفة. إن هذا التوجّه المنهجي يقودنا إلى اعتبار هذه العناصر متغيّرات (variables)، منها ما هو دلالي (الاسم) ومنها ما هو منطقي، وقد استدرجنا من حيث لا نشعر إلى الوقوف على العلاقات الممكنة التي تقوم بينها.

بناء على ما سبق، يتركز بحثنا على منطلقين منهجين أساسيين، أولاً: ليس القرآن كباقي موضوعات العلوم الإنسانية، ذلك أن المسار المنهجي الذي يأخذه بحثنا حتى وإن كنا نقرّ فيه سلفاً بالقيم الدلالية التي يحملها موضوع البحث في العلوم الإنسانية واستقلالية الباحث عن موضوع بحثه، فإنّ تعاملنا مع النصّ القرآني يقيّدنا بنصوص لا يمكن بأية حال من الأحوال الاستغناء عنها. من هذه الزاوية يكون تعاملنا مع هذا النصّ تعاملًا خاصًا مربوطًا بالنظام العقائدي الذي لا يمكن أن ينسلخ منه الباحث. إنّه موضوع ضمن تصوّر مركّب ومشروط وأهم ما يشتمل عليه هو الجدل القائم بين القرآن والمقاربات الممكنة التي تستضيف هذه النظرية أو تلك، لتثري التفكير في إشكالات وقضايا ينتجها النصّ ذاته.

ثانياً: سنولي أهمية في اشتغالنا على النصّ القرآني إلى الممارسة النصّية بوعي معاصر والتي لا تلغي الاستنجاد بنصوص غريبة عنه، إنّها تجيز لنا الارتكاز عليها لإضفاء مصداقية أكبر على التخرجات الدلالية التي ننتهي إليها. إنّنا ندرك إدراكاً تاماً أن سبيل الوصول إلى منطق دلالي محفوف بالمخاطر وملغّم، وسنأخذ كل الحيلة والحذر في تأويل أسماء الله الحسنى. إن الممارسة النصّية التي نتقيّد بها في أثناء التحليل فعل فينومينولوجي (Acte phénoménologique) تتحدّد من خلاله طبيعة المواضيع وعناصرها، والمنظور المنهجي لمسائلها. من جهة أخرى نحاول استغلال مختلف مناهج البحث النصّية التي تمكّنا من الاشتغال على النصّ القرآني بالارتكاز على المستويات النصّية والتصنيف والترتيب، والمقارنة والنمذجة وغيرها من الوسائل التي تساعد على إنتاج فهم مؤسس للنصّ وهذا على غرار ما تنجزه الدّراسات النصّية. فضلاً عن هذا، وفي سبيل الوقوف على إحصاء المفردات المستعملة في

النص القرآني من منطلقات الحقول المعجمية لأسماء الله وانعكاساتها على التأويل الدلالي، سنستعين ببعض الدراسات الحاسوبية والطرق الحديثة المعتمدة في الإحصاء، ولاريب أن هذا الإجراء الذي يتسم بقدر كبير من الفعالية كان، فيما مضى، يستحيل على المفسرين القيام به.

وفي سبيل استجلاء الأبعاد الدلالية لأسماء الله الحسنى، تعدّ هذه الطريقة الحدائثية في التعامل مع النص القرآني مغامرة صعبة لاعتبارات عديدة لعلّ أهمها قلة الدراسات التي تعنى بالتحليل السيميائي للنص التي تعدّ مقارنة حديثة العهد لا زالت تثير إشكالات كبيرة متصلة اتصالاً وثيقاً بالمصطلح وترجمته ترجمة تحتكم إلى الاشتغال على مفهومه في اللغة الأصل، والنظر في إمكانية استغلال الإجماع حوله. وفي حال تعدّر الترجمة فسنعمد إلى تعريبه وإلا سنكون مضطرين للرجوع إلى التراث وانتقاء ما نراه مناسباً من المصطلحات. إنّ من هذه الاعتبارات ما هو متّصل بترجمة الشواهد إذ لا يخفى على أحد الصعوبة التي يلقاها الباحث في ترجمة النصوص إلى العربية، ولتفادي الانزلاقات الدلالية عن النص المترجم سنقرأ الشواهد قراءة مستفيضة ومعتمّة ونربطها بالسياق العام للنص.

وسنشير في كلّ ذلك للمعاجم المتخصصة والمعاجم اللسانية والسيميائية. وينبغي أن نشير في هذا السياق إلى أنّ الاشتغال على تمثّلات أسماء الله الحسنى لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يتأتى عن الدرس الدلالي المعاصر ويندرج بدرجة كبيرة في صلبه إلا لقناعتنا المنهجية بأنّ التمثّلات التي ترسخ في الذهن بعد قراءتنا لأسماء الله الحسنى تكون ناجمة أساساً عن العلاقات التي تقيمها داخل النص القرآني.

وعلى أساس هذا التصوّر العام للبحث، وّزّعنا بحثنا على بايين أساسين يضم كل واحد منهما ثلاثة فصول.

في الجزء الأوّل منه حاولنا التفكير في القرآن عموماً كنصّ مختلف عن النصوص الأخرى واجتهدنا في تأمّل ماهيته، وعملنا على درسه، ليس فقط من خلال خصوصيته بالقياس إلى النصوص العادية، بل من منطلق معادلته، على المستوى المجازي، للنظام الذي يحتكم إليه العالم وقد استفدنا في كل ذلك من العقلانية العلمية الخاصّة بمواضيع الطبيعة لأجل توظيفها في دراسة موضوع "أسماء الله الحسنى". بعد ذلك قدّمنا بعض المعايير للعلاقة بين القرآن و المعرفة المعاصرة من وجهة نظرنا الخاصّة. من هذه الزاوية تتمثل الفصول الثلاثة لهذا الباب في العناوين الآتية:

الفصل الأوّل: إشكالات حول طبيعة النصّ

الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

الفصل الثالث: القرآن والمعرفة المعاصرة: ثنائية معقّدة وعلاقة مزدوجة

أمّا الباب الثاني فاستفتحناه بقراءة نقدية لعمل المتقدّمين من العلماء المسلمين على موضوع الأسماء حتى نأخذ فكرة واضحة عن طرق تعاملهم المنهجية معها. وانتقلنا بعد ذلك إلى الفصل الثاني لتقديم دراسة دلاليّة حول واحد من أهم الأسماء في الاستعمال القرآني وهو اسم الله "العليم". وقد أفضت بنا هذه الدّراسة إلى الفصل الثالث، فعالجنا فيه السمات المميّزة للأسماء والتي تتعالق مع بعضها البعض وترد في السرد القرآني على شكل أزواج إسميّة فاستنطقنا هذه الواقعة من حيث دلالاتها والقواعد التي قد تميّز استعمالها. من هذه الزاوية يتكوّن الباب الثاني من رسالتنا من الفصول التالية:

الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع الأسماء

الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها.



# الباب الأول

الفصل الأول: إشكالات حول طبيعة النص

الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة

مزدوجة

## تمهيد:

نهدف من خلال هذا القسم إلى وضع اللبنة الأولى للبحث التي ستمكّننا من الوقوف على التحليلات الدلالية لأسماء الله الحسنى. ولتحقيق ذلك سنسعى إلى دراسة بعض الإشكالات المتعلقة بالقرآن الكريم بوصفه نصًا مؤسسًا لثقافتنا، والتي تعدّ في بعض جوانبها محصّلة للتمثيلات التي ندرك، من خلالها وعبر اللجوء إلى طريقة تقنية مفصّلة، أسماء الله الحسنى ودلالاتها المحوريّة. يعدّ موضوع بحثنا "ميدانًا" بامتياز وبكلّ ما يحمله هذا المصطلح، الذي نعتبره في غاية الأهميّة، من ثراء وتعقيد، في الوقت نفسه، في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية. وعلى هذا الأساس إن مصطلح الميدان الذي أثار العديد من التساؤلات حول طبيعة النصّ، سيساعدنا على وضع مقاربة منهجيّة متماسكة تسمح لنا بقيادة قراءة معمّقة للنصّ تعمل على تجلية رؤية ايستمولوجيّة ومنهجيّة تؤسس لبعض مباحثنا على "الأسماء الحسنى" وتثير مسائل جديدة نصوغ لها بعض الإجابات في أثناء دراستنا.

مهّدنا في بداية هذا القسم بحديث عن بعض الإشكالات المعاصرة التي رافقت حقل الدّراسات القرآنية. حاولنا بقدر الإمكان أن نناقشها في عمومها، و انتقلنا بعد ذلك إلى دراسة قضيتين أساسيتين: (1) - حاولنا مراجعة الوعي اللغوي العام الذي أسّس لعمليات فهم القرآن على نحو ما نجدها في أمهات كتب التفسير. ارتكزنا على هذه المصادر التي نعتبرها أساسية في التفسير، لأنّ قراءتها شكّلت لدينا شبه قناعة بضرورة الشروع في تحديد ممارسة نقدية دقيقة والعمل على

الارتقاء بوعينا اللغوي النقدي إلى مستوى الإدراك الشامل الذي تشكّل عبر المسار الذي قطعه تاريخ المعرفة العلميّة من حيث الدقّة والنظام الذي سنتحرّاه في مواضيعه.

ولكلّ هذه الاعتبارات عمدنا إلى النظر في القرآن، ليس فقط كمقابل لنصوص أخرى كما عمل على ذلك البلاغيّون، وإتّما كمقابل للعالم، فخالق هذا العالم هو نفسه منزّل هذا الكتاب. إنّ لهذه الرّؤية تبعات كثيرة في العمل على مواضيع القرآن حاولنا إظهارها للقارئ في القسم الثاني من الأطروحة.

(2) - الأمور التي قصدنا إلى التفكير فيها متعلقة بمواضيع القرآن من وجهة نظر منهجية، أي ما يخص المكانة الإبستمولوجية له مقابل المعرفة الغربية: هل هو موضوع لها كما هي باقي الموضوعات الأخرى أم هو استثناء لذلك؟ وإذا كان الأمر كذلك ماهي الخصوصية المنهجية وما هي مقولاتها الملازمة لها عند العمل على القرآن؟ إنها قضية شائكة تتحدد ربما فيها المواقف بالموقع الذي نختاره لتحليلها. إن المسائل التي أثرناها متعلقة، بدرجة أولى، بالمعايير التي سنركز إليها في اختيار المقاربات المنهجية التي ستقود قراءتنا للنص القرآني وفي تحريتنا عن التحليلات الدلالية لتمثلات أسماء الله الحسنى. ومن خلال قراءتنا للمقاربات النصية في مختلف النظريات استقرّ تفكيرنا على ضرورة إدراج رؤيتنا المنهجية بطريقة منسجمة ومرنة، ضمن تحليل لا يجعل القارئ يشعر أن النظرية مقحمة إقحاما على النص. إن النظرية في هذا السياق ليست غاية في ذاتها، إنها وسيلة فقط لفضّ الاشكالات التي يطرحها النصّ القرآني.

# الفصل الأول

إشكالات حول طبيعة النص

## 1. المنطلقات العقائدية

لا يمكن أن تقدم دراسة وافية لتمثلات أسماء الله الحسنى في النص القرآني دون أن نبني تصورا عاما عن القرآن يستبعد كل ما من شأنه أن يدخلنا في تعريفاته المذهبية ويقحمنا في متاهات القضايا الخلافية حول علم الكلام. قفزنا على كل هذه المسائل وفضلنا الاعتماد على تعريف لقي إجماعا و أشار إليه محمد عابد الجابري في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم" "هو كلام الله سبحانه وتعالى، نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المكتوب في المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس"<sup>(1)</sup>

إن الحديث عن القرآن لا يتم على الطريقة التي يفكر بها الوعي الغربي في كتبه المؤسسة لثقافته، خاصة منها تلك المتعلقة بالدين ذلك أن "المستشرق الذي يرى مثلاً، أنه من "الطبيعي" أن تطرح، بالنسبة إلى القرآن، نفس الأسئلة الخاصة بمسألة الصحة والصدق التي سبق أن طرحت في القرون الأخيرة في أوروبا على نصوص التوراة والإنجيل، قد يكون محقا من زاوية خلفياته ومنطلقاته، التي تجد تبريرها في تطور الفكر الأوروبي، ولكن أسئلته تلك لن تحظى في الثقافة العربية الإسلامية بمثل القبول والاعتبار اللذين حظيت بهما في الثقافة الأوروبية، ولن يكون لها نفس الوقع ولا نفس النتائج. ذلك لأن التوراة لم يكتبها شخص واحد بل ساهم في تأليفها كتاب كثيرون (...). أولهم موسى عليه السلام الذي أوحى الله إليه بأن يكتب أول سفر للكتاب المقدس يدعى "التكوين" ثم واصل كتابته

1- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2006 ص17.

"بالوحي" أربعون كاتباً من جميع طبقات البشر، واستغرقت كتابته ألفاً وستمئة سنة أما "الإنجيل" فهو ليس كتاباً واحداً بل أربعة كتب، على الأقل، تروي ما حصله أصحابها من كلام السيد المسيح وسيرته... إلخ. أما القرآن فوضعه مختلف تماماً. فمن جهة لم يكتبه الشخص الذي أوحى إليه به، محمد صلى الله عليه وسلم، بل كان يتلقاه "قراءة" ويبلغه قراءة. ومع أنه قد اتخذ كتاباً يكتبون ما يقرأ عليهم منه فإن المرجع في مسألة حفظه من الضياع كان في الدرجة الأولى هم قراءه، أي الذين يحفظونه عن ظهر قلب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فمع أنه نزل منجماً، أي مقسماً على مدى يتراوح بين عشرين وثلاث وعشرين سنة، فإن هذه المدة هي جزء فقط من عمر جيل واحد، وبالتالي فقد بقي على قيد الحياة معظم الذين باشروا كتابته منذ البداية وكثير من الذين حفظوه في صدورهم منذ ابتداء نزوله إلى نهايته قبيل وفاة الرسول. وعندما جمع القرآن في المصحف الذي بين أيدينا اليوم، زمن الخليفة عثمان، تم ذلك بحضور كثير من الصحابة، كان في مقدمتهم عدد من كتاب الوحي وقراءه" (1).

إن المرتكز الأول لتفكيرنا في المضامين الدلالية التي يحملها القرآن ينهض أساساً على بعض المسلمات التي نسخرها في أثناء التحليل ونعني بهذا أننا نسلّم سلفاً بأن القرآن شكّل منذ نزوله حقيقة لا يمكن أن يتسرب إليها الشك قال تعالى " ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من

قبلك وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون"<sup>(1)</sup>. إننا نتبنى هنا المبدأ الفرضي الاستنباطي Hypothético-déductif الذي "يعبر عن عملية أو منهج تفكير يتمثل في بناء فرضيات عامة تسمح بإنتاج نتائج تنفي أو تؤكد الفرضية العامة ذاتها"<sup>(2)</sup>. إن لبنة التفكير الفرضي استنباطي وأساسه ما يصطلح الباحثون على تسميته بالأكسيوم Axiome باعتباره "القضية التي تنطلق منها البرهنة... وقد تكون صحيحة أو خاطئة"<sup>(3)</sup>. إن القرآن كتاب ليس كباقي الكتب لا في مصدره ولا في طبيعة نظمه، هو كتاب أنزله الله على الإنسان في ظروف لم يكن مسموحا فيها بتحريفه أو التلاعب بآياته أو الاتيان بشيء مثله. وعلى هذا الأساس فهو محفوظ من كل هذا في جميع الحقب التي يمر بها وفي جميع السياقات التاريخية "إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون..."<sup>(4)</sup>. أما تأويل مضامينه والتخریجات الدلالية التي يمكن أن ينتهي إليها الباحث، فإنها تختلف بحسب النظام الإبيستيمي لكل عصر. من هذه المنطلقات، فإن المبدأ العقدي يفرض على الباحث التأسيس للكثير من المسلمات الإبستمولوجية والفصل في عدد من الخيارات المتعلقة بها. إن هذا المبدأ يأتي معلنا وصریحا بخلاف مبدأ آخر قد يأتي معلنا حيناً ومضمرا أحيانا كثيرة، والمتمثل في اعتبار القرآن نصّاً تاريخيا أو أدبيا أو الاثنين معا، ومساواته بغيره من النصوص بحيث لا تختلف دراسته عن دراسة الرواية مثلا، ويفتح المجال للتحقيقات التاريخية حول النص وأصالته. إن العمل على القرآن بالطريقة التي يشتغل بها المستشرقون في حقل الدراسات الإسلامية L'Islamologie يعيد، لأمحالة، إنتاج نفس

1- القرآن الكريم، "سورة البقرة"، الآية 2.

2- Encyclopédie de la philosophie, La pochothèque, Librairie Générale Française, 2002, P 760.

3- Opcit, P126.

4- المصدر نفسه، "سورة الحجر"، الآية 9.

الرؤية التي نجدتها في الدراسات الدينية المتعلقة بالتوراة و الإنجيل ونعني بذلك الإسقاطات التاريخية نفسها المتداولة في التوراة والإنجيل على النص القرآني الذي يختلف عنها من حيث التماسك والوحدة ومن حيث بقاءه على النحو الذي نزل به. إن هذا الاختلاف القائم هو الذي يفرض تعاملًا خاصًا مع النص القرآني قلّمًا نلقاه في دراسات المستشرقين. إن التسليم بصحة القرآن ونزوله وحفظه ومصدره الإلهي يقودنا إلى الارتقاء بمستوى تطلعاتنا لما نتظره من هذا النص من إنتاج رؤية شاملة للعالم.

### 2- إشكالية تسمية النص

في أثناء حديثه عن مسميات القرآن يعنون الزركشي أحد أبواب كتابه "البرهان في علوم القرآن" بـ"معرفة أسمائه واشتقاقاتها" ويحصي عدد أسماء القرآن (55 اسمًا)، ويستشهد على كل اسم بآية ويعقب ذلك بتفسير مقتضب لدلالة كل تسمية، فيقول مثلاً في دلالة "كتاب" و"قرآن" ما يلي:

"فأما الكتاب؛ فهو مصدر كتب يكتب كتابة، وأصلها الجمع، وسميت الكتابة لجمعها الحروف؛ فاشتق الكتاب لذلك؛ لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة. ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً، قال الله تعالى: في كتاب مكنون، أي اللوح المحفوظ. والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب، خطوط موضوعة مجتمعة تدل على المعنى المقصود؛ وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شيء. وأما القرآن فقد اختلفوا فيه؛ فقليل: هو اسم غير مشتق من شيء؛ بل هو اسم خاص بكلام الله؛ وقيل مشتق من القرى وهو الجمع؛ ومنه قرية الماء في الحوض أي جمعته قاله الجوهري وغيره. وقال الراغب: لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن؛ ولعل مراده



بذلك في العرف والاستعمال لا أصل للغة. وقال الهروي: كل شيء جمعته فقد قرأته. قال أبو عبيد:  
سمى القرآن قرآنا، لأنه جمع السور بعضها إلى بعض. قال الراغب: سمي قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب  
المنزلة السابقة. وقيل: لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعان؛ كما قال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من  
شيء". وقال بعض المتأخرين: لا يكون القرآن و "قرأ" مادته بمعنى جمع، لقوله تعالى: "إنّ علينا جمعه  
وقرآنه" فغاير بينهما؛ وإنما مادته "قرأ" بمعنى أظهر وبيّن، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه، القرء: الدم،  
لظهوره وخروجه. والقرء: الوقت؛ فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر. وقيل: سمي قرآنا لأن القراءة عنه  
والتلاوة منه؛ وقد قرئت بعضها عن بعض... (1)

لنا أن نلاحظ في معرض حديثنا عن تسميات القرآن تعدّد هذه التسميات وتنوعها في  
الاستعمال القرآني، الشيء الذي يجعل محاولة تكوين رؤية منسجمة وعلائقية لهذه التسميات أمرا  
صعبا جدا. إن الإمام الزركشي عند ذكره لهذه التسميات لم يبحث لا في العلاقات الممكنة بينها،  
ولا في الفروق التي تميّز بين الاستعمالات المختلفة، يبقى فقط أن الاستفادة الأساسية التي يقدمها  
هذا الباب هي تعريف القرآن من داخله أي من مختلف الآيات المتحدثة عنه وليس تعريف هذه  
المدرسة أو ذاك المذهب.

من منطلقات رؤية تاريخية، يحاول محمد عابد الجابري رؤية تسميات القرآن ضمن صيرورة  
التنزيل في علاقتها بالسياق الذي وردت فيه، فأسماء القرآن بالنسبة إليه ترد بتتابع دال في إطار  
خطاب مضاد ضد أهم الفاعلين المكوّنين للبيئة التي نزل فيها. ينعت الجابري هذه الصيرورة بمسار

<sup>1</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الجيل بيروت، 1988، ص 276.

الكون والتكوين ومعنى ذلك أن تسميات القرآن جاءت متدرجة في استعمالها بداية<sup>(\*)</sup> من "ذكر" و "حديث" "فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا"<sup>(1)</sup> "أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا"<sup>(2)</sup>. ثم يأتي لفظ "قرآن" ليرد لأول مرة في سورة البروج، ورتبتها 27 حسب ترتيب النزول "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ"<sup>(3)</sup> وهو يرد ضد تكذيب قريش وإيذائها للنبي صلى الله عليه وسلم. وينتهي الاستعمال القرآني إلى لفظة "كتاب" "المص. كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتندر به وذكرى للمؤمنين"<sup>(4)</sup> إنه أكثر الكلمات بعد ذلك استعمالاً للتعبير عن النص الإلهي ويأتي في معرض الحديث عن أهل الكتاب وطبيعة العلاقة التي تربط الإسلام بما قبله من الديانات. تعد تسميات القرآن عند الجابري، بمثابة رموز لمراحل مختلفة من علاقة الإسلام بسياقاته. إن القرآن "بدأ ذكراً وحديثاً، ثم صار - إضافة إلى ذلك ، قرآناً تقوم طريقة تلاوته وترتيبه بتأثير ينقل موضوع الذكر والحديث إلى مشاهد صوتية منغمة، تقرر وجوداً يحمل معه برهانه... ومع انتشار الدعوة ونمو الجماعة الإسلامية في مكة، صار القرآن كتاباً كذلك، نقل العرب من أمة ليس لها كتاب (يقرر العقيدة والقيم) إلى أمة صار لها مثل هذا الكتاب"<sup>(5)</sup>

(\*) يعتمد تحليله، عند حديثه عن أسماء القرآن على 4 أسماء أساسية: الذكر - الحديث - القرآن - الكتاب.

1- القرآن الكريم، "سورة النجم"، الآية 29.  
2- المصدر نفسه، "سورة النجم"، الآيات 56-62.  
3- المصدر نفسه، "سورة البروج"، الآيات 19-22.  
4- المصدر نفسه، "سورة الأعراف"، الآيات 1-2.  
5- الجابري، نفس المرجع، ص 167.

لا شك أن النظر إلى تسميات القرآن من خلال علاقتها بالسياق التاريخي أمر مهم، ويتعين علينا النظر إليها كذلك باعتبارها مجموعة غنية من الاستعمالات النصية التي تنتظم ضمن البنية النصية في شموليتها. يخصص القرآن للمحاور الأساسية الموجودة فيه استعمالات مختلفة، ومتشابهة وثرية ينتظم من خلالها حقل دلالي معقد يصعب النظر إليه بطريقة منسجمة، فتسميات القرآن بتعددتها و ثراءها تشبه أسماء الله الحسنى التي بدورها ترد ضمن تعقيد بالغ وتأخذ أشكالا استعمالية مختلفة تتوزع على امتداد البنية العامة للقرآن وتفهم من خلالها. إن أهم كلمتين تعبران عن النص الإلهي هما "قرآن" و "كتاب" لا يعني هذا استبعاد الاستعمالات الأخرى وإنما مركزية الاستعمال حول هذين المصطلحين بالإضافة إلى أن التفكير في مجموع الاستعمالات يحتاج دراسة خاصة لها وحدها.

عند النظر في الاستعمالات الكلمتين في النص القرآني يظهر أنهما يعبران عن واقعتين نصيتين مختلفتين، فكثيرة هي الاختلافات الموجودة بين الكلمتين سواء في الصفات المتعلقة بها أو المواضيع المقترنة بها. إننا هنا ننطلق من مسلمة أن القرآن ليس الكتاب ونحاول في هذا البحث التفكير في المصطلحين من خلال عدد المحاور (Thèmes) التي تظهر من خلال استعمال كل منها في القرآن، وداخل كل محور نبحث عن أوجه الشبه والاختلاف بينهما. إن ثمة ثلاثة محاور أساسية مدار الاستعمالات المختلفة للكلمتين وهي كالآتي:

محور الدلالات الأصلية وما قد يظهر منها، ومحور حول مكوّناتهما كما يعرضها القرآن. ثالثا محاولة النظر في وظيفة كل مفردة منهما والمواصفات المميزة والفارقة بينهما.

## أ- المحور الأول: عود على الدلالات الأصلية

عند النظر في تعريفات الألفاظ التي يقدمها الراغب الأصفهاني مثلاً في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن" يمكن أن نميز في مادة كتب أو قرأ ثلاثة مستويات من الدلالة: أولها المستوى الحسي البعيد عن الدلالات المتداولة للكلمتين فأصل "كتب" "ضم أديم بالخياطة"<sup>(1)</sup> أما قرأ فتعبّر عن دخول في الحيض عن طهر و "لما كان جامعاً للأمرين الطهر و الحيض المتعقب له أطلق على كل واحد منهما"<sup>(2)</sup> ثانيها يعبر عن دلالات كذلك حسية مع فارق في الموضوع لكلا الكلمتين فأصبحت دلالة "كتب ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقرأ ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل"<sup>(3)</sup>. لنا أن نلاحظ هنا أن ثمة تغيراً لمواضيع الدلالة عن المستوى الأولى والحفاظ في نفس الوقت على طابعها الحسي الذي يرتبط في كلمة كتب بما هو مرئي وفي كلمة قرأ بما هو مسموع. في نفس الوقت تتقاطع الدالتان في فكرة الضم باعتبارها نوعاً من الصلة التي قد تأخذ معنيين مختلفين بحسب الموضوع الخاص بكل كلمة. أما فيما يخص المستوى الثالث لدلالة الكلمتين فهو مستوى ينفرد به الاستعمال القرآني عن غيره من الاستعمالات السائدة في اللغة العربية. إن الاستعمال القرآني يحافظ على المستوى الثاني المتداول للدلالة ويستعمله بكثرة، ولكن في الوقت نفسه يضيف لكل واحدة من الكلمتين استعمالاً أخرى فمادة كلمة قرأ يضاف لها استعمال مخصوص هو "قرآن" على غير ما عهدت العرب في استعمالاتها، ونفس الشيء نجده مع كلمة "كتب" فدلالته تأخذ

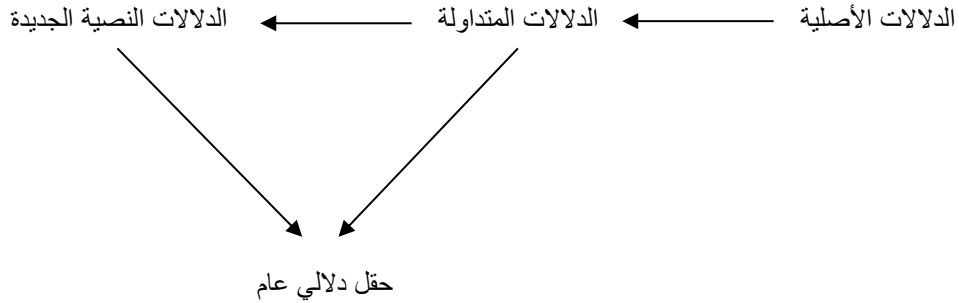
1- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن دار القلم، دمشق ص 699

2- نفس المرجع ص 668.

3- نفس المرجع ص 668.

أشكالا متعددة واستعمالات مختلفة فهي بمعنى الإثبات "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي"<sup>(1)</sup>. وكذلك بمعنى الوجوب والفرض "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس"<sup>(2)</sup>. إن كلمة "كتاب" مثلا تتعدد مدلولاتها بشكل لافت لتعبّر ليس فقط عن الدلالات السابقة الذكر وإنما كذلك عن مواضيع الطبيعة "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء"<sup>(3)</sup>.

بالإضافة إلى توسع نواة دلالة الكلمتين نجد أنها تندرجان ضمن حقل دلالي تقترنان فيه من جهة مع الكلمات التي تنتمي لنفس مادة الكلمة (الكتاب، أهل الكتاب، قرآن<sup>(\*)</sup>...) و من جهة ثانية مع الكلمات التي تنتمي لنفس الحقل الدلالي مثل تلاوة، تدبر، ترتيل فهي مصطلحات تتعلق بطريقة مباشرة، بالقرآن والكتاب ويمكن تلخيص مجمل ما قلناه بالمخطط الآتي:



1- القرآن الكريم، "سورة المجادلة"، الآية 21.

2- المصدر نفسه، "سورة المائدة"، الآية 54.

3- المصدر نفسه، "سورة الأنعام"، الآية 37.

(\*) كلمة قرآن كلمة جديدة لم تكن موجودة في الاستعمال العربي قبل التنزيل. هنا بالذات نشهد ليس فقط توسيع دلالة مادة الكلمة وإنما استحداث استعمال جديد.

## ب- المحور الثاني: واقعة البنية بين الكتاب والقرآن

تختلف بنية الكتاب عن بنية القرآن بشكل ظاهر من خلال التعريفات القرآنية لكل منهما. إن سورة البقرة تبدأ بالتأكيد على ضرورة التصديق بالنص القرآني و تقدم الآيات الأولى لسورة آل عمران تعريفاً بالكتاب " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه، آيات محمكات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات... " (1) يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية "أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه (متشابهات) مشتبهات محتملات (هن أم الكتاب) أي أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها" (2) كما تأتي الآية "الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني" (3) لتحديد، على العموم، طبيعة آيات الكتاب باعتبارها ليس فقط متشابهة وإنما كذلك لتبين نظاما معيناً لهذا التشابه "كتابا متشابها مثاني... " (4) بينما فيما يخص عملية تكوّن الكتاب فهي تتم من خلال مرحلتي الإحكام ثم التفصيل "كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" (5). إنّ هذا التفصيل يمكن أن يكون هو الآلية التي أنتجت المتشابه حسب ما يقتضيه تأمل الآيات السالفة الذكر. في مستوا مختلف، يتجه نحو تعريف حسي، يظهر لنا الاستعمال القرآني في تعريفه بالكتاب كونه "مسطورا وذلك في آيات ثلاث". أيا يكن الأمر، فالكتاب يعرف بطريقة مقصودة ولافتة خاصة في افتتاح عدد من السور. بخلاف ذلك يظهر " القرآن " غير واضح في تعريفه عدى المقابلة التي يحدثنا

1- القرآن الكريم، "سورة آل عمران"، الآية 6.

2- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل، انشارات أفنان تهران، المجلد 2 ص 412

3- القرآن الكريم، "سورة الزمر"، الآية 23.

4- المصدر نفسه، "سورة الزمر"، الآية .

5- المصدر نفسه، "سورة هود"، الآية 1.

عنها النص القرآني بين كونه مفرقا في نزوله ومجموعا بعد ذلك بمقابل طلب الكفار أن يتلقوه "جملة واحدة". أما الآيات الأخرى المتعلقة بالقرآن فمدارها حول وظيفته، أوصافه، وليس حول طبيعته ومكوناته. إن القرآن يرتبط بأفعال تحدد الديناميكية الدلالية الموجودة داخله من قبيل "تصريف الأمثال"، "ضرب الأمثال"، "القص" فهي أفعال لا نجد لها مقرونة بالكتاب، إنها تعبر عن العناصر المولدة لرؤية ما للأشياء. عند الحديث عن البنية يظهر القرآن كشيء أكثر مرونة إذا ما قورن بالكتاب فكأنما هو عملية بمقابل الكتاب كبنية .

### ج- المحور الثالث: الوظائف الدلالية للنص وأوصافه

عند النظر إلى الوظائف التي تنسب لكل من القرآن و الكتاب في النص نجد عددا منها مشتركا بين الاثنين أهمها وظيفتي الهداية والرحمة. أما بقية الوظائف الأخرى فهي مختلفة، فللقرآن وظائف خاصة متمثلة في البشرية للمؤمنين، الذكرى، شفاء كذلك للمؤمنين، وأخيرا وظيفة الإنذار. إن الوظائف الخاصة بالقرآن تأخذ إلى حد ما طابعا نفسيا متعلقا بالأثر المتوخى في نفسية المستمعين له. أما وظائف الكتاب فأهمها وظيفة البيان سواء تعلق الأمر باختلافات القائمة مع أهل الكتاب أو مطلقا " كل شيء" أضف إلى ذلك وظائف: " الحكم بين الناس" و إخراج الناس من الظلمات إلى النور التي تقترب من معنى الهداية وأخيرا وظيفة "الوعظ" التي تأخذ صبغة نفسية مثلما هو حال الوظائف الخاصة بالقرآن.

أما عند النظر في أوصاف كل من القرآن و الكتاب فإنّ أوّل ما يلفت نظرنا هو أنّهما يوصفان بعدد من الصفات التي نجدها كأسماء الله الحسنى مثل حكيم، عظيم، عزيز، بالإضافة إلى صفات أخرى غيرها، ومثلما رأينا في الوظائف سابقا فإن ثمة أسماء مشتركة وأخرى خاصة، فأما المشترك منها ف "حكيم" و "مبين" يوصف به كل من القرآن والكتاب معا وأما ما اختص منها بأحدهما دون الآخر فهي كمايلي:

القرآن: العظيم – الكريم – مجيد / الكتاب: عزيز – مبارك – منير – المستبين – حفيظ (في معرض الحديث عن الطبيعة). بالإضافة إلى تميز كل مفردة منها بعدد من الأوصاف، يمكن ملاحظة أن القرآن وحده الذي يوصف بكونه عربيا، ففي عدد من المواقع يتم التأكيد على هذه الصفة.

### 3. القرآن والنص الأدبي

منذ الفجر الأول للإسلام، اعتبر القرآن ككتاب معجز سواء من حيث المعاني التي يحملها أو من حيث الطريقة الفريدة في نظمه التي لا تشبه ما درجت عليه العرب في طرائق تعبيرهم من شعر ونثر وفي الآن ذاته تتجاوزها. وصار ينظر إلى القرآن من جانب جمالي، وقد يعتبره البعض، خاصة من المحدثين، نصا أدبيا. يمكن لنا في معرض حديثنا عن القرآن والأدب أن نفرق في الاتجاهات الحديثة لدراسة القرآن بين رؤيتين مختلفتين: الأولى ترى أن أحد جوانب الدراسة في القرآن بعده الجمالي على شاكلة ما يفعل سيد قطب في "التصوير الفني في القرآن الكريم" و "مشاهد القيامة في القرآن". إن هذا الاتجاه لا ينفي وجود جوانب أخرى للدراسة في هذا النص قد تكون أهم من تلك المتعلقة ببعديه



الجمالي والأدبي، وإنما اقتضت ضرورتهم التخصصية والمنهجية التركيز على هذا الجانب وإفاضة القول فيه. أما الاتجاه الثاني فيعتبر القرآن نصا أدبيا لا غير مثلما يفعل أمين الخولي، محمد خلف الله ونصر حامد أبوزيد فهذا الأخير مثلا يرى أن القرآن "يجب أن يدرس باعتباره أحد النصوص الأدبية العالمية، تحليله وتأويله لا بد أن يفتح لغير المسلم مثلما يفتح للمسلم من خلال مناهج التحليل الأدبي. إن القرآن بمثابة موضوع لغوي يشبه في شكله كل النصوص الناتجة في نفس فضاءه وليس من الضروري في خلال دراسته محاولة تطبيق "تأويل مقدس" بل يمكن أن يدرس ويؤول وأن يكون موضوعا لنفس مناهج التأويل التي تطبق في دراسة أي نص من روائع النصوص"<sup>(1)</sup>. إننا عندما نناقش علاقة القرآن بالنص الأدبي نسلم بوجود بعد جمالي للنص كما يفعل الاتجاه الأول وإنما يهمننا مسائل الاتجاه الثاني القائل بأدبية القرآن كطبيعة محايدة لهذا النص، وتفكيك مقولاته الضمنية التي يشتغل من خلالها.

### أ- مدار أسئلة النص الأدبي

يجدر بنا قبل مناقشة العلاقة بين القرآن والنص الأدبي أن نعرّف بالحقل الأدبي وبمنطق عمله لنخلص، من خلال ذلك إلى رؤية أكثر وضوحا لطبيعة بنية النص القرآني. إن مدار السؤال في الحقل الأدبي حول موضوعات أساسية: معنى النص الأدبي، موضوع الأدب، خصائص الأسلوب الأدبي، وأخيرا حول المتلقي. إن مدار الحديث في كل موضوع من هذه الموضوعات مجموعة من الأسئلة يمكن تلخيصها بالشكل الآتي:

1- R. Benzine, Les nouveaux penseurs de l'islam, Albin Michel, 2004, p192.

- تعريف النص الأدبي: ما هي طبيعته؟ ما هي خصائصه؟ ما الذي يميّزه عن النص العلمي أو

الفلسفي؟ ما هي وظيفة النص الأدبي؟

- موضوع الأدب: ما هي العلاقة بين النص الأدبي والعالم؟ هل الأدب نسخة من الواقع أم هو

فقط خيال خلاق؟ إذا كان الأدب نسخة من الواقع، ما هي خصائص هذه النسخة؟

- خصائص الأسلوب: فيما يتمثل الأسلوب الأدبي؟ ما هي خصائصه المميزة؟ ما علاقة

الترادف الموجود بين الكلمات واختلاف أساليب الكتابة؟

عند مسائلة موضوعات هذا الحقل في الفكر الغربي والتفكير فيها، نلاحظ أول ما نلاحظ تعدد

وجهات النظر و اختلافها إلى حد التناقض المفرط، فلا يستقر الباحثون في هذا الحقل إلى تعريف

واضح عدى أصل اشتقاق الكلمة وبعض السمات الظاهرة منها، وتمييزهم حدود هذا الحقل عن

حدود الحقل الفلسفي أو العلمي. رغم ذلك، وبغية الحديث عن علاقة القرآن بهذا الحقل من

الدراسة، نعلم في عجالة إلى محاولة رسم المعالم العامة لهذا الحقل وتوضيح بعض المقولات الضمنية

المؤسسة لمختلف إشكالاته.

يبدأ ميلاد النص الأدبي من قصد الكاتب إلى التأليف بمقابل موجودات العالم، فيفتح أمامه

حقل الكتابة الأدبية الباب واسعاً، ويمكن أن يذهب به إلى احتمالات ثلاثة: إما إلى إنشاء قصة من

نسج الخيال أي من إبداع الكاتب، ليس مهمّاً في ذلك أن تكون لها مرجعية حقيقية وإن حدث وإن

وجدت تكون بعيدة وبمثابة لاوعي يأخذ أصله بطريقة غامضة في أغوار النفس وثناياها. أما الاحتمال

الثاني فيعمد الكاتب فيه إلى المزوجة في كتابته بين عناصر يأتي بعضها من وقائع حقيقية والبعض الآخر من نسج الخيال أو يتم مزج نفس الوقائع الحقيقية بإضافات و تصرفات يقصد الكاتب إلى إحداثها بهدف الأثر الذي يرحو أن يجده القارئ المتلقي في نفسية. في كلتا الحالتين، رهان الكاتب ليس رهان الحقيقة (عكس الواقع كما هو) وإنما هو رهان الإبداع، فلا يهم أن هذه الشخصية قد فعلت كذا أو كذا... وإنما المهم هو البناء العام للقصة من خلال أولوية التسلسل، الحبكة، والوقوع في نفوس القارئ. بخلاف ذلك يأتي الاحتمال الثالث ليفتح أمام قصدية الباحث احتمال محاولة البحث عن إمكانية أن تطابق كتابته واقعا يهدف إلى وصفه، أو ما تعارف على تسميته في الحقل الأدبي باسم المحاكاة Mimesis. إننا نرى أن هذا الاحتمال الثالث هو الأهم لموضوعنا ويحتاج إلى شيء من التفصيل.

عند حديثه عن فعل المحاكاة Mimesis، يعرفها بول ريكور Paul Ricœur "بأنها صيرورة للتشبيه والتّمثّل"<sup>(1)</sup>. إنها محاولة لإعادة إنتاج الواقع داخل نظام سردي ordre narratologique من خلال آليات المحاكاة والمماثلة، أو أحيانا البحث عن المطابقة. لكن رغم ذلك فإن المحاكاة ليست مطابقة بسيطة كتلك التي نجدها بين الشيء وصورته في المرآة وإنما تلك التي "تربط بين وقائع التي بدونها، تظهر فوضوية واعتباطية. إنها تزيل النقاب عن بنية لمعقولية الحوادث، ومن خلال ذلك تقدم معنا للأفعال الإنسانية"<sup>(2)</sup> إنها بذلك نوع من المعرفة الخاصة قد يصعب تمييز حدودها عن حدود

1- P. Ricoeur, Temps et Récit in A. Compagnon, Le Démon de La Théorie. Littérature et sens commun, Editions du Seuil, 1998, P151.

2- Opcit P149.

المعرفة التاريخية أو الفلسفية أو العلمية. أمام هذه الواقعة الرابطة بين العالم والإنشاء الأدبي نجد موقفين متعارضين حول إمكانيات المحاكاة التي يقترحها الإنشاء الأدبي وحول مكانته في إبداعات النص: الموقف الأول يعتمد التعريف المذكور أعلاه ويرجع إلى استعمالات المصطلح عند أرسطو مبينا ثراءه ومحاولا تأمله وتأويله بما يتناسب مع الحقل الأدبي المعاصر، وبالتالي الإبقاء عليه وعلى العلاقة الأساسية بين الكتابة الأدبية والواقع (العالم). إن هذا الموقف يتأسس على أسبقية الواقع على النص ويأتي هذا الأخير للتعبير عنه بطريقة معقدة ودالة. أما الموقف الثاني فوظيفة الكتابة الأدبية فيه ليست مهمتها التمثيل، "إنها عرض لا يزال يظهر لنا غامضا، لكنه ليس بحال من الأحوال نظاما للمحاكاة... الذي يحدث داخل السرد ليس، من وجهة نظر مرجعيته، الواقع بحيثياته: لا شيء مما يحدث إنها اللغة فقط"<sup>(1)</sup>. رغم قصد الكاتب إلى المحاكاة فإن النص الأدبي لا يتحدث أبدا عن الأشياء كما توجد في الخارج، وإنما عن أشياء كما توجد في النص. إن القضية بالنسبة لهذا الموقف ليست قضية أسبقية النص على الواقع أو العكس وإنما استحالة العلاقة أصلا بين الاثنين. من هذا المنطلق بالذات تصبح مرجعية النص الأدبي ليست إلا نصوصا أدبية أخرى سابقة عليه أو ما تسميه جوليا كريستيفا Julia kristéva التناص *L'intertextualité* فالبنسبة لها "كل نص يبني كفسيفساء من الاستشهادات. كل نص هو استيعاب وتحويل لنص آخر"<sup>(2)</sup>. إذن حيوية الكتابة الأدبية سواء قصد الكاتب إلى ذلك أو لم يقصد، هي في تفاعلها الدائم مع نصوص أخرى، في حوارها ومحاكاتها

1- R. Barthes, « Eléments de sémiologie » (1964), *L'Aventure sémiologique*, Seuil, Paris, 1985.

2- J. Kristiva, *Séméiôtiké. Recherches pour une sémanalyse*, Paris, Ed. du Seuil, 1969 ; réédition coll « Points » P126.

لغيرها من النصوص. إنها ديناميكية داخلية تتم في إطار ما تقترحه الممارسة السردية داخل الحقل الأدبي.

إن بين الموقفين اختلافا أساسيا حول مرجعية الواقعة الأدبية وحول الاتصال أو الانفصال الذي يميز علاقة المكتوب بالوجود، رغم ذلك وحتى عند التسليم بمرجعية الواقع في الموقف الأول، تبقى عملية المحاكاة شيء صعبا، ولا يتم الحديث عن مطابقة فعلية تعكس الوجود كما هو في ذاته. إذا كان الأمر كذلك يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي: إذا كانت المحاكاة ليست مطابقة حقيقية، هل تتعدد أشكالها؟ وهل ثمة تراتبية تجعل هذا الشكل أحسن من ذاك؟ عند محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة نجد أنفسنا مضطرين للحديث عن "الأسلوب" كواقعة تلزم بالضرورة، من خلال تسلسل التفكير، من حديثنا عن المحاكاة. عند التسليم بقدرتها على الربط بين الواقع واللغة يتوجه نظرنا إلى النظام السردى والسميائي الذي يولد داخل اللغة لنلاحظ أنه نظام قد يأخذ أشكالا أسلوبية مختلفة. إن تعدد إمكانات الصياغة اللغوية بمقابل وحدة الحدث في الواقع هي ذاتها المقولة التي تؤسس لمعنى الأسلوب "فلا يمكن الحديث عن مسألة الأسلوب إلا إذا توفرت لدى الكاتب إمكانية الاختيار بين أشكال تعبيرية متميزة"<sup>(1)</sup>.

إذن : الواقعة واحدة ؛ Mimesis ← تعدد الإمكانيات الأسلوبية

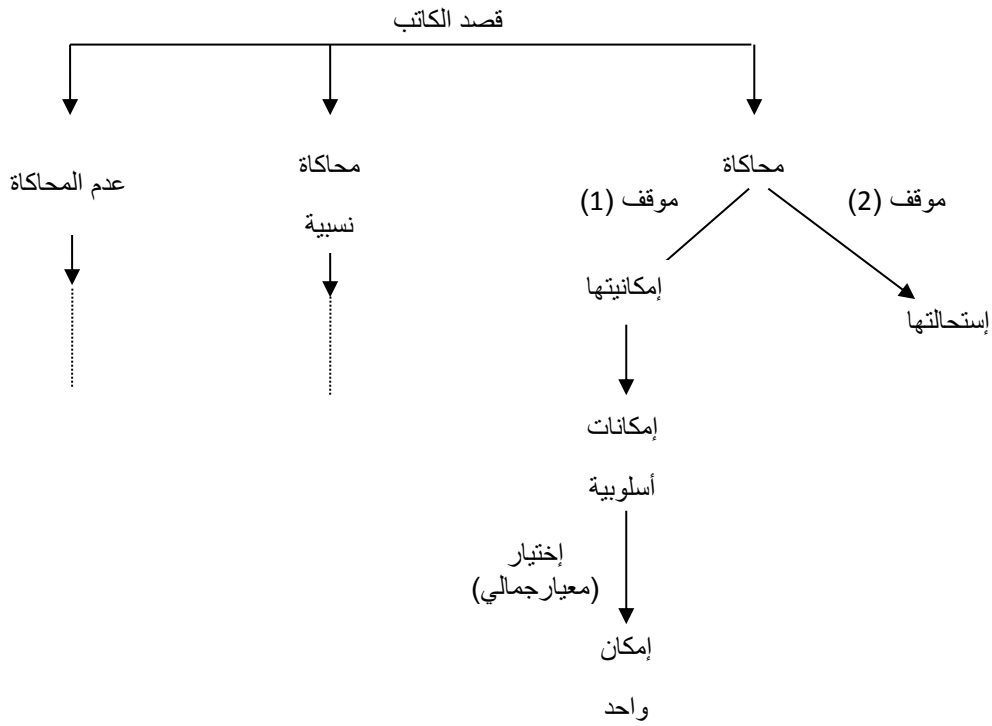
هنا نرجع إلى قصد الكاتب، فحتى عندما يقصد إلى محاكاة ما يوجد في الواقع يجد نفسه أمام احتمالات لا نهائية لتحقيق محاكاته، ذلك أن الرصيد اللغوي وأشكال الصياغة والبناء، الذي يجده

1- A. Compagnon, Opcit, P209.

أمامه، يفتح مجال الإمكان الإنشائي على مصرعيه، ولكن رغم ذلك يحدّ هذه الإمكانيات مجال يتضمنها يتراوح بين المحاكاة البسيطة (العادية) والمحاكاة المبدعة ولا يتضمن هذا المجال إمكان المطابقة ولو بشكل من الأشكال.

إن داخل مجال إمكانيات الكتابة تتحدد تراتبية أسلوبية رأس الأمر فيها معيار الجمال الذي بدوره يتشكل ويتغير بحسب الأطر الاجتماعية التي يتموضع داخلها. أن فعل المحاكاة هنا سيترك المكان إلى فعل جمالي، وتتحول قصدية الكاتب، في حال أراد المحاكاة، إلى البحث عن أحد إمكانيات الكتابة في التراتبية الأسلوبية. إنه تحوّل وانزياح من القصد إلى الحقيقة، إلى القصد إلى الجمال.

يمكن تلخيص كل ما سبق بالمخطط الآتي:



## ب. المحاكاة بين القرآن والأدب

عند الحديث عن القرآن وعلاقته بالنص الأدبي يمكن الخلوص إلى عدد من القضايا الأساسية:

- إن المحاكاة (Mimésis) بالنسبة لحقل الدراسات الأدبية هي نظام سردي يحكي نظاما في وجود الأشياء وينتج معرفة حوله تشبه في شكلها العام النظرية العلمية فهي كذلك تعمل في اتجاهها إلى الواقع وبناء نسق منسجم من الأفكار حوله. إن الأنظمة الدلالية إذا ما نظر إليها من منطلق معيار "الحقيقة" أو على الأقل الاقتراب منها فإن الأعمال التي يقدمها الأدب ترتب، في سلم المعارف عموما، بعيدا وراء النظرية العلمية. إن اعتبار القرآن نصا أدبيا هو التسليم مبدئيا بدونيته أمام النص الفلسفي أو العلمي.

- إن الحديث عن المحاكاة في علاقتها بوقائع العالم يجب أن لا يترك على إطلاقه بل أن نفكر فيه آخذين في اعتبارنا تعدد موجودات العالم واختلاف مراتبها، فالحديث عن محاكاة موضوع من الطبيعة موجود أمام ناظري الكاتب، غير المحاكاة التي تقصد إلى إعادة إنتاج التسلسل الزمني لحدث من الماضي أو لأمر غيبية بعيدة عن منالنا. إن فعل المحاكاة يتضمن وجود الشيء بطريقة فعلية فكلما تجردت مواضيع الوجود كلما أصبح الانتقال من المطابقة إلى المحاكاة فعلا تخمينيا، وابتعد بذلك عن ماهيته الأساسية. إن فعل المحاكاة، في هذه الحالة، يميل أكثر إلى الخيال الأدبي منه إلى تمثل الأشياء في حقيقتها.

- إن فعل المحاكاة يفترض أسبقية الواقع كموضوع يعاد إنتاجه ضمن الوجود اللغوي. هذا أمر لا ينطبق بالضرورة على القرآن بل يجدر ربما التفكير في إشكال القرآن/العالم من منطلق التقابل والانسجام اللذان أتيا من مصدر واحد (خالق العالم/منزل القرآن) وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل اللاحق.

- يوجد تعارض واضح بين النظام السردى الذي ينتج عن فعل المحاكاة وبين النظام السردى القرآنى فهذا الأخير لا يتقيد بموضوع واحد يقوم بمحاكاته بطريقة منعزلة، وإنما يندمج الموضوع ضمن نسق علائقي بمواضيع أخرى. بالإضافة إلى ذلك إن الموضوع ذاته عندما يرد في سياق معين غالبا ما يتعرض لعملية انتقاء لعناصر منه لينتظم في سرد خاص داخل نظام أكبر منه وهو نظام السورة. فمثلا قصة نوح عليه السلام في القرآن ترد 7 مرات في القرآن. في كل ورود لها تنتقى عناصر من القصة وكذا طريقة عرضها ضمن نسق علائقي مع مواضيع السورة لتشكّل بذلك نظاما موحدا. إننا هنا نتحدث عن عملية أعقد من فكرة المحاكاة التي لا تنفك عنها معاني النسخة والمرآة كمعاني حسية لصيقة بها.

### ج. الأسلوب بين القرآن والأدب

إن منطق اللغة وسعة إمكانات الصياغة يفتح أمام الكاتب من حيث الأسلوب احتمالات لانتهائية ويبقى التفريق بين هذا الأسلوب أو ذاك قضية أساسها معيار جمالي. إن النظر للأمر من هذا المنظار يجعل من الكتابة موضوعا يتجاوزه اتجاهان أحدهما إلى محاكاة (مراعاة الواقع) والآخر إلى



التأثير المتوقع في نفسية القارئ. إن الإشكال هنا هو إشكال أولوية المضمون (الدلالة) أم الشكل (الأسلوب) في قصد الكاتب. من زاوية نظر مختلفة يربط الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" بين المعاني والألفاظ ويجعل من الأولى أساس الثانية "فليس حد الغرض بنظم الكلم أن توات ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق، بعد أن ثبت أن النظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض"<sup>(1)</sup>، إن الجرجاني لا يؤكد فقط على أولوية المعنى على اللفظ وإنما يربط جمال نظم الألفاظ بصحة ترتب المعاني، ذلك أن "العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"<sup>(2)</sup>.

من خلال هذه الرؤية التوفيقية بين المضمون والشكل يمكننا القول أن أجمل أسلوب أصدق، والعكس صحيح، أن ترتيب المعاني بمراعاة المطابقة مع الواقع هي بالضرورة أجمل الأساليب. إن هذه الفكرة بالذات تنطبق، في رأينا على القرآن وتعبّر عن خصائصه، ليس باعتباره أحد الإمكانيات الأسلوبية وإنما باعتباره الإمكان الأوحده: إمكان المطابقة والبلاغة، الإمكان المختلف في طبيعة وجوده سنعمد في الفصل اللاحق إلى إظهار رؤيتنا العامة للقرآن كنص مختلف وسيتم النظر إليه كمقابل للعالم وليس فقط كمقابل لنصوص أخرى.

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، موفم للنشر، 1991، ص 66.

2- نفس المرجع، ص 69.

## الفصل الثاني

القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

يأتي هذا الفصل ليقدم رؤية فلسفية عامة تحاول هذه الرسالة رسم ملامحها. من منطلق اختلاف القرآن عن النصوص الأدبية التي كثيرا ما يقارن بها، ومن منطلق تساؤلات كثيرة حول ماهية هذا النص وتمييزه، عمدنا إلى رؤيته من وجهة نظر مختلفة. إن بحثنا هنا يقصد إلى التفكير في القرآن، ليس من خلال مسائل منفردة له أو مسائل له بمقابل نصوص أخرى، وإنما من خلال النظر إليه داخل ثنائية النص / العالم. إنها مسائل بالتقابل الممكن بين وجودين مختلفين، من جهة الوجود اللغوي في أعقد إمكانات التأليف فيه، ومن جهة أخرى الوجود الحقيقي في كليته، وما قد ينبثق عن هذا التقابل من رؤى عامة تؤسس لأنماط مختلفة من المعرفة. إن حديثنا هنا يندرج ضمن ما يسميه كلود أجاج Claude Hagège "نظام الكلمات ونظام العالم"<sup>(1)</sup> فوجهة بحثنا هي تفكير في القرآن من جهة أنه نظام لغوي معبر عن العالم بطريقة مخصوصة نقصد إلى فحصها.

إن ثمة مستويين للتفكير في هذا التقابل بين النص و العالم، أولهما أنطولوجي يبحث في طبيعة كل من اللغة والعالم، ومدى التشابه أو الاختلاف القائم بين وجودين متميزين، وثانيهما مستوا إيستمولوجي يسائل تشكل حقلين معرفيين حول هاذين الموضوعين من حيث المسلمات، الآليات والخصائص المميزة لكل منهما. إن بين هاذين المستويين علاقة وثيقة، قد يصبح فيها التعريف الأنطولوجي بطبيعة هذا الوجود أو ذاك مسلمة إيستمولوجية أو مقولة ضمنية تأسس لآليات خاصة للممارسة المعرفية.

عند المسئلة الأنطولوجية لثنائية النص / العالم تبرز قضيتان أساسيتان:

1 - يفرد كلود أجاج في كتابه L'homme de paroles contribution linguistique aux sciences humaines, Folio 1985 فصلا كاملا للحديث عن العلاقة بين اللغة و العالم وطريقة انتظام كل منهما (من صفحة 204 إلى ص 249)

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

الأولى: أسبقية العالم على النص وتعلق الثاني بالأول من جهة التعبير عنه " فالأحداث هي التي تجعل اللغة ممكنة"<sup>(1)</sup>. إن تطور اللغة، عبر تاريخها، جاء في محاولة محاكاة ما هو موجود، ذهاباً من التمثيل الحسي إلى التعبير الرمزي، إنها محاولة جاهدة للمطابقة بين وجودين متميزين. إن التقابل بين الاثنين يأخذ هنا طابع الأصل / النسخة التي يسبق فيها الأصل النسخة بالضرورة. يبقى أن الممارسة اللغوية عند تعلقها بالعالم تعمل بمنطق أولوية التعبير والتواصل على المعرفة والتفسير، فليس يشترط المعرفة المطلقة بالشيء ليتم التعبير عنه، فهي ترمز إليه من خلال بعض المعطيات والعلامات المستكشفة فقط. إن الممارسة اللغوية هي في الآن ذاته، تعبير عن مجهول ومحاولة للتعريف بالوقائع داخل منطق اللغة. إن ثمة دائماً، متعلقات مجهولة بالمواضيع التي يحاول الإنسان التعبير عنها.

الثانية: استقلالية العالم عن الإنسان بمقابل ارتباط النص به، فالعالم موجود خارج إرادة الإنسان فهو لا يخلقه (بيده) ولا يمكن له أن يغيره إلا في حدود ما يسمح به نظام هذا العالم ومنطقه. في مقابل ذلك تأتي اللغة عموماً والواقعة النصية خصوصاً كإبداع من الإنسان تتغير في خلال الاستعمال (usage) وليس لها من نظام سوى ذلك الذي يتكون في خلال الممارسة التواصلية والتفاعل مع العالم. ذلك ما يؤدي من جهة إلى تشكل القواعد المتعارف عليها والتي تصبح مع مرور الزمن محل إتفاق هنا أو هناك، ومن جهة أخرى إلى تعدد النصوص وكثرتها بمقابل أحادية العالم. إن الفارق هنا هو فارق في السلطة التي قد يؤتاها الإنسان أو يحرمها عند التصرف في مواضيع اللغة أو مواضيع الوجود.

1- G. Deleuze, La logique de sens, Gallimard, Paris 1972, P86.

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

تقدم لنا هاتين القضيتين فكرة حول فرقين أساسيين بين الوجود اللغوي والوجود الحقيقي من حيث الأسبقية (فارق في الزمن و المكانة) ومن حيث الاستقلالية أو الارتباط (فارق في السلطة). إن هاذين الفرقتين هما اللذان ينتج عنهما فرق جوهري آخر هو من قبيل الفروق الإبستمولوجية، فرق يتعلق بالوعي العام<sup>(\*)</sup> أو العقلانية التي تتأسس حول كلى الموضوعين كل على حدة، وعيا يحدد طبيعة المسئلة لهذا الموضوع أو ذاك ويكون تقاليد الممارسة الخاصة بكل حقل.

إن موجودات العالم، رغم تعددها، تنتمي لوجود واحد يتعامل معه الإنسان ويحاول فهمه، الشيء الذي يحقق تراكمها للمعرفة حوله. يتأتى من تجربة الإنسان مع العالم عقلانية عامة تحدد طبيعة هذا الموضوع الكلي، أنواع المسائل المشروعة، الأجوبة الممكنة، وخاصة وعيا عاما ومشاركا يتعارف عليه كل من يعمل على مواضيع الكون باختلاف أنواعها.

إن هذا الوعي هو الذي يرسم حدود ما هو علمي أو بمعنى آخر ما يمكن أن نستبقه في حقل المعرفة وما يجب أن نستبعده منها. إن المسلمة الضمنية والعميقة لهذا الوعي تتمثل في التسليم الضمني بوجود نظام في العالم من حولنا، يحاول الإنسان الاقتراب منه والتنظير له. إن من أمثال تجليات هذا الوعي ما نجد عند العالم في بحثه عن النظام الكوني فالمسافة بين الشمس والأرض ليست، في نظره، مسافة اعتباطية بل مقدارا دالا يعبر عن قانون دقيق هو بمثابة أحد شروط الحياة فوق الأرض وأمثلة من هذا نوع لا تنتهي في حقل المعرفة العلمية. لنا أن نفترض هنا، ولو من باب الإمكان، أن هذا الفيزيائي لا يتعامل مع عالم واحد وإنما مع عوالم متعددة أقل نظاما من عالمنا، أين

(\*) قصدنا إلى استعمال كلمة "وعي" للتعبير عن المنطق العام الذي يحدد وجهة نظر عميقة عند التعامل مع موضوع من الموضوعات، فظاهر أن الحديث هنا ليس عن مقابلة بين قوانين العالم وقواعد اللغة وإنما بين منطقي وجوديين مختلفين.

المسافة بين الأشياء مثلا ليست لها بالضرورة دلالة دقيقة أو ربما دلالتها لا تقتضي تبعات حقيقية ومؤثرة في نظام الأشياء. هل يسمح تعدد العوالم بتكون نفس الوعي الموجود في مدارس موضوع الفيزياء؟ هل ستكون، في هذه الحال، حدود ما هو علمي وشروطه هي ذات الحدود التي يفرضها التعامل مع عالمنا الأوحده؟

لقد تشكلت في خلال تاريخ المعرفة العلمية عقلانية محددة أساسها وعي عام بطبيعة هذا العالم وخصائصه الأساسية. لكن لا يجب أن يفهم من هذا الكلام أن ثمة اتفاقا عاما وإجماعا على ما قد تعنيه مفاهيم "النظام" و"العقلانية"، فظاهر أن ثمة اختلافات في هذا الشأن لكنها تتوحد كلها في قصد بحثها عن نظام محكم ودقيق "يمكن تسمية حدوده المثالية بالحقيقة الموضوعية"<sup>(1)</sup>.

بمقابل وعي العالم نجد وعي النص الذي تبلور داخل الممارسة اللغوية باعتبارها محاكاة للعالم وتعبيرا عنه، وعيا غير مستقل عن ذات الإنسان المبدعة والتي تمتلك إمكانية التصرف في موضوع اللغة. إن وعي النص هو عقلانية الوجود اللغوي بكل ما تتضمنه من منطق الدلالة باختلاف وحداتها (الكلمة، الجملة، النص) وما يقتضيه هذا المنطق من حدود ضابطة تحدد قواعد الممارسة اللغوية، فمثلا دلالة الكلمة تتحدد من خلال استعمالاتها في مختلف السياقات النصية، وليس من خلال البحث عن نظام سابق لها يراد اكتشافه مثلما هو الحال في موضوعات العالم، يأتي هنا مبدأ الاستعمال في اللغة بمقابل مبدأ النظام في العالم.

1- A. Einstein et L. Infeld, L'évolution des idées en physique. Des premiers concepts aux théories de la relativité et des quanta, petite bibliothèque Payot, P17.

إننا إذا أقمنا المقارنة بين عقلانية النص وعقلانية العالم نجد أن الأولى دون الثانية بكثير، ذلك أن منطق الوجود اللغوي لا يقتضي كل شروط الدقة والصرامة التي تفرضها العلوم الدقيقة وليس له نفس الوعي العام الذي يفترض لكل موضوع دلالة محددة ودقيقة، فالكلمة قد تعوض غيرها وصياغة الجملة قد تكون بهذا الشكل أو ذاك وترتيبها مع غيرها من الجمل قد يحتمل التقديم والتأخير أو الحذف والإضافة دون أن يؤثر ذلك بالضرورة على ما يراد التعبير عنه، لأن منطق القول ليست له ذات المعايير التي تفرضها في المقابل، حقول المعرفة الدقيقة. في تراتبية العقلانيات الممكنة لا مقارنة بين ما يراد قوله في النص الأدبي وبين ما تقوله المعادلة الفيزيائية.

### 1. فيدغنشتاين والقول بارتباك اللغة في تعبيرها عن العالم

من خلال منظور مقارب، ورغم اختلاف الرهان المتعلق بالموضوع، جاءت فلسفة لودفيغ فيدغنشتاين (Ludwing wittgenstein) لتبين الارتباك الموجود في موضوع اللغة<sup>(\*)</sup> ولتحاول اقتراح رؤية ناقدة ومجددة في هذا الموضوع. أما من حيث ارتباك اللغة عموماً في تعبيرها عن الواقع، فهو يرى أنها تتميز دائماً بنوع من الغموض والضبابية وقد تكون دلالاتها فارغة لا تعبر عن شيء معين، فعند حديثه عن اللغة الفلسفية، ورغم ما هي عليه من الصرامة، يقول "إن أغلب القضايا والأسئلة التي كتبت حول المادة الفلسفية ليست خاطئة، ولكنها بدون معنى. إننا لا نستطيع، في أي حال من الأحوال، الإجابة على هذا النوع من الأسئلة، ولكن فقط تبين "اللامعنى" الموجود فيها. إن أغلب القضايا والأسئلة الفلسفية تأتي من عدم فهمنا لمنطق اللغة"<sup>(1)</sup> يبقى أن المعرفة العلمية الدقيقة هي الوحيدة، في رأي

(\*) تجدر الإشارة أن مشروع فيدغنشتاين عمل على الوحدات القاعدية للغة(الكلمة، الجملة/ القضية) وليس على النص كبناء معقد.

1- Ludwing wittgenstein, Tractatus Logico-philosophicus , Traduction française, Gallimard 1993, P51.

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

فيدغنشتاين ، التي وجدت لنفسها لغة منطقية ورياضية توافق موضوعها والتي تجعل التحقق منها شيء ممكننا. من جهة أخرى حاول فيدغنشتاين رسم الخطوط العامة لقواعد لغة جديدة تصاغ بطريقة منطقية وتعكس وجود الأشياء كما هي في الواقع، فالموضوع المعقد في الواقع مثلا يعبر عنه بشكل معقد في اللغة والعكس كذلك صحيح.

رغم التعثرات التي لقيها مشروع فيدغنشتاين و التحولات التي طرأت على أفكاره لاحقا، يبقى أنه أصل لمركزية المسئلة الفلسفية للعلاقة بين اللغة والعالم والتفكير فيهما من منظور التقابل والتماثل "فلكي يعبر قول ما عن موضوع من الموضوعات، يجب بشكل من الأشكال أن يكون هناك شيء مشترك بين بنية القول وبنية الموضوع"<sup>(2)</sup> على حد قول بارتراند راسل Bertrand.Russell في تقديمه لكتاب تراكتوس ل فيدغنشتاين.

يظهر مشروع فيدغنشتاين، من وجهة نظر موضوعنا، أن ثمة خصوصية للوجود الحقيقي وللعقلانية المتعلقة به لا نجدتها في الوجود اللغوي الذي تشكل عقلانيته أحد العوائق الملازمة له. إن نظام المعبر لا يرقى إلى نظام المعبر عنه، وتبقى بذلك اللغة واقعة مرتبكة عند تعلقها بموضوعات العالم.

ذهابا في أثر مشروع فيدغنشتاين واستلهاما من روح فلسفته تستثيرنا جملة أسئلة حول النص القرآني منها أين يتموقع القرآن داخل مسألة التقابل بين النص/العالم؟ هل ثمة استثناء ما يحققه القرآن ضمن هذه الثنائية؟ القرآن نص عربي تعاملت معه الثقافة الإسلامية من منطلق الوعي اللغوي العربي وآلياته.

2- Opcit, P14.



هل هو نص مثل غيره من النصوص الأخرى؟ إذا كان القرآن نصا مختلفا، هل نتعامل معه من خلال نفس الوعي الذي تشكل عبر تاريخ اللغة العربية؟ أليس ثمة إمكان معرفي آخر يعاد فيه التفكير في خصوصية الاستعمال القرآني للغة العربية من منطلق وعي العالم بقصد البحث عن نظام لغوي متناهي الدقة على شاكلة ما فعل فيدغنشتاين؟

### 2. القرآن نص مختلف

تفتح اللغة مجال الإنشاء فيها إلى ما لا نهاية من الاحتمالات، خاصة إذا ما تعلق الأمر بالنص فهو أعقد بناء لغوي توظف فيه جميع آليات اللغة وتختلف الكتابة باختلاف أشكال النظم والتأليف. عند حديثنا عن اللغة العربية، وفي خلال وجود إمكانات نصية لا متناهية، يأتي القرآن كأحد هذه الإمكانيات بمقابل إمكانات القول العربي عموما، وبمقابل الشعر بشكل أخص باعتباره أنموذج البلاغة العربية. ينفرد القرآن بمنطق بناء مختلف لطالما نظر إليه في تاريخ اللغة والتفسير على أنه أحسن إمكان نصي وأبلغه، فالقاضي أبوبكر ابن محمد بن الطيب بن الباقلاني (المتوفي في سنة 403هـ) أفرد كتابا للموضوع سماه "إعجاز القرآن" أبرز فيه "الفرق بين القرآن والكتب المنزلة على الأنبياء الآخرين، فهذه الكتب ليست معجزة بنفسها، بل بوصف زائد عليها..." أما القرآن فهو معجز بنفسه، ومكمن الإعجاز فيه أنه بديع النظم عجيب التأليف، وأنه خارج عن نظام كلام العرب، فالقرآن ليس شعرا ولا سجعا، وليس في كلام العرب مثل له، وهو على طوله متناسب في الفصاحة، ولا يتفاوت ولا يتباين، بينما كلام البلغاء والشعراء يتفاوت...<sup>(1)</sup> أما الجرجاني في كتابه

1- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم ( الجزء الأول) مركز دراسات الوحدة العربية 2006، ص 186-187.

"دلائل الإعجاز" فيشرح خصوصية القرآن من وجهة نظر تقنية أي فيما يتعلق ببنية هذا النص وطريقة النظم فيه، فيقول في معرض رده عن المشككين في إعجاز القرآن "...فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضرب كل مثل، ومساق كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، أو لفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبهه..."<sup>(2)</sup> إن التصور الذي يقدمه الجرجاني لإعجاز القرآن هو أشبه ما يكون بما نسميه اليوم في اصطلاحنا المعاصر باسم البنية أي أنه يرى مكنم الاختلاف القائم في التأليف اختلافا في إمكانات الترتيب والربط بين مكونات اللغة. من وجهة النظر هذه ليس الإعجاز تغييرا في مدلولات الكلمات والأحرف وإنما في موقعتها داخل نسق علائقي متميز وغير ممكن التقليد. بهذا المنطق يصبح القرآن بالنسبة للإنسان العربي الاحتمال المستحيل أو بتعبير آخر الإمكان المعجز. إن القرآن كتاب مختلف في منطق نظمه وفي طريقة تأليفه، إنه يقدم عددا من الأنظمة الدلالية والبنائية المتداخلة والمعقدة والتي لم يعهدها العرب من قبل منها:

ما يتعلق بالكلمة باعتبارها الوحدة الأساسية للبناء النصي:

\* استعمال عدد منها دون الآخر، فالقرآن هو أولا استعمال لعدد من الكلمات واستبعاد لما

بقي منها. إن القضية هنا هي قضية اختيار مقصود داخل مجموع مفردات اللغة العربية.

\* وجود تراتبية داخل الاصطلاح القرآني من خلال استعمال للكلمات بحسب درجة أهميتها.

\* إضافة دلالات جديدة للعديد من الكلمات المتعلقة بسياقات نصية معينة، واندراجها ضمن

حقول سيميائية معقدة.

ومنها ما يتعلق بمنطق ترتيب الآيات وموضوعاتها، أو ما يمكن تسميته بالسرد القرآني فغالبا ما يظهر الاستعمال القرآني تعددا للمواضيع وعدم وجود تعامل منفرد مع موضوع من أوله إلى آخره وإنما وجود حركة سردية معقدة بين موضوعات الإنسان والطبيعة والغيب،... وحتى داخل نفس هذه الموضوعات. أضف إلى ذلك وضع حدود مؤطرة كجزء من البناء النصي تحت مصطلح "سورة".

إن هذا المستوى من البناء النصي يعبر عن "خط مميز للبلاغة العربية التقليدية واهتمامها المفرط بالوحدات النصية الصغيرة، الكلمة أو الجملة. إنها (أي البلاغة) لم تولي اهتماما للنظام العام لمختلف الأجزاء المكونة للخطاب، الشيء الذي تدرسه البلاغة اليونان-لاتينية تحت عنوان ترتيب الخطاب Disposition du discours. إن الجرجاني عندما يتحدث عن النظم، فإن ذلك لا يخص إلا تركيب الجملة"<sup>(1)</sup> يؤكد ذلك أن الإمام الزركشي مثلا، في كتابه "البرهان في علوم القرآن" لا يخص لهذا المبحث إلا باب من سبع عشرة صفحة بعنوان "معرفة المناسبات بين الآيات".

أيّا يكن، فإننا إذا عدنا إلى النظر في النسب الموجود في التراث الإسلامي بين القرآن والإمكانات النصية الأخرى نجد أنه يستند إلى مسلمتين ضمنتين: أولهما القول بأن القرآن أحسن الإمكانات النصية العربية هو قول بتمائل الطبيعة النصية بين القرآن وغيره من النصوص، إذ أن أحسن إمكان لا يختلف في جنسه عن غيره، بل أن ثمة تشابها جوهريا بينهما. أن قضية إعجاز القرآن

1- M. Cuypers (sous direction), Dictionnaire du Coran, Robert Laffont, Paris, 2007, P 758.

بقيت حبيسة المقارنة الدائمة مع النصوص الأخرى ولم تطرح البتة من جهة انفراد هذا النص عن غيره من النصوص بإمكان مخصص واستثنائي في طريقة تعبيره عن العالم. ثانيهما تنتج من الأولى بالضرورة، والتي مفادها أن الوعي اللغوي الذي يدرس به القرآن هو ذات الوعي الذي تعامل به العرب مع نصوصهم، وهو الأساس الأول الذي تبني عليه آليات إنتاج المعرفة حول القرآن. إن حقل أصول الفقه وخاصة منه مبحث الدلالة يتأسس كله على " تطبيق القواعد العربية المصطلح عليها عند العرب في دلالات الألفاظ وربطها بمعانيه، والأصول المتبعة في توسيع نطاق المدلولات [...] ذلك لأن هذا الكتاب الإلهي، إنما أنزل بلغة عربية خالصة، وخوطب به - بشكل مباشر - العرب، فكان لا بد من تحكيم الأصول والقواعد العربية في تحديد المعاني المرادة من هذا الكتاب"<sup>(1)</sup>. إن الوعي اللغوي الخاص باللغة العربية تشكل من خلال الممارسة والاستعمال داخل سياق معين، الشيء الذي يجعل محاولات الفهم الحديثة للقرآن تتوقف، لاحالة، عند الآليات والمسلمات المضمرة التي تأسس له.

إننا هنا أمام المفارقة القائلة، إن القرآن معجز في لغته وبناءه، ولكنه في نفس الوقت يدرس ويفهم بنفس الوعي اللغوي العربي وقواعده سواء ما تعلق منها بدلالة الكلمات أو تلك التي تتعلق بأشكال التأليف الملازمة له. إننا نظن أن إمكانية تجاوز هذه المفارقة يكمن في مسائلة عميقة لماهية الإعجاز و كلفيته، أي عوض أن ينظر لموضوع الإعجاز فقط من جهة تقابله مع نصوص أخرى، يمكن أن يفكر في ماهية الاستعمال القرآني للغة العربية. إن السؤال هنا ليس فقط هل يستطيع الإنسان العربي الإتيان بمثله وإنما كذلك لماذا لا يستطيع ذلك؟

1- البوطي، محمد سعيد رمضان، أصول الفقه مباحث الكتاب والسنة، جامعة دمشق، 1986-1987، ص20.

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

عند النظر في تطرق القرآن ذاته لهذه المسألة يمكن أن نلاحظ أمرين اثنين: أولهما أنها تأتي في معرض التحدي للمشركين من جهة عدم قدرتهم على تأليف ما يشبهه<sup>(\*)</sup> قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا<sup>(1)</sup> إن الإعجاز من هذا المنظور هو عدم قدرة العربي على الإتيان بمثله. إن مضمون الإعجاز لا تشرحه الآيات وإنما تقصد إلى إظهار استحالة تحقيق ما يشبه الإمكان اللغوي الذي يرد في القرآن. هذه الاستحالة يطرحها القرآن من خلال اصطلاح "المثلية" وهو ذات الاصطلاح الذي يعبر به الله عزّ وجلّ عن ذاته عندما يقابلها بغيرها "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"<sup>(2)</sup>. إن إعجاز القرآن يمكن أن يأشكل هنا داخل المقابلة بين: (الله / إنسان) (قول الله/قول الإنسان) فكما تنتفي المماثلة بين الله والإنسان فكذلك الحال بالنسبة للمماثلة بين كلام الله وكلام الإنسان. إن الفرق هنا هو فرق بين من يعبر عن عالم خلقه وبين من اللغة جزء فقط من تجربته الوجودية يحاول من خلالها مقارنة عالم مستقل عنه وخارج عن إرادته. ثاني الأمور التي يمكن ملاحظتها في هذه المسألة أن كلمة "عربي" عندما ترد في معرض الوصف للقرآن فإنها بمثابة استعمال نصي معقد فكثيرا ما ترتبط مفردة "عربي" بـ "مبين" وهذا لسان عربي مبين"<sup>(1)</sup>، "بلسان عربي مبين"<sup>(2)</sup> أو بتحديد آخر مثل "قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون"<sup>(3)</sup>. كما قد يرتبط وصف اللسان أو القرآن بـ "عربي" بواقعة "الكتاب" مثل "كتاب فصلت

(\*) هناك العديد من الآيات التي تأتي في معرض التحدي وكلها تقابل القرآن بالنصوص الأخرى من خلال فكرة "المثلية" منها (البقرة

23) (يونس 38) (هود 13)

1- القرآن الكريم، "سورة الإسراء"، الآية 88.

2- المصدر نفسه، "سورة الشورى"، الآية 11.

1- المصدر نفسه، "سورة النحل"، الآية 103.

2- المصدر نفسه، "سورة الشعراء"، الآية 26.

3- المصدر نفسه، "سورة الزمر"، الآية 28.

آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون"<sup>(4)</sup>. أما في الحالات القليلة التي ترد فيها كلمة "عربي" بدون تحديدات أخرى فأغلبها يعبر عن آلية الإرسال في بعدها الوظيفي التقني حيث جاءت من الله إلى الإنسان، لذلك نجد أنها تستعمل أفعالا مثل "أنزلناه"، "أوحينا"، "جعلناه".

إن بين انتفاء "المثلية" عن القول الإلهي والتحديدات التي تلازم "عربية" القرآن خيطا رفيعا يحيل إلى خصوصية الاستعمال الإلهي للغة، استعمال في مستويات متعددة من الدقة والتعقيد، قد لا يرى فيها الإنسان العربي فرقا واضحا بين استعماله و القرآن، لكنه رغم ذلك يشعر بعجزه أمامه.

### 3. القرآن كاستثناء الثنائية نص / عالم

سبق لنا أن تحدثنا عن اختلاف وقائع الوجود الحقيقي عن تلك التي تعبر عنها في مجال الوجود اللغوي، الآن وعند تأمل القرآن كنص داخل هذه الثنائية، هل تنطبق قواعد الثنائية على القرآن أم إعجاز هذا النص هو من جهة ما تجاوز للفروق الأساسية بين منطقتين وجوديين مختلفين وإحالة إلى شكل مختلف من العلاقة بينهما؟

إننا عندما ننظر إلى علاقة القرآن بالعالم من حيث المبدأ الأول (مبدأ أسبقية العالم على النص) نجد أن حال القرآن ليس متأخرا عن العالم وليس مفصولا عنه. إن القرآن نسخة<sup>(\*)</sup> عن العالم تختلف عن غيرها من محاولات المحاكاة (Mimesis) التي نجدها في غيره من النصوص. إن الإنسان يعبر عن العالم

4- المصدر نفسه، "سورة فصلت"، الآية 41.

(\*) نستعمل هنا معنى النسخة بطريقة مخصوصة. إنها ما ينتج عن آلية المحاكاة فهي عملية بناء نموذج للنظام اللغوي أو بنية لمعقولية الأحداث. أنظر أنطوان كوينيون Antoine Compagnon كتابه *Le démon de la théorie. Littérature et sens commun*, Seuil 1998. إنه يخصص فصلا كاملا لعلاقة الأدب بالعالم من حيث اختلاف المواقف النظرية حول الموضوع وكذا من حيث أهم الإشكالات الإبستمولوجية التي تطرحها فكرة المحاكاة (Mimesis).

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

ويستكشفه من خلال اللغة باعتبارها في الآن ذاته معبراً عن العالم وآلية لإعادة إنتاجه، والتي في ذات الوقت، قد تكون هي الحجاب الأول عنه. بخلاف ذلك يأتي القرآن كنص يعبر فيه الله عز وجل عن عالم هو خلقه وله كامل الإحاطة بدقائق حيثياته وبذلك يصبح القرآن هو الاستعمال الأصدق للغة من حيث أنها معبرة عن معلوم واضح.

إن هذا التعبير الاستثنائي الذي يميّز القرآن كنص بمقابل العالم، يقتضي تميزه ببنية منطقية وأنطولوجية تتوافق مع النظام القائم في العالم، لذلك ليس من قبيل الصدفة أن مصطلحا مركزيا مثل "آية" يندرج ضمن الاستعمال القرآني في سجل الحديث عن موجودات العالم كما عن القرآن ذاته، فالآية هي في الآن ذاته "العلامة الظاهرة، وحقيقته (الحديث هنا عن "أي") لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدرك بذاته ... وكل جملة من القرآن دالة على حكم آية"<sup>(1)</sup>. إن تعبير القرآن عن العلاقة بين الأشياء في الواقع يقتضي تأليفا لغويا دقيقا يعبر فيه الرابط اللغوي عن العلاقة بطريقة مخصوصة هي الوحيدة التي يتحقق فيها التوافق المنطقي والأنطولوجي بين المعبر والمعبر عنه على حد قول فيدغنشتاين.

المبدأ الثاني الذي يميّز ثنائية النص/العالم هو كون العالم مستقلا عن الإنسان وكون اللغة في المقابل، مرتبطة به. كذلك عند الحديث عن هذا المبدأ، فإن القرآن استثناء له، ذلك أن لغة القرآن تتعلق بعربية الإنسان العربي وفي نفس الوقت تتجاوزها. إن أساس الاستثناء هنا هو فرق في استعمال اللغة والتعاطي معها بين الله (الاستعمال الإلهي) والإنسان (الاستعمال العادي)، هو فرق بين من

1- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، 1997، ص101.

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

يعبر عن عالم هو آية لوجوده وامتداد لغيبه وبين من اللغة جزء من تجربته الوجودية يحاول من خلالها مقارنة عالم مستقل عنه وخارج عن إرادته. إن لمن البديهي أن الخطاب الإلهي جاء ليفهمه الإنسان عموماً، لكنه فهم في خلال مستويات متعددة للنص قد لا يرى فيها القارئ الفروق الدقيقة بين الفهم الأولي الذي قد يتأتى له وبين المنطق العميق للنص، حاله في ذلك حال الناظر إلى الكون، ليس له من فهم أولي سوى مجموع الانطباعات الحسية المعبرة عنه، هي فقط بداية الطريق نحو عقلانية حقيقية لوقائع العالم. إن القرآن، في هذا المضمار، جمع بين حاجتين أساسيتين: حاجة الإفهام العام للناس بمختلف السياقات التي تربط بالقرآن، وحاجة التعريف بالعالم بطريقة مخصوصة واستثنائية جداً.

من خلال النظر في موقع القرآن داخل ثنائية النص/العالم نخلص إلى أن القرآن استعمال إلهي للغة يحقق إمكانية إنتاج الدلالة/المعنى المعبر عن العالم بالكيفية الأصدق مع فارق الوجوديين في الطبيعة وتمائلهما في المنطق والنظام. إن القرآن استعمال مخصوص للغة العربية توظف فيه اللغة للتعبير عن مواضيع يهيمن عليها العلم الإلهي. إنها تكيّف وترقى لتحمل مضامين دقيقة ولتحقق علاقة استثنائية بين النص/العالم أي تمام تعبير الأول عن الثاني. إن هذه العلاقة الاستثنائية ليست ممكنة إلا بشرط وجود تشابهات عميقة في منطق بناء وجودي اللغة العربية والعالم، وتحديدًا تماثلاً جوهرياً بين القرآن والعالم يعبر عن وجهة نظر عقائدية على وحدة مصدر الاثنين.

### 4. القرآن ووعي العالم

إن موضوعة القرآن داخل ثنائية النص/العالم أظهر لنا خصوصيته من جهتين:

أولاً: تعبير القرآن عن العالم يقتضي تشابهات بنائية بين الاثنين.



## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

ثانياً: تعبير القرآن عن العالم يتم ضمن اللغة العربية ولكنه في نفس الوقت استعمال مخصوص لها، هو استعمال يحقق الخاصية الأولى وهو في نفس الوقت علامة دالة عليها. إننا إذ نتحدث عن الخاصية الأولى نقصد إلى تأسيس شرعية توظيف وعي العالم وعقلانيته في فهم القرآن باعتباره استعمالاً استثنائياً للغة العربية.

إن وعي العالم، كما سبق وأن رأينا، يتأسس على فكرة "النظام" الموجود في العالم ويحاول مقارنته، وعندما نفكر في القرآن من خلال هذا الوعي فإننا نسلم بأن القرآن يتضمن نظاماً لغوياً نصياً درجة تعقيده تقترب أو تتساوى ودرجة التعقيد المسلم بها في موضوعات العالم. إن هذا النظام النصي يشبه نظام العالم من جهة أن كل وقائعه اللغوية دالة بطريقة دقيقة (الموقع، الكلمة، ارتباط المواضيع...)، ويختلف عنه في خصوصيته كوجود لغوي. إن مبدأ السببية مثلاً يكون فيه السبب في الواقع دائماً قبل النتيجة ولكنها قد تكون كذلك في الصياغة اللغوية وقد لا تكون، كأن تسبق النتيجة سببها، وليس هذا اعتباطاً. إن تقديم السبب أو تأخيره في الاستعمال القرآني يحتاج إلى مسألة دقيقة، فليست القضية قضية جمالية فحسب بل معبرة عن دلالة مقابلة في منطق السببية في الواقع.

إن هذا الوعي الذي نريد توظيفه في فهم القرآن هو في الأصل توجه نحو العالم يحقق أفق انتظار (Horizon d'attente) لما يجب / يمكن أن يكون عليه الموضوع المقارب، إنه من وجهة نظر مجردة منطق تجربة الإنسان مع العالم وتعريفه له. إن هذا الوعي عند توظيفه في محاولة فهم القرآن فإننا مبدئياً نحدد أفق انتظار راق، أبعد بكثير عن ذلك الأفق الذي يحدده الوعي اللغوي منفرداً. من هذا المنظور سيكون ثمة لقاء بين وعي صارم وفعال وبين استعمال إلهي يعبر عن العالم، يحاول فيه هذا

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

الوعي اقتفاء أثر خصوصية هذا الاستعمال للغة. إننا نتصور ملامح هذا اللقاء يثمر وعيا لغويا قرآنيا تصبح فيه الكلمة موضوعا دقيقا ومعقدا<sup>(\*)</sup> "فما من كلمة إلا ولها دلالتها المتميزة ولو بدت مترادفة أو مشتركة"<sup>(1)</sup>. إن التشابه الذي قد يظهر بين دلالات الكلمات في الاستعمال القرآني أو بين كلمة في القرآن وأخرى في اللسان العربي إنما يدرس بغية إظهار الفروق الموجودة والحدود اللازمة لخصوصية الدلالة التي تنفرد بها كل كلمة عن غيرها. إن التقارب الذي قد يظهر بين الكلمات، يصبح من خلال الفحص والمقارنة أحد العوامل الحيوية في بناء الدلالة وإثرائها نحو مفهومة جديدة للمصطلح القرآني. من ميزات هذا اللقاء كذلك إعادة التفكير في آليات البلاغة المستعملة في القرآن (المجاز، الاستعارة، التشبيه...) باعتبارها، ليس فقط ذات طبيعة جمالية، وإنما وقائع دالة بطريقة دقيقة على موضوعات العالم والتي قد تساعدنا في تعرفها. إن محدودية اللغة بمقابل لا انتهاء وقائع نصية العالم يفرض لا محالة استعمال آليات البلاغة، لكن اختيار القرآن تعبيرا مخصوصا لاشتراك واقعتين من وقائع العالم في وجه شبه مثلا، قد يحيل إلى منطق خلق مشترك يحتاج إلى مسائلة عميقة وجادة. تأتي محاولة بلورة وعي لغوي قرآني كذلك من خلال تأمل الروابط والعلاقات الموجودة بين موضوعات هذا النص وطريقة انتظامها فيمكن مثلا تصور دراسة حركة المواضيع واتصالها ببعضها (العقيدة، القصص، التشريع، الطبيعة...) في السرد القرآني ومحاولة التعرف على منطقتها واستخراج مبحث خاص بقواعد التأليف القرآني وأنساقه العلائقية.

(\*) ليس مقابل منطق الشيء في الوجود منطق الكلمة التي تعبر عنه وإنما المقصود هنا أن منطق الكلمة في الاستعمال القرآني منطق معقد يتم التفكير فيه بنفس الوعي الذي يتأسس عليه منطق الشيء في الوجود.  
1- محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، المجلد 2، British West Indies، 1996، ص162.

## الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم: وجهة نظر مختلفة

---

إن فصلنا هذا يقصد، أول ما يقصد، إلى تثوير مسائل للقرآن من موقع مختلف، ومن جهة نظر فلسفية تستوحي من الدرس الفيدغنشتايني وعيا بالارتباك الحاصل في الوجود اللغوي عند تعبيره عن العالم وتحاول إظهار استثناء لذلك ولو من قبيل الإمكان فقط، استثناء يصبح فيه القرآن مقابلا مباشرا للعالم ويعاد استكشافه كواقعة نصية مغايرة من خلال الاستعانة بوعي "النظام" الذي تشكل في تاريخ المعرفة المتعلقة بموضوعات العالم.

في الفصل القادم سنحاول مناقشة القضايا المنهجية التي تثيرها العلاقة بين القرآن و المعارف النظرية المعاصرة.

## الفصل الثالث

القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة

وعلاقة مزدوجة

في خضم الحضارة المعاصرة يعترض حديثنا عن القرآن سؤال مفروض، هو سؤال القرآن والمعرفة المعاصرة، فلا يمكن فصل هذا النص عن الحاضر، ولا جدوى من محاولة الانغلاق على الذات الإسلامية والاستغناء عن منتج فكري هو إنساني قبل أن يكون شرقيا أو غربيا. إننا بدأ نسلم بفكرة أن أي إثراء أو تفعيل للنص، من خلال أي توجه إبستمولوجي، يعتبر شيء إيجابيا للنص يجعل منه مركز اهتمام وبحث، ويخلق حوله ديناميكية تعدد الخطابات والمحاولات وهي ذاتها أول الطريق نحو بناء وتأصيل رؤية للعالم من خلال القرآن. إن البعد الرسالي للقرآن جاء من جهة أنه رسالة لتقرأ وتفهم وتعاش وليس "مقدس الأقرح" يسمع في الجنائز ويترك به الأولياء. لقد حجت قداسة هذا النص التفاعل الحقيقي للإنسان معه وتمّ تقييد العمل عليه بمعايير مؤسساتية واستبعد بذلك من مركزيته في الرؤية الإسلامية ذاتها.

### 1. مبدئين مؤسسين للعلاقة بين القرآن والمعرفة الغربية

إن الحديث عن العلاقة بين القرآن والمعرفة الغربية قبل أن يكون حديثا عن تفاصيل ومعايير هذه العلاقة هو حديث عن طبيعة المشروع الفكري الذي يناقش داخله هذا الإشكال والمقصد منه. إن المشروع الغربي يعتبر القرآن أحد موضوعات الدراسة مثله في ذلك مثل الموضوعات الأخرى، يختبر من خلاله نظرياته وقدراتها التفسيرية في سياقات غير سياقات نشأتها. من هذا المنطلق، يأتي الرهان الأول متعلقا بالمعرفة الغربية كأساس لرؤية الغرب للعالم. أن المنطلقات العامة، الخلفيات الإيديولوجية والمسلمات الأساسية التي تحدد حقل التفكير الغربي في القرآن تحدد، بطريقة ضمنية، سقف النتائج

## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

المنتظرة من مقارنة القرآن L'horizons d'attente. إن نظرية ما عندما تقارب. القرآن كموضوع من موضوعاتها تبحث أن تجد فيه منطقاً (نظام علاقات، دلالات معيّنة، تأويلات...) لا يرقى إلى منطق بناء النظرية ذاتها التي تباحثه. في مقابل ذلك، تأتي نظرتنا للقرآن من داخل منظومتنا الإسلامية. إنها وجهة نظر مختلفة تماماً عن الأولى، ليس القرآن فيها موضوعاً مثل غيره من الموضوعات وليس الرهان هنا رهان نظرية أو نموذج، وإنما رهان رؤية للعالم أساسها الحيوي القرآن ذاته. إن تسمية القرآن والتفكير فيه من خلال كلمة "موضوع" قد تخلّ بما نقصد إلى تبيينه لما قد تتضمنه هذه الكلمة من سلبية وتقبل لما قد تفرضه الذات المتفاعلة معه. لا يكون القرآن، في هذه الحالة، موضوعاً فقط وإنما : أولاً موضوعاً للمعرفة الغربية من خلال تصور معقد ومشروط وثانياً تصوّر كونه موضوعاً ضمن صيرورة تحوله إلى رؤية، الهدف منها تجاوز التصور الموجود اليوم في المعرفة المعاصرة وكل ما يقتضيه ذلك من تغير في منطق مسألتنا للعالم ومن فلسفة يمكن أن تنتج عن ذلك.

غالباً ما يشوب الغموض والتسرع الحديث عن القرآن والمعرفة الغربية، وتناقش العلاقة بينهما بطريقة كلية وغير محددة، خاصة إذا ما تعلّق الأمر بالجدالات التي تنشأ داخل منظومتنا الإسلامية فيأخذ الأمر بمجمله سواء بالرفض أو القبول. سبق وأن حددنا طبيعة المشروع الفكري الذي نناقش من خلاله العلاقة بين القرآن والمعرفة الغربية، يبقى أن ثمة بعض التوضيحات التي تفرض نفسها عند الحديث عن المعرفة الغربية، أولها: أن هذه المعرفة متنوعة من حيث الوقائع الإستيمولوجية المندرجة داخلها، فعلى الرغم من التركيز حول موضوع النظرية إلا أن الحديث عنها إنما يأتي من باب الحديث

## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

عن الخاص الذي لا يعبر بالضرورة عن العام. إن سجلّ مفردات الوقائع الإستيمولوجية يحفل بعدد لا بأس به من الاصطلاحات مثل الإستيمي L'Epistémé، النموذج Paradigme، النظرية، المقاربة، المنهج، المفهوم، التقنية...

إن التفكير في مضمون العلاقة الممكنة بين القرآن والمعرفة الغربية يتأثر بهذا التنوع ويصبح الأمر أكثر تعقيدا بحيث لا نتحدث عن علاقة بالمفرد بل عن علاقة بالجمع تحتاج كل واحدة منهما إلى دراسة، وينفتح المجال على احتمالات كثيرة تتراوح ربما ليس بين نقيضي الرفض والقبول، وإنما بين إمكانيات القبول المشروط لهذا المفهوم والرفض النسبي لهذه النظرية، والتجريب الحذر لهذه المقاربة...

ثانيها: أن هذه المعرفة تنتظم وقائعها بطريقة معقدة وضمن حيوية نقدية داخلية، فمن الخطأ تصورهما كبناء واحد متجانس وجامد، بل الأحرى تصورهما بمثابة خطابات وخطابات مضادة، تجدد فيها التعارض الذي قد يصل إلى التناقض، وهذا ما يجعل هذه المعرفة ثرية ومفتوحة ومتجددة. ترافق القرآن في علاقته بالمعرفة الغربية هذه الحيوية ذاتها التي تفتح أمامه إمكانيات معرفية ليست مطلقة وإنما تقدم كل واحدة منها نفسها كواحدة من بين احتمالات متعددة.

### 2. القرآن والوقائع المعرفية الأساسية

من خلال تحديد طبيعة الموقع الذي يتوضع داخله القرآن باعتباره أساس مشروع فكري وكذا منطلقي التفكير في أساس العلاقة بين القرآن والمعرفة الغربية، نذهب إلى تفصيل مضمون هذه العلاقة من خلال مسائلة تحليلية لثلاثة وقائع معرفية أساسية: الإستيمي Epistémé، النظرية و أخيرا التقنية.

## أ. الإبستيمي

ظهر مفهوم الإبستيمي في ستينات القرن الماضي مع ميشال فوكو Michel Foucault و بالتزامن معه كذلك أسس توماس كوهن Thomas Kuhns لمفهوم النموذج Paradigme ... عند حديثه عن الإبستيمي يعرفه ميشال فوكو بأنه "كل ظواهر الربط بين العلوم أو بين مختلف الخطابات العلمية التي تشكل، ما أسميه، إبستيمي حقبة معينة"<sup>(1)</sup> و إجابة عن الانتقادات التي وجهت إليه حول اعتبار الإبستيمي كنسق مغلق، متجانس وأحادي يضيف فوكو شارحا ومفصلا طبيعة هذه الواقعة قائلا "الإبستيمي ليس شكلا من النظرية الكبرى المضمرة، إنه فضاء للفروق Dispersion، أنه حقل مفتوح [...]، أنه ليس جزءا من التاريخ المشترك لكل العلوم. إنه لعبة Simultané de rémanences spécifiques"<sup>(2)</sup>

لنا أن نلاحظ هنا، أن هذه الواقعة تتميز بالعموم والانفتاح ومضمونها متنوع وغير متجانس فهي لا تفرض رؤية واحدة للأشياء، وإنما تقترح إمكانات مختلفة وثرية. ليس الإبستيمي أمرا واضحا وواعيا يمكن تحديد موقف منه وإنما جانب عميق وغير واع في الرؤية الغربية للعالم. إن حقولا كثيرة من المعرفة الغربية المرتبطة بالتاريخ، الفلسفة، الأنثروبولوجيا تبحث هذا المستوى القاعدي والمؤسس للمعرفة وتحاول استكشافه.

1- Michel Foucault, Les problèmes de la culture, Un débat Foucault- Preti: II bimestre N°22-23  
Septembre –Décembre in Vocabulaire des philosophes, Ellipses 2002 p868.

2- Opcit, P869 – 870.



إن ما يقابل الإبتيمي في التراث الفكري الإسلامي ساحة منه شبه فارغة هي بمثابة حلقة الوصل المفقودة بين العقيدة وتفاصيل المعارف حول الطبيعة والإنسان فلا علاقة مثلا بين مبدأ التوحيد في العقيدة ونظرتنا لتنوع موجودات هذا العالم، وما قد يترتب عنه من روابط وتمثيلات خلقية بين هذه الموجودات. عدى ذلك يبقى أن العمل على القرآن يمر، لا محالة، من خلال التعامل مع الرؤى الكلية للمنظومة الغربية بطريقة واعية أو غير واعية، ولا مجال للقول أن تفكيرنا في القرآن سيضحي إعادة إنتاج لذات هذه الرؤية واشتقاقاتها. قد يحدث بعض ذلك، ولكن أمثال هذه الخطابات مدعاة لإعادة إنتاج فكر عقيم وطريق إلى الشلل الفكري. إن الدارس للقرآن بجدية وإنصاف يرى أن التعامل مع هذا النص هو من قبيل الحوار والجدل معه فهو ليس مادة سلبية خاضعة بل له دور فاعل في تحديد التوجهات البحثية بدأ بالاصطلاح المستعمل إلى البنية النصية والطريقة التي تنتظم بها الدلالة. من هذا المنظور يصبح القرآن محور إنتاج مراكز الاهتمام و الأسئلة وحتى طرائق التفكير في موضوعاته.

إن لكل من القرآن والإبتيمي ديناميكيته الخاصة ولكنهما الاثنان يصبان في اتجاه تفعيل العمل على القرآن. إن الإبتيمي في خلال تطوره يسمح بارتداد للوعي والنقد على ذاته ومنطلقاته من خلال ذات المعارف والأدوات التي أنتجها وهو أمر مفيد للعامل على القرآن من حيث الحذر الذي يمكن توحيه، ذلك أنه كلما زاد وعينا بمنطلق الرؤية الغربية و منطقتها كلما استطعنا تحديد موقفنا منها. من جانبها ديناميكية العمل على القرآن، حتى وإن تشابكت مع الرؤية الغربية، فإنها من خلال تبلورها تظهر شيء فشيء الرؤية القرآنية وكيفية تفكيرها وهذا الأمر هو كذلك من محددات موقفنا من

الإبستيمي. إن الديناميكيّتان كل في عملها سواء تلك التي تمكن من مراجعة الذات الغربية أو تلك التي تحدد ملامح رؤية جديدة من خلال القرآن، تتجهان إلى الالتقاء والتقاطع في تحديد العلاقة القائمة والمفروضة بين القرآن والمعرفة الغربية.

### ب. النظرية

عندما نتقل في حديثنا من الإبستيمي إلى النظرية نتقل من المفتوح إلى المغلق ومن المتنوع الغير متجانس إلى الأحادي المنظم. يرى أينشتاين A.Einstein أن الهدف من النظرية هو ربط عدد كبير من التجارب المعزولة ويعرفها بأنها "نسق من أفكار التي غالبا ما تبني منطقيا من خلال عدد قليل من القضايا الأساسية"<sup>(1)</sup>. إن النظرية تقدم رؤية منظمة لموضوع ما، إنها محاولة للتعميم بحيث لا يشذ أي مثال أو "تجربة معزولة" من الرؤية العامة التي تقدمها، كما يتفق أغلب الباحثين العاملين على الموضوع من أمثال دوهام Duheim و قرونجر Granger أن أساس النظرية ومنطلقها عدد قليل من القضايا الأساسية، فهي بذلك الرهان الأول والأصعب في النظرية. عند وجودها لا يبقى إلا تمثيلها ضمن نسق علائقي بما تقتضيه العلاقة من ضوابط منطقية ورياضية. أما السلطة التي تملكها النظرية في المعرفة المعاصرة فتستمدّها من مبدأ إبستيمولوجي ضمني يحكم بأولوية العقلاني على الواقعي وأسبقيته في إنتاج المعرفة فبالنسبة لغاستون باشلار G. Bachelard " يتجه الشعاع الإبستيمولوجي من العقلاني إلى الواقع وليس العكس"<sup>(2)</sup>. من هذا المنطلق يبقى الواقع (الموضوع) في موقف سلبي، فهو

1- Opcit, P540.

2- P.Bourdieu & J.C. Passeron & J.C. Chamboredon, Le métier de sociologue, Mouton, P62.

لا يجيب إلا إذا سؤل وتنفرد النظرية برهان المعرفة الأول والأخير، ليس فقط رهان السؤل وإنما كذلك رهان الجواب، ذلك أن التفسير المقترح لموضوع ما لا يكون إلا من جنس سؤل النظرية. عند حديثه عن الموضوع يشرح روني طوم R.Thom عمل الفعل العقلاني باعتباره "اختصارا للوقائع في موضوع محلي بقصد تفسيرها بشكل فكري"<sup>(1)</sup>. إنه من جهة ما، انتقاء للخاص وصياغته بطريقة عقلانية وتعميم هذه الرؤية لبقية الوقائع الأخرى.

ضد هيمنة النظرية تأتي أصوات معارضة محاولة التأكيد على الدور الفاعل للموضوع و"حقه في الرفض" على حد قول جون كلود باسرون J.C.Passeron، فعند حديثه عن التفكير السوسيولوجي يقول "حق الوقائع في أن تختار، من خلال التفكير السوسيولوجي، من بين كل النظريات تلك التي تسهّل وتعدّد لغتها الفرص التقنية والاستدلالية للاعتراض عليها من خلال الملاحظة"<sup>(2)</sup>. أضف إلى ذلك أن الممارسة البحثية في العلوم الاجتماعية والإنسانية اليوم تفتح احتمالات عدة للتعاطي مع موضوعاتها، ولا تتقيد بالضرورة بخيار النظرية أو قد تنتقي منها مقولات أو مفاهيم وتستبعد أخرى فهي قد تتعامل مع النظرية ليس كوحدة متماسكة وإنما كعناصر مترابطة يمكن فصلها واستعمال البعض منها بحسب طبيعة الموضوع ومتطلبات البحث. إن دراسة محققة وجادة في "الإبستمولوجيا الجهوية" لحقل العلوم الاجتماعية والإنسانية كما يسميها باشلار يمكن أن يبيّن ربما التنوع

1- J.Hamel, Précis d'épistémologie de la sociologie, Montréal – Paris, L' Harmattan 1997, P43

2- J.C.Passeron, L'espace mental de l'enquête(II), Revue Enquête, n°3, 1996, P1.

## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

والاختلاف الذي قد نجده فيما نصلح على تسميته بالنظرية، فقد يكون منطق بناءها وما تقتضيه من شروط العلمية وخصائصها غير مطابق تماما لما هو عليه الشأن في حقول معرفية أخرى.

ليس الهدف من مناقشتنا لواقعة النظرية في المعرفة المعاصرة الفصل في خلاف إبستمولوجي فذلك بعيد المنال، وإنما نقصد إلى تحديد طبيعة العلاقة بين القرآن و النظرية، ونتاجها في أمرين إثنين: أولهما إعطاء الأولوية في العمل على القرآن إلى الممارسة النصية بوعي معاصر باعتبارها علاقة مباشرة وعميقة مع النص. نقصد بالممارسة النصية هنا فعلا فينومينولوجيا ( Acte Phénoménologique) يتمثل في "حدس مباشر، عام وتجريبي"<sup>(1)</sup> يحدد طبيعة المواضيع ومكوناتها، ووجهة نظر لمسائلها، تكون كلها مستقاة من تفاعل مكثف مع النص. إن هذا الفعل الفينومينولوجي يصدر عن ذات واعية تبحث في دلالات نصية من خلال ذهنية تعبّر عن تجربة الإنسان مع العالم وتعريفه له. إنها تجربة بالضرورة حديثة ومعاصرة بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان عميقة. ثانيا إن علاقة القرآن بالنظرية هي علاقة برؤية ممكنة ضمن حقل متنوع يتمتع بجوية نقدية داخلية حقيقية. أن معيار ومحددات التعامل مع النظرية تأتي من ذات الممارسة النصية (على شاكلة ما يفعل باسرون مع الظاهرة السوسيولوجية باعتبارها الحكم والفيصل) وبذلك تفتح علاقة القرآن بالنظرية على الإمكانيات التالية: 1- رفض النظرية لتعارضها الظاهر مع الممارسة النصية 2- استبقاء النظرية لتجاوز الممارسة النصية وتثريها، أي التعاطي مع النظرية ليس باعتبارها سلطة معرفية، وإنما وجهة نظر

1- Alex Mucchielli (Sous la direction d'), Dictionnaire des méthodes qualitatives en sciences humaines, 2<sup>ème</sup> édition Armand Colin, 2004, P191.

ممكنة للموضوع يمكن أن تحقق قيمة بحثية *Valeur heuristique*. إن ثمة اختلافا ظاهرا بين الاعتماد على النظرية ومحاولة تطبيقها واختزال النص إلى مجيب عن سؤال النظرية، وبين استلهاام القدرة التفسيرية للنظرية في عمومها وداخل إطار رؤية تفرضها الممارسة النصية من خلال الأسئلة المنبثقة من النص. إن القضية هنا هي قضية ما نعتبره مركزيا وما نعتبره ثانويا. إن عملية البحث لا تخلو من الأحكام المسبقة والإيديولوجيات واعية كانت أو غير واعية، وهذا ليس مبررا للتخلي عن النظريات وإنما التفاعل الدائم مع النظرية يساهم في تشكيل وعي نقدي يتبلور من خلال تفكير الباحث وممارسته التقنية.3- استعمال أجزاء من النظرية (مقولة، مفهوم) وإدراجها ضمن بناء عام غير بناء النظرية، شريطة تحقق شرط الانسجام بين ما نستفيد من النظرية كأجزاء منفصلة وبين الرؤية المرتكزة على الممارسة النصية.

### ج. القرآن والتقنية: تجسيد للوعي المعاصر

سبق أن أكدنا على الأهمية التي تكتسبها "الممارسة النصية" في العمل على القرآن باعتبارها المصدر الأول للتفكير في النص وهي بهذا تكون الحكم الأول إذا ما تعلق الأمر بالمعرفة الغربية. إن الحديث عن الممارسة النصية يحتاج إلى شيء من التفصيل يمكن من خلاله أن نتبين العلاقة القائمة بين القرآن والتقنية. إن أحد الإشكالات الأساسية المتعلقة بالممارسة النصية هو كون القرآن وحدة سردية كلية ومركبة، واستجابتنا لهذه الواقعة النصية المميزة يكون من وجهين، فمن جهة نسلم بأن التفكير في القرآن يبدأ منه كما هو، باعتباره منظومة علائقية معقدة وانتظامه بهذا الشكل دال مثلما

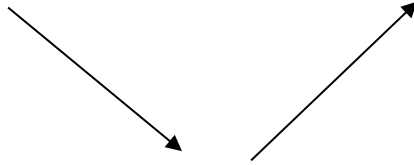
## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

أن انتظام الوقائع كما هي في العالم دالة بذاتها، وينتهي إليه كما هو في آخر المطاف. إن الممارسة النصية، من هذا المنظور، هي حدس لأنماط البناء النصي في عمومها وما قد يتشكل منه هذا البناء من تحديدات موضوعية وأنساق علائقية. ومن جهة أخرى نعتبر أن اعتماد طريقة التعامل مع القرآن في كليته وبشكل مباشر لا تكفي، فالممارسة النصية العامة قد تحجب عن الرؤية خصوصية جزئيات النص و أهميتها والتي بدورها تحدد الرؤية الكلية بشكل أفضل. أضف إلى ذلك، أن انفتاح الممارسة النصية على إمكانات التصرف البحثي في النص<sup>(\*)</sup> مثلما يفعل التفسير الموضوعي عندما يجمع عددا من الآيات وكيف يتشكل من خلالها موضوع للدراسة، أو كما تفعل بعض الدراسات من تتبع الاستعمال القرآني لمفرداته وملاحظة خصوصيتها، هو حلقة الوصل بين القراءة الحدسية الأولى للقرآن وما قد تنتهي إليه من رؤية كلية وتفصيلية، في نفس الوقت، لموضوع من موضوعاتها ويمكن تلخيص هذه الفكرة في الشكل التالي:

(\*) نقصد بالتصرف البحثي عملا تحليليا على القرآن من خلال الوسائل المنطقية والمنهجية المستعملة في كل البحوث العلمية على اختلاف حقولها، والمتمثلة في: التصنيف، الترتيب، التجميع، المقارنة والنمذجة وغيرها من الوسائل التي تساعد على إنتاج فهم جديد للنص.

ممارسة نصية (1) عامة ← ممارسة نصية (2) تفصيلية

[ حدى ضبابي للوحدة الكلية للقرآن ] [ الانفتاح على إمكانات التصرف البحثي ]



ممارس نصية جامعة

[ تحديد مجال معين للدراسة ]

[ الربط بين الممارسة (1) و (2) ]

يأتي الحديث عن التقنية عند الحديث عن المرحلة الوسطى التي يمكن تلخيصها بقولنا: هي ممارسة نصية منفتحة على إمكانات التصرف البحثية، وهذه الإمكانيات تتحقق من خلال التقنية فهي بمثابة الأداة التي تساعد على الولوج إلى مستوى من المعرفة لم يكن ممكنا نيله إلا من خلالها ولتبيين ذلك نقدم نقدا لإحدى المحاولات التقنية للعمل على القرآن، ففي ستينات القرن الماضي قامت مجموعة من الباحثين الفرنسيين<sup>(\*)</sup> بتكوين أداة بحثية حول القرآن تسمى "بالتحليل المفهومي للقرآن" Analyse conceptuelle du Coran، وهي عبارة عن سجل للأوراق المثقوبة بالإضافة إلى (1) شفرة (2) تعليقات. هناك 430 سجل، كل واحد منها هو عبارة عن مفهوم والثقوب الموجودة على ورقة كل مفهوم تحيل كل واحدة منها إلى آية من القرآن من أمثال المفهوم مثلا الموجودات الخارقة (ما بعد

(\*) Allard (M.), Elzière (M.), Gardin (J.C.), Hours (F.), Analyse conceptuelle du Coran sur carte perforées, Paris, La Haye, Mouton & Co., 1963, Tome1, Code, 110p., Tome2 Commentaire.

## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

الطبيعة) (D) الله (D1) القوى عموما (D2)، الآلهة الأخرى (D3)، الملائكة (D4)، الشياطين (D5)، الجن (D6) [ملاحظة: كل من D و D1... هي شفرات هذا المفهوم]. يستعمل هذا التحليل المفهومي بطريقة تقنية و منظمة ويسمح بمقاربة النص من خلال تصرف بحثي يحدد محاور عامة وأساسية لـ "الفاعلين" و "الموضوعات" و يبين التفكير فيهما من خلال توظيف مختلف الأوراق المثقوبة (المعبرة عن الآيات) والربط فيما بينها. إن هذا النوع من المحاولات يفتح آفاقا جديدة للممارسة النصية غير أن ثمة ملاحظات حول مثل هذه الطريقة التقنية في العمل على النص منها : (1) أن تكوين مفاهيم التقنية يخضع إلى معايير ليست بالضرورة متوافقة مع الاستعمال النصي، فالمثال أعلاه حول موجودات ما بعد الطبيعة، هناك مساواة بين عناصر نصية مختلفة في مكانتها، في ثراء أو قلة استعمالها، وكذا أهمية دلالاتها، ووضعها في مجموعة واحدة فمثلا الاستعمال النصي حول "الله" مركزي جدا في القرآن وتتولد عنه دلالات أساسية في الرؤية القرآنية، بخلاف الاستعمال النصي للآلهة الأخرى أو للملائكة الذي يأتي قليلا وغير محوري في بناء الرؤية القرآنية. ثانيا أن العلاقات بين هذه المفاهيم تبنى بطريقة تقنية عوض أن تبنى على تماسك السرد القرآني ومنطق الترابط بين وحداته، فالعلاقة بين مواضيع النص هي كذلك موضوع نصي يحتاج إلى دراسة وبحث.

جاءت هذه المحاولة التقنية لإرساء أسس ممارسة نصية مجددة في وقت لم يشهد فيه العالم بعد الثورة الإعلامية والحاسوبية وما رافقها من تقدم هائل. لقد فتحت هذه الثورة المجال أمام سائر العلوم لاكتشاف إمكانات بحثية متعددة، واستعملت، من بين ما استعملت، محركات البحث التي تمكن من



## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

التعامل مع المعطيات بطريقة أكثر نجاعة من جهة توضيحها، تجميعها وإظهار العلاقات الموجودة بينها تسهيلا لتحقيق الوظائف البحثية المطلوبة. إن ثمة ذهنية جديدة ترافق هذه الثورة هي أبعد ما تكون عن الذهنية التراثية. إن استحضار مختلف استعمالات مفردة في القرآن يتم الآن من خلال محركات بحث بسيطة وفي وقت قياسي، سمح ذلك لبعض الباحثين كتابة معاجم لكل مفردات القرآن بمختلف استعمالاتها وكذا تحديد مواقعها<sup>(\*)</sup>، الشيء الذي استحال على المفسرين فعله ولا عجب في ذلك فالتقنية هنا مستحدثة.

إن هذه المعاجم هي أدوات بحث مفيدة جدا خاصة إذا ما استعملت في مقاربات مقارنة فمثلا كلمتي "كتاب" و "قرآن" تأخذان في التفسير القديم دلالات متقاربة جدا تصل حد الترادف، لكننا إذا عمدنا إلى تقنية محركات البحث وألقينا نظرة على المفردتين في المعاجم المفهرسة ووضعنا استعمالات المفردتين جنبا إلى جنب، نرى بوضوح اختلاف الاستعمال القرآني للمفردتين وعدم اشتراكهما إلا في بعض الأوصاف العامة. يبقى أن هذه المعاجم تقدم استعمالات مفردة في القرآن مفصولة عن سياقات ورودها، وتحتاج إلى عمل معقد حتى ترتبط الكلمات مع بعضها في نسق علائقي داخل السرد القرآني.

إن المثالين اللذين قدمناهما يبيّنان من جهة أهمية الجانب التقني في الممارسة النصية باعتبار أنه يمكن من إنتاج معرفة جديدة حول النص (دلالات، علاقات...) لم تكن ممكنة بدونها. إن رهان

(\*) بين أيدنا معجمين عملا على هذه المهمة : الأول لمحمود فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطبعة نويد إسلام، قم ، 1970. والثاني لحسين محمد فهمي الشافعي، الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار السلام، القاهرة، 2008. ما يضيفه المعجم الثاني هو فهرسته للحروف المستعملة في القرآن.

## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

التقنية هنا رهان كبير فعالبا ما يسبق التجديد التقني والإنجازات الكبيرة في هذا المجال الثورات العلمية الكبرى. من جهة تجدر الإشارة إلى أن التقنية ليست بالضرورة أداة حيادية، وإنما تبني على رؤية واعية أو غير واعية تحدد طريقة اقتطاع المادة النصية إلى وحدات الدالة، تراتبية الموضوعات وطريقة تجميعها وما إلى ذلك من آليات ومعايير العمل الخاصة بها.

هنا يمكن القول أن الممارسة النصية تعتمد بالضرورة على التصرفات البحثية الناتجة عن التقنية، شريطة ألا تتعارض مع انتظام السرد القرآني كوحدة كلية فممنه تبدأ الممارسة النصية وإليه تنتهي، وأن يبقى هو المرجع الأول في العمل التقني. إن ما نقوله هنا ليس أمرا يسير التحقيق وإنما هو علاقة جدلية معقدة بين تقنية ونص يمكن أن تسير، في أحسن الأحوال، إلى تحقيق تقنية معقدة للعمل على القرآن تتوافق معه ويكون أساس الرؤية فيها استلهاما عاما من الممارسة النصية الحدسية ذاتها.

نخلص من خلال تعرضنا للعلاقة بين القرآن والمعرفة الغربية إلى التأكيد على طبيعة المشروع الفكري الذي نقصد إليه، مشروع للقرآن كنص مؤسس لرؤيتنا للعالم وليس موضوعا فقط من موضوعات المعرفة الغربية. رغم ذلك يعتمد ارتقاء فهمنا للقرآن لا محالة على التعامل مع المعرفة الغربية في كل وقائعها الإبستمولوجية (الإبستيمي، النظرية والتقنية) فلا مناص من ذلك، و إلا بقينا حبيسي نظرة تراثية للنص بكل ما تحمله من سلبيات ومعوقات. إن التعامل مع المعرفة الغربية يعتمد، في رأينا، على مقولة أساسية هي مركزية الممارسة النصية والمباشرة مع القرآن وهامشية المعرفة الغربية بالنسبة لذلك فالعلاقة المباشرة مع القرآن هي مورد الاهتمامات، الأسئلة و منطق التفكير اللازم إبداعه للتأسيس

## الفصل الثالث: القرآن و المعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة

---

لرؤية قرآنية للعالم. إن العلاقة مع المعرفة الغربية هي علاقة انفتاح وحوار و ربما أيضا علاقة استفزاز واستثارة من الجانبين.

## خلاصة الباب الأول

خلص عملنا في هذا الجزء الأول منه إلى جملة قضايا أهمها:

يسلم عملنا بحفظ القرآن وبأصالة مصدره. إن التصديق بإلهية مصدر القرآن الكريم وحفظه ليس فقط مبدأ عقائدياً وإنما هو مقولة ذات قيمة مثورة للبحث يلزم منها الفصل في العديد من القضايا المعاصرة حول القرآن، وكذلك التأسيس لتعامل جدّي مع هذا النص باعتباره نصّاً مختلفاً يقتضي تعاملًا مختلفاً.

اختلاف هذا النص عن غيره من النصوص التاريخية والأدبية يقتضي التعامل معه بطريقة مختلفة وبوعي مغاير. لأجل ذلك حاولنا النظر للقرآن ليس كمقابل لنصوص أخرى فقط، وإنما كمقابل للعالم من منطلق إشتراك الواقعتين في وحدة المصدر وفي قصد الدلالة عليه. من خلال هذا المنظور يصبح القرآن استعمالاً مخصوصاً للغة العربية، هو بمثابة نظام نصي معقد درجة تعقيده تماثل درجة التعقيد المسلّم بها في موضوعات العالم. لأجل ذلك يوظف وعي العالم وتجربة الإنسان معه في محاولة تشكيل وعي لغوي قرآني تصبح فيه كل وقائعه اللغوية دالة وبطريقة دقيقة (الموقع، الكلمة، إرتباط المواضيع، التقديم، التأخير، التكرار...) كما أن وقائع العالم دالة بشكل متناهي الدقة والنظام.

إن اختلاف القرآن كنص يقتضي تعاملًا منهجياً خاصاً معه يبدأ في أصله من تصوّر القرآن موضوعاً مختلفاً للمعرفة النظرية فهو موضوع يحاورها، يستفيد منها ليتجاوزها في خلال صيرورة

معقدة يصبح فيها رؤية للعالم لا تنتج فقط المواضيع وإنما كذلك مفاهيمها الخاصة لتعقلها. من هذا المنطلق تعطى الأولوية في العمل على القرآن إلى ما أسميناه "الممارسة النصية بوعي معاصر" بدون نفي التعامل المفتوح مع النظريات والاستعمال المهم للتقنيات العلمية المميزة لعصرنا.

# الباب الثاني

الفصل الأول: قراءة نقدية في آيات التفكير في موضوع

الأسماء

الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية

والاستعمالات القرآنية

الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

## تمهيد

جاء هذا الجزء الثاني من عملنا لمباشرة موضوع "أسماء الله الحسنى" بالدراسة و التحليل آخذين كأساس لذلك الرؤية العامة التي حاولنا استيضاح ملامحها في الجزء الأول من هذه الأطروحة. في الفصل الأول من هذا الجزء ذهبنا إلى قراءة ما استطعنا إيجاده من كتب تراثية جعلت من "أسماء الله الحسنى" موضوعا منفردا لها قصدت إلى الكتابة فيه، فعمدنا إلى تحليل آليات عملها وإلى استجلاء المسلمات المضمرة التي تتأسس عليها، فكان بذلك فصلنا الأول بمثابة قاعدة نقدية جعلتنا نستشير العديد من الإشكالات التي نظنّها ذات جدّة في هذا الموضوع. جاء الفصلان اللذان بعدها لمحاولة التفكير في هذه الإشكالات.

استعنا في الفصل الثاني بقراءات حول واقعة "الدلالة" ومتعلقاتها اللغوية بمختلف وحداتها بهدف التفكير في الأسماء الحسنى من منظور دلالي باعتبارها تعريفات بالذات الإلهية داخل السرد القرآني. أهم ما احتجنا إليه في ذلك هما مبحثا المدلولية L'onomasologie والدالية Sémasiologie اللذان يعدان بعض أهم ما تهتم به السيميائية في جهودها للتقعيد لمنطق الدلالة وآليات عمله. قصدا منا للدقة والعمق عمدنا إلى دراسة مادة معجمية واحدة (مادة [علم]) ينتمي إليها أحد أهم الأسماء الحسنى في السرد القرآني وهو اسم الله "العليم". لقد باشرنا بالتحليل كل الاستعمالات القرآنية المنتمية لمادة [علم] وفي مطلعها اسم "العليم" وحاولنا النظر لدلالة هذا الأخير باعتباره جزءا داخل نظام استعماليّ معقّد يتعرّف بها وتعرّف به.

أمّا الفصل الأخير من هذا الجزء فهو فصل تعلّقات الأسماء ببعضها البعض داخل السرد القرآني خاصة منها تلك التي تأتي أزواجاً في أواخر العديد من آي القرآن سواء في معرض التعريف بالذات الإلهية أو كتعقيب على مواضيع مختلفة في سياقات قرآنية معيّنة. لقد تمثلنا هذه الأزواج الإسمية بمثابة بنيات معقّدة قمنا بتحليلها إلى متغيرات ثلاثة "الاسم" و "الرابط" و "الموقع" وقصدنا إلى محاولة استخراج قواعد لاستعمالاتها تتعلّق، ليس فقط بجانبها المنطقي، وإنما كذلك ذاك المتعلق بواقعة الدلالة.



# الفصل الأول

قراءة نقدية في آيات التفكير في موضوع

الأسماء

## تمهيد

عندما نتحدث عن المعرفة عموماً فإننا نتحدث عن مجالات أو حقول تنتظم داخلها هذه المعرفة. تفتح العلوم الإنسانية والاجتماعية التفكير في هذا الموضوع من جانبيين أحدهما إبستمولوجي متعلق بمضمون المعارف والعلوم التي يرسم الحقل العلمي حدودها والآخر هو بمثابة مسائلة لعلاقة هذه المعارف بحياتها الاجتماعية والسياسية أو كما يسميه جورج غورفيتش G. Gurvitch "الأطر الاجتماعية للمعرفة". أما الوجه الثاني من المسائلة فلا سبيل له في موضوعنا، ذلك أن رهانات الاجتماعي والسياسي في تعلقها بموضوع من الموضوعات يحتاج، من الناحية المنهجية، إلى حد أدنى من المعطيات الثابتة (\*) لا تتوفر لدراسة طبيعة ممارسات تجد أصلها في القرون الأولى لتشكيل التراث الإسلامي. بقي لنا الوجه الأول للموضوع وهو ممكن الدراسة باعتبار أن النصوص التي وصلت إلينا هي معارف متعلقة بموضوعاتها وفي نفس الوقت هي سمات ودلائل يمكن استنطاقها ومقارنتها بغيرها ليتبين منها منطق تكوينها وانتظامها، وهذا ما سنعمد إليه.

من وجهة نظر إبستمولوجية يمكن أن نعتبر الحقل العلمي تراكمًا وانتظامًا لمادة معرفية حول موضوع من الموضوعات نتج من خلال منطق مسائلة لهذا الموضوع، منطق أساسه مقولات ضمنية غير مراجعة في هذا الحقل وغالبًا ما تكون غير واعية تعمل على إنتاج طريقة مخصوصة في أشكاله مواضيعها ومسائلها وكذا في تحديد مجال الإجابات الممكنة، والأهم من ذلك تحديد معايير الصحة العلمية فيها (Critères de validité scientifique). إن تراكم المعارف في حقل من الحقول يخلق

(\*) طرق كتابة التاريخ تعتمد على آلية اقتطاع وترتيب لألوية المعطيات التي تثبتتها النصوص التاريخية. إن ما بقي لنا من التراث الإسلامي هو نصوص تتعلق بمضمون المعارف أكثر مما تتعلق بشروط إنتاجها.

معها خبرات الباحثين في تعاملهم مع موضوعاته وبالتالي "تكوّن مجموعة عادات علمية قد تكون نافعة وصحية، تصبح مع مرور الوقت عائقاً أمام البحث"<sup>(1)</sup> إن طول أمد البحث والاتفاق الذي قد يحصل داخل "الجماعة العلمية" من وجهة نظر توماس كوهن Thomas Kuhns هو الذي يمدّ في عهد الحقل العلمي، وهو في نفس الوقت أحد أسباب فنائه، ذلك أن إعادة إنتاج المعارف بشكل مستمر يعتمد، أول ما يعتمد، على الاتفاق الحاصل بين الباحثين والعادات التي تتشكل معه، وهو الشيء ذاته الذي يعيق البحث بكل ما يخلفه من صفات علمية جاهزة، بداهة في التعاطي مع الموضوعات، ومقاومة لكل ما هو جديد ومغاير.

### 1. وصف حقل دراسة موضوع أسماء الله الحسنى

عند الحديث عن الكتب التراثية التي تطرقت لموضوع "الأسماء الحسنى" نجد أنفسنا أمام نوعين أساسيين منها: أولها تلك التي اختصت بموضوع "الأسماء" بطريقة مباشرة ومفصلة وخصصت كل مباحثها لدراسة جوانب متعددة منه. ثانيها كتب عرّجت على موضوع الأسماء و تطرقت، في بعض مباحثها إليه، دون أن يمثّل البحث فيها المقصد الأول لها، وهي بدورها نوعان: كتب التفسير التي قاربت موضوع الأسماء في خلال التفسير الكلي للقرآن، فالأسماء تتخلل السياقات القرآنية المختلفة وتميّزها، وكتب علم الكلام في مباحث الأسماء والصفات وإشكالات التشبيه والتنزيه<sup>(\*)</sup>.

1- Gaston Bachelard, la formation de l'esprit scientifique, Vrin, Paris, 1938.

(\*) يعرض دانيال جيماري Daniel Gimaret في كتابه "الأسماء الإلهية في الإسلام" « Cerf »، قائمة مفصلة جدا لكل الكتب التراثية التي تحدثت عن الأسماء الموجودة منها والمفقودة. راجع الفصل الأول لكتابه (من ص 15 إلى ص 35).

إن النوع الأول منها هو الذي يهمننا في عملنا. إنها تلك الكتب التي قصد الكاتب فيها إلى التفكير في موضوع الأسماء باعتباره موضوعا مستقلا على شاكلة ما يفعل الباحثون اليوم في دراسة موضوعات تحدّد وتفصل عن غيرها ليتم تعميق المسئلة لها. عند تعرّضه لأشكال المقاربات التي نجدها في هذا النوع من الكتب، يقول دانيال جيماري Daniel Gimaret: "يمكن أن نفرق بين ثلاثة أنواع من المقاربات: الأولى معجمية صرفة، تهتم فقط بمعاني الأسماء واشتقاقاتها؛ الثانية، كلامية تهدف إلى تفسير الأسماء الإلهية في إطار نظرية عامة لصفات الله؛ وأخيرا الثالثة، والتي يمكن تسميتها "روحية"، هي تلك التي يقدمها أساسا أتباع مدرسة التصوف. إنها تتمثل في تأمل للأسماء الإلهية من منطلق العبادة والتوجه نحو الله"<sup>(1)</sup>. رغم ذلك لا يمكن فصل المقاربات بطريقة واضحة، وإنما أغلب الكتب هي جمع بين مقاربتين أو أكثر بطريقة معينة وبهذا الشكل تصبح هذه الكتب بمثابة نقاط تماس والتقاء لحقول بحثية مختلفة تعبر عنها مقارباتها لهذا الموضوع.

من زاوية نظر مغايرة، يمكن النظر إلى هذه الكتابات باعتبارها، من ناحية ابستمولوجية، مسار تكوين حقل للكتابة حول هذا الموضوع وتشكّل لقواعده وأعرافه. إن ثمة لحظتين أساسيتين في هذا المسار: الأولى تأسيسية تمّ فيها جمع عدد كبير من الآيات والأحاديث الخاصة بالموضوع، وطرح بعض الإشكالات الأولى والمواقف المبدئية. إن الكتب المعبّرة عن هذه اللحظة هي بمثابة رهان التأسيس لموضوع جديد يبحث مستقلا عن غيره من المواضيع، إنها ترسم حدود الموضوع وتحدّد إمكانات التفكير فيه. إنها لحظة تشكل النواة الصلبة للمقولات الضمنية الأساسية وآليات إنتاج

1- D. Gimaret, Les noms divins en islam, Cerf, Paris, 1988, P15.

المعرفة في هذا الحقل. أشهر الكتب المعيرة عن هذه اللحظة كتاب "الأسماء والصفات" للإمام الحافظ أبي بكر أحمد ابن الحسين ابن علي البيهقي (المتوفي سنة 457هـ). ثاني لحظة يمكن رصدها هي لحظة التصرف في النصوص المؤسسة والعمل عليها، يتم فيها التقيّد بالتقسيم العام الذي تفرضه الكتب المؤسسة ولكنها تعمل في علاقتها باللحظة الأولى من خلال آلية معقدة يتم فيها استبعاد عناصر من النواة الصلبة لهذه الكتب واستبقاء أخرى، بالإضافة إلى إضافات كثيرة قد تصبح معها مضامين الكتب الأولى ثانوية إن لم نقل هامشية، فمثلا كتاب "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى" لأبي حامد الغزالي، إذا ما قارناه بكتاب فائنا البيهقي نلاحظ كثرة الإستشهادات بالآيات والأحاديث عند البيهقي بمقابل ندرتها عند أبي حامد الغزالي، ونجد عملا تأمليا وذوقيا في الأسماء عند هذا الأخير لا نجده في غيره. يوجد كذلك نوع من كتب هذه المرحلة هي كتب تحاول أن تكون جامعة على شاكلة كتاب "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته" للأمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي فهو بمثابة موسوعة للأسماء جمع فيها بين البيهقي وشيء من تأمل الغزالي بإضافة عدد من الإشكالات التي لا نجدها عند الاثنين.\*

## 2. قراءة نقدية للنصوص التراثية حول موضوع الأسماء

نقصد من خلال هذا المبحث القيام بقراءة نقدية لتلك الكتب التي اختصت بدراسة موضوع أسماء الله الحسنى من أمثال ما كتب البيهقي والرازي وغيرهما. إن هذه القراءة النقدية تتكوّن من

(\*)- إن ما تقدمه من وصف هنا ليس عاما وإنما ثمة دائما استثناءات كثيرة فالتصنيف كآلية منطقية غالبا ما يكون اختزاليا. يشذ عن هذا التصنيف مثلا كتاب "اشتقاق أسماء الله الحسنى" للزجاجي الذي لا يتقيد بالنموذج العام لا في منهجية كتابته ولا في أشكالته للموضوع.

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع "الأسماء"

مستويين: أولهما متعلق بطرائق الكتابة في هذا الموضوع و آليات إنتاج المعرفة بها، وثانيهما يعتمد على المستوى الأول، ويحاول موقعة هذه النصوص في علاقتها بالقرآن ومسائلتها بالنسبة له. إن العمل على هاذين المستويين في بحثنا، هو محاولة للإجابة عن الأسئلة الأربعة الآتية:

أ. ما هي أهم الإشكالات التي تقترحها هذه النصوص؟ وما هي المقولات المعرفية المضمرّة التي تؤسّس لها؟

ب. ما هي آليات إنتاج المعرفة المولّدة لهذه الإشكالات؟ وكيف تكوّنت؟

ج. ما هي طبيعة العلاقة بين هذه الإشكالات وما يقدمه السرد القرآني في هذا المضمار؟

د. هل هذه الإشكالات قرآنية في عمقها؟ وهل هناك إشكالات قرآنية غائبة؟

إننا نحاول أن يكون مستويي القراءة النقدية متلازمين ومتكاملين، يقصدان إلى مراجعة عميقة لواقعة إنتاج المعرفة الإسلامية في إحدى مناحيها. إن عملنا على هاذين المستويين سيتخلل تشريحنا لبنية هذه النصوص ومن ثم المسئلة النقدية لها.

للقيام بقراءة نقدية للنصوص التراثية اخترنا عينة منها متكوّنة من ثلاث كتب نراها أساسية وممثّلة للعديد من الكتب الأخرى في موضوع الأسماء وهي:

- كتاب "الأسماء والصفات" للإمام البيهقي.
- كتاب "المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى" للإمام أبي حامد الغزالي.
- كتاب "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته" للإمام القرطبي.

### 3. وصف بنية النصوص التراثية

إن الأمر الأول اللافت للانتباه والذي يواجه القارئ لعدد من هذه النصوص أنها مبنية ومبوبة بنفس الطريقة، فهي غالباً ما تتكون من جزئين أساسيين: الجزء الأول منها يتضمن أهم الإشكالات التراثية حول الأسماء سواء منها اللغوية، الفقهية أو العقائدية والجزء الثاني مختص بتعريف كل اسم من الأسماء الحسنى على حدة<sup>(\*)</sup>. أخذنا في الاعتبار منهجية الكتابة المجزئة بهذا الشكل فإن تحليلنا سيتبع بالنقد كل جزء على حدة بالإضافة إلى مسائلة طبيعة العلاقة بين هذين الجزئين.

إننا ابتداءً نقدّم مختصر فهرس أحد هذه الكتب ليتسنى للقارئ الحصول على رؤية واضحة حول طريقة انتظام محاورها ومعرفة أهم إشكالاتها، وليكن هذا الكتاب هو كتاب الإمام الغزالي:

"محتويات الكتاب

الموضوع

مقدمة المؤلف

صدر الكتاب

الفن الأول – في السوابق والمقدمات وفيه فصول أربعة:

الفصل الأول، في بيان معنى الاسم والمسمى والتسمية

الفصل الثاني، في بيان الأسماء المتقاربة في المعنى

(\*) رغم أن أبا حامد الغزالي و فخر الدين الرازي يوبان في الظاهر بطريقة مختلفة [ وجود 3 أجزاء الأول في السوابق والمقدمات الثاني في المقاصد والغايات الثالث في اللواحق والتكميلات ] إلا أن مردها إلى الجزئين المذكورين أعلاه فالسوابق واللواحق ليست سوى الجزء الأول الخاص بأهم الإشكالات المتعلقة بالموضوع والمقاصد والغايات هي تعريفات الأسماء الواحد تلو الآخر.

الفصل الثالث، في الاسم الواحد الذي له معاني مختلفة

الفصل الرابع، في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله

**الفن الثاني** - في المقاصد والغايات وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول، في شرح معاني أسماء الله التسعة والتسعين

الله

الرحمن الرحيم...

الفصل الثاني، في بيان وجه رجوع هذه الأسماء الكثيرة إلى ذات وسبع صفات، على مذهب أهل

السنة

الفصل الثالث، في بيان كيفية رجوع ذلك كله إلى ذات واحدة، على مذهب المعتزلة والفلاسفة

**الفن الثالث** - في اللواحق والتكميلات وفيه فصول ثلاثة:

الفصل الأول، في بيان أن أسماء الله تعالى من حيث التوقيف غير مقصورة على تسعة وتسعين

الفصل الثاني، في بيان فائدة الإحصاء والتخصيص بتسعة وتسعين

الفصل الثالث، في أن الأسماء والصفات المطلقة على الله، عز وجل، هل تقف على التوقيف أم تجوز

بطريق العقل؟<sup>(1)</sup>

---

1- أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، دار ابن حزم، 2003، ص 180.



## أ- القسم الأول: الإشكالات العامة حول موضوع الأسماء

### أ.1. الإشكال الأول: "الاسم" وما تعلق به

إن أحد أهم الإشكالات المتعلقة بموضوعنا هو إشكال "الاسم" وما تعلق به من تعريفات ودلالات، فهو المقولة الأساسية والافتتاحية عند الحديث عن "أسماء الله الحسنى". رغم ذلك لا نجد الحديث عنها في كل النصوص المتعلقة بالموضوع، وإنما البعض منها فقط يفرد لها بابا مقتضبا غالبا ما نخصّ الحديث فيه عن أصل اشتقاق الكلمة "اسم" و مذاهب اللغويين في ذلك ونقدم للقارئ نموذجا للحديث عن هذا الباب من كتاب "اشتقاق أسماء الله" لأبي القاسم عبد الرحمان بن اسحاق الزجاجي (المتوفي سنة 340هـ) ففي باب "القول في اشتقاق الاسم" يقول "أجمع علماء البصريين، ولا أعلم عن الكوفيين خلافا محصلا مستندا إلى ما يوثق به أن اشتقاق "اسم" من سموت أسمى: أي علوت كأنه جعل تنوينها بالدلالة على المسمى لما كان تحته فأصله "يسمو" على وزن حمل، و يحدق و قنو وحنو. الدليل على ذلك قولهم في الجميع أسماء كما قيل: أقناء، وأحناء، وأحمال. وفي التصغير "سُمي" كما قيل: حني، وقني، وقد جمع الجمع فقيل أسماء وأسام وهذا بيّن واضح. وقد حكى أن بعضهم يذهب إلى أن أصله من "وسمت" كأنه جعل سمة للمسمى، وحسب القائلين بهذا القول ذهبوا إلى ظاهر المعنى ولم يمعنوا النظر في مقاييس العربية لأنه في الظاهر لائق به أن يكون الاسم سمة للمسمى يعرف بها لأن أصله ليس السمة لأن السمة من "وسمت" فاء الفعل منها واو و"اسم" من

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع "الأسماء"

السمو ولام الفعل منه واو<sup>(1)</sup>. أيًا يكن الفصل في هذه القضية اللغوية، هذا كل ما تقوله النصوص في هذا المجال، أو قد تزيد شيء قليلا لا يغير من حاصل هذه القضية.

في كل الأحوال تبقى المقولة المؤسسة لهذا المبحث محل لبس كبير فكلى الاحتمالين اللغويين (سمو-وسم) يقيان دون تفصيل ودون توابع منهجية في فهم هذا الإشكال. إذا كان أصل كلمة "اسم" من سمو ما هي تبعات أصل الاشتقاق هذا في رؤيتنا للأسماء الحسنى: سمو بالنسبة لماذا؟ هل هي مرتبة وجودية للاسم على شاكلة ما يقول الصوفية؟ إذا كان أصل كلمة "اسم" من "الوسم" أليس ثمة ضرورة للتفكير في دلالة المُعبر والفروق الموجودة بينه وبين كلمات مجاورة في الاستعمال القرآني مثل آية - علامة... حقل المعرفة الإسلامية في مدارسته لموضوع "الأسماء" يعمل بمقولة ضبابية ولا يثورها معرفيا.

هنا كذلك لا نجد لمفردة "اسم" في الاستعمال القرآني أيّ دراسة مفصّلة وبقي التفكير في الموضوع تفكيراً صرفياً بحثاً. إن دراسة خاصة لاستعمال المفردة في القرآن قد تساعدنا على الفصل في هذا الإشكال وربما اقتراح اتجاهات بحث جديدة، ليس هناك مجال الحديث فيها.

إن مبحث الاسم في هذه النصوص يخلوا كذلك من مسائلة لدلالة ترتبط به بطريقة وثيقة ألا وهي دلالة "الحسنى"، فعدى بعض الإشارات هنا أو هناك ورغم مركزية هذه المقولة في الرؤية الإسلامية وثناء الاستعمالات المرافقة لها من قبيل "الحسن" "الإحسان" "المحسن" لا نجد تفاصيل كثيرة حول هذا الوصف باعتباره عماد تصور جمالي في القرآن. إننا في هذا الإطار لا نجد أسئلة من قبيل

1- الزجاجي ، إشتقاق أسماء الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1986 ص 255.

لماذا لا تنعت الأسماء بنعوت أخرى من قبيل "العظمى" "الكبرى" مثلاً؟ ما دلالة ارتباط الأسماء بعدد جمالي لصيق بها؟

إلى كل ما سبق ذكره، يجدر أن نضيف إشارة حول "الاسم" تأتي من الاستعمال القرآني لهذه المفردة وهي أن مقولة "الاسم" كثيراً ما تأتي كمقولة وسيطة بين إسمي "الله" و "رب" وبين أجزاء أخرى من السرد القرآني والشواهد على ذلك كثير من قبيل "بسم الله الرحمن الرحيم" "سبح اسم ربك الأعلى" "اقرأ باسم ربك الذي خلق". من منطلق رؤية وظيفية يمكن أن نتساءل عن الوظيفة الدلالية التي يؤديها الاسم في السياق القرآني.

من كل ما سبق تظهر هامشية هذا المبحث في النصوص الخاصة بالأسماء، رغم مركزته في تشكيل رؤية حقيقية للموضوع. بالإضافة إلى انحراف البحث فيه إلى الجانب اللغوي الصرفي وانحصاره فيه ولا نجد دراسة لإشكالات أساسية في الاستعمال القرآني. يعبر هذا المبحث، من جهة، عن آلية لإنتاج المعرفة الإسلامية تعمل باستبقاء مواضيع والتركيز عليها واستبعاد أخرى، آلية تعمل غالباً خارج النص أو على الأقل من خلال أولوية الإشكالات الخاصة بحقول هذه المعرفة على إشكالات القرآن كنص مؤسس لها.

### **أ.2. الإشكالات الثاني: تحديد الأسماء والتعرف عليها**

لقد ثار جدال كبير في النصوص الدارسة لموضوع الأسماء عن تحديد عدد هذه الأسماء وعن ماهيتها وتعدد الإشكالات بوجود أحاديث في هذا المضمار وأصبحت الأسئلة المطروحة حول هذا الإشكالات من قبيل: هل نعتمد الحديث القائل بوجود تسع وتسعين اسماً؟ ماهي هذه الأسماء التسع

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع "الأسماء"

وتسعون؟ هل توجد أسماء أخرى للذات الإلهية؟ ما هي؟ يقول الإمام القرطبي متحدثاً عن الموضوع أنه "لم يذكر الله تعالى لأسمائه في كتابه عدداً مسمى..."<sup>(1)</sup> أما عن الأحاديث الواردة في ذلك فأشهرها وأوثقها الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، الله وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة" رواه البخاري (2736) ومسلم (2677) ونذكر هنا الحديث المروي عن أبي هريرة والمخرج لدى الترمذي رقم (3507) في كتاب الدعوات، (83) باب أسماء الله الحسنى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هو الله الذي لا إله إلا هو، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمَصْصُورُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعْزِزُ، الْمَذَلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيفُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمَجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمُتَيْنُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِي، الْمَعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمَمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمَقْدَمُ، الْمُؤَخَّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَابُ، الْمُنتَقِمُ، الْعَفْوُ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ الْمَلِكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسَطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمَغْنِيُّ، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ."<sup>(2)</sup>

لقد أثار هاذين الحديثين ارتباكاً وجدالاً حول تحديد أسماء الله الحسنى وذلك من وجهين:

1- القرطبي، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، مكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص1.

2- نفس المرجع ص 54.

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع "الأسماء"

أولهما من حيث سنده فالبيهقي مثلاً يرى أن الحديث الثاني "ضعيف عند أهل النقل... ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة، ولهذا الاحتمال ترك الشيخان إخراج حديث الوليد في الصحيح"<sup>(1)</sup> ثانيهما: أن ثمة أسماء ذكرت في القرآن ولم تذكر في الحديث وعكس ذلك أيضاً فهناك أسماء لم تذكر في القرآن وذكرت في الحديث، أضف إلى ذلك أسماء ذكرت في أحاديث أخرى مثل "يا حنان يا منان" ولم تذكر في هذا الحديث.

إن هذا الارتباك الحاصل في التعرف على أسماء الله الحسنى أثر حتى في القناعة الأولى أن عدد الأسماء تسعا وتسعين، وأثيرت تبعاً لذلك قضايا متعلقة بعدد الأسماء الحسنى، فذهب أغلب الكتاب إلى أن عدد الأسماء غير محدد.

وتوجد أحاديث أخرى تضيف لهذا المتن قائمة من تسعة وتسعين اسماً. إنها أحاديث ذات أسانيد مختلفة وبقوائم مختلفة من الأسماء (لهذه القوائم أجزاء كبيرة مشتركة). القائمتين "الأكثر ظهوراً، واللذان يتحدث عنهما البغدادي معاً (في تفسيره) والبيهقي (بعد الخطابي والحلي) هما رواية الوليد ابن مسلم ورواية عبد العزيز... ولكن هناك قائمتين أخرتين. القائمة الثالثة منها ترجع إلى زهير ابن محمد التميمي وهي بدورها تروى بطريقتين مختلفتين والقائمة الرابعة للشيعة الامامية تصل إلى ابن ابي طالب عن طريق سليمان ابن مهران.<sup>(\*)</sup>

1- البيهقي، كتاب الأسماء والصفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص8.  
(\*) لدانيال جيماري Daniel Gimaret فصلان في الموضوع يقدمان نظرة تقنية وتفصيلية جيدة في هذا الإشكال : الفصل الأول "حديث لـ 99 اسماً والقوائم المتنوعة" والفصل الثاني : القوائم التقليدية والقرآن (بين ص 51 إلى ص 83)

إن عدد تسع وتسعين ليس ملزماً، فهذه القضية أفرد البيهقي باباً سماه (باب بيان أن الله جل ثناؤه أسماء أخرى) وقال فيه أن "ليس في قول النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وتسعون اسماً نفي غيرها وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني"<sup>(1)</sup> وذكر عدداً من الأسماء التي وردت في بعض الأحاديث على سبيل الإثبات. المشكل هنا أن قناعة تجاوز عدد الأسماء التسعة والتسعين لم يدفع بأغلب الكتاب إلى استقراء حقيقي لعددتها في القرآن، بكل ما تقتضيه هذه العملية من صرامة ومن قدرة على إنتاج المعرفة، بغرض الحصول على قائمة واضحة ودقيقة عدى ما ذكر القرطبي عن ابن العربي الفقيه، أنه استقرأ الأسماء الحسنى وعددها فانتهدت إلى ستة وأربعين ومائة. هنا إحدى البؤر المعبرة عن آليات إنتاج المعرفة الإسلامية عموماً وحقل الأسماء خصوصاً، ذلك أن مصدر الإشكال هنا وآليات التفكير فيه تعتمد على أولوية السنة على القرآن فمثار الجدل كله جاء حول أحاديث في هذا المضمار وليس حول عمل مباشر وتعاط استقرائي مع القرآن.

إن اتجاه التفكير في هذه القضية ذهب كذلك إلى فتح المجال للفرق الإسلامية لكي تخوض في أسماء قد تقترحها هذه الفرقة أو تلك مثلما فعلت الحشوية في تسميتها لله عز وجل "إماناً" أو القدرية "دليلاً". لقد تم التعامل مع هذه القضية بالثنائية الفقهية (يجوز - لا يجوز) على شاكلة ردود الإمام أبي الحسن الأشعري في كتابه. ما يلاحظ على هذا الاتجاه في الدراسة للموضوع أنه حدد الإشكال كله في مقولة العدد (حساب العدد + تحديد الأسماء) ولم يتعدى الأمر إلى أسئلة، قد تكون قريبة في هذا الباب ولازمة منه، مثل سؤال التعدد: أن يكون عدد الأسماء تسعة وتسعين أو أقل أو أكثر،

هذه أعداد كبيرة من الأسماء تقتضي التفكير في ماهية كثرتها وتعددتها. لماذا هي كثيرة بهذا الشكل اللافت؟ ما هي دلالة ذلك؟ ما هي العلاقات الموجودة بينها؟ هل تنتظم كلها في رؤية كلية؟ ما هي دلالة ذلك عقائديا وفلسفيا؟ وما إلى ذلك من الأسئلة التي كان يمكن أن تكون امتدادا لهذا الإشكال. إن الأهم في هذا الإشكال ليس تحديد قائمة ظهر الارتباك فيها وإنما بناء موضوع والتفكير فيه من منطلق قرآني.

### أ.3. الإشكال الثالث : الاسم، المسمى والتسمية

هذا أحد الإشكالات التي استحدثت بعد الكتابات الأولى حول الأسماء، فالبيهقي مثلا لم يتطرق لهذه المسألة، وأصبح هذا الإشكال ملازما للكتابة حول موضوع الأسماء ومرتبطا به ارتباطا وثيقا. لقد اختلف في هذه المسألة من حيث أهميتها وجدواها<sup>(\*)</sup> فالغزالي، وبعد مناقشة مطولة لهذا الموضوع ينهي كلامه بقوله "فهذا القدر يكفيك في كشف هذه المسألة وإن كانت المسألة، لقلة جدواها، لا تستحق هذا الإطناب. ولكن قصدنا بالشرح تعليم طريق التعرف لأمثال هذه المباحث، لتستعمل في مسائل أهم من هذه المسألة، فإن أكثر تطواف النظر في هذه المسألة حول الألفاظ دون المعاني والله أعلم."<sup>(1)</sup> ويخالف الغزالي في موقفه القرطبي وابن العربي دون بيان لأصالة هذا الإشكال في هكذا موضوع.

(\*) إن ما نقصده هنا وهو ما يسميه الإيستمولوجيون اليوم القيمة (Valeur Heuristique) أي ما تضيفه مسألة أو إشكالية لحقل الممارسة العلمية، والأهمية التي تكتسبها في ذلك.  
1- أبو حامد الغزالي، نفس المرجع، ص39.

إن أصل الإشكال حول مطابقة الاسم للتسمية وكذا الاسم للمسمى، ونستعمل هنا معنى المطابقة للحديث عن مبدأ منطقي حوله مدار النقاش وإن لم يظهر جليا وهو مبدأ الهوية؛ فهل الاسم هو التسمية أم لا؟ وهل الاسم هو المسمى أم لا؟ وحول معنى "الهوية" وفهمها اختلفت الرؤى فمن مطابق بينها كلها إلى مفرّق بينها كلها تعددت المواقف وتباينت أوجه الاستدلال عليها. اللافت هنا أن كل النقاشات تنحو منحى لغويا بحثا عدى الغزالي الذي ناقش مبدأ الهوية من وجهة نظر فلسفية من خلال تفريقه بين مراتب الوجود ( الوجود العيني أو الحقيقي، الوجود الذهني والوجود في اللسان كما يسميه) وحدد لكل من الاسم، التسمية والمسمى مواقع وجودها فهي وإن كانت متصلة ببعضها فهي لا تنتمي لذات الوجود فالمسمى من قبيل الوجود العيني (الحقيقي) والاسم تجريد ذهني ينتزع من ملاحظة الوقائع أو تصورها، وأخيرا التسمية خاصة بالوجود في عالم اللسان فهي انتزاع لكلي عقلي حول واقعة الربط بين الاسم والمسمى.

### **أ.4. الإشكال الرابع: إشكال التصنيف**

لقد اهتمت الكتب التراثية بإشكال التصنيف في محاولة لتجاوز صعوبة التعامل مع كثرة الأسماء و تنوعها فوضعت لذلك عناوين رئيسة ومحاور كبرى تجمع تحتها عددا كبيرا من الأسماء. إن مدار مختلف محاولات التصنيف على أمرين: أولهما تصنيف للأسماء باعتبار دلالتها على شاكلة ما فعل الإمام الحسين ابن الحسن الحلبي في كتابه " منهاج الدين " وأعتمد هذا التصنيف من بعده من قبل كثير من الكتاب في الموضوع. ثانيهما تصنيف للأسماء باعتبار بناءها الصوري، تصنيفا يربط بين



الدلالة اللغوية وتبعاتها المنطقية على شاكلة ما فعل الغزالي في كتابه. يبقى أن نشير أن هناك العديد من التصنيفات التي لم نوردتها هنا مثل تصنيف عبد الجبار الذي يعتمد تصنيفه على التقسيم بين أمرين: (1) أسماء وصفات الذات (2) أسماء وصفات الأفعال. تصنيف كذلك مشهور يرجع إلى الرازي وهو يشبه كثيرا تصنيف الغزالي إلا أنه لا يفرق فيه بين أسماء الذات وأسماء الصفات.

#### أ.4-1. التصنيف الدلالي للأسماء

يقول الحاكم أبو عبد الله الحسيني ابن الحسن الحلبي في "منهاج الدين" (نقلا عن البيهقي) "في ما يجب اعتقاده والإقرار به في الباري سبحانه وتعالى عدة أشياء (أحدها) إثبات الباري جل جلاله لتقع به مفارقة التعطيل. (الثاني) إثبات وحدانيته لتقع به البراءة من الشرك. و(الثالث) إثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض، لتقع به البراءة من التشبيه و(الرابع) إثبات أن وجود كل ما سواه كان من قبل إبداعه له واختراعه إياه لتقع البراءة من قول من يقول بالعلة والمعلول. و(الخامس) إثبات أنه مدبر ما أبدع ومصرفه على ما يشاء لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع، أو بتدبير الكواكب، أو تدبير الملائكة. ثم إن أسماء الله تعالى جدّه التي ورد بها الكتاب والسنة، وأجمع العلماء على تسميته بها، منقسمة بين العقائد الخمس، فيلحق بكل واحدة منهنّ بعضها وقد يكون منها ما يلتحق معنيين، ويدخل في بابين أو أكثر"<sup>(1)</sup> إننا نتصور بنية كل قسم من الأقسام الخمسة الخاصة بهذا التصنيف بالشكل الآتي:

## إثبات (صفة V فعل ← براءة (شرك، تشبيه، تعطيل...))

أي أن هذا التصنيف يعمل بثنائية الإثبات والنفي، كل إثبات لصفة أو فعل يقصد إلى نفي أجزاء أو أوصاف أخرى من رؤية مغايرة. إن هذا التصنيف يعمل بمثابة خطاب مضاد لكل ما يحاول أن ينفيه، بمعنى أن الرؤية المضمرة للأسماء هنا هي رؤية تشكلت بمقابل التراث الأسطوري و الديني السائد في تلك المرحلة.

يستوقفنا في هذا التصنيف الذي يقدمه الحلبي القسم الثالث من أقسام الإثباتات الخاص ببراءة الله عز وجل من التشبيه. إن هذا الصنف من الأسماء يتضمن إشكالية أساسية حول موضوع الأسماء تتعلق بعلاقة الله عز وجل بالإنسان، فالأسماء تأتي داخل اشتراك لفظي في الاستعمال، فكثير من الكلمات تستعمل في معرض الحديث عن الأسماء الحسنی وفي ذات الوقت تستعمل كأوصاف للإنسان. إن مدار الإشكال حول القضيتين يمكن أن ينظر إليه كعناصر منفصلة:

- قضية اشتراك أسماء بين الله و الإنسان وما هي معايير التفريق بينهما وطرائق الفصل في ذلك .
- قضية تنتج من السابقة وهي الحديث عن حظ الإنسان من الأسماء سواء تلك التي يشترك فيها مع الله عز وجل أو تلك التي لا يشترك فيها.

القضية الأولى يفصلها ابن العربي نقلا عن القرطبي في كتابه فيقول "اعلموا وفقكم الله، أن أسماء الله تعالى في جواز الإطلاق والإخبار بها لفظا عنه وعن العباد على أربعة أضرب:

ما لا يجوز أن يخبر بها عن العبد بحال كقولنا: الله، والرحمان، ولهذا قال "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن

أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" (1) على ما يأتي بيانه

الثاني: ما يكون من صفة الله تعالى واجبا وفي صفة العبد جائزا. كالعالم والقادر وقد تقدم هذا .

الثالث: ما يكون في حق الله حقا وفي حق العبد باطلا كقولنا: الجبار المتكبر، وإنما كان كذلك لأن

الجبرية والكبرياء تناقض حال العبد وتضاده فلم تكن له بحال.

الرابع: ما يخبره به عن الله تعالى وعن العبد كخالق، فإنه جائز في حق الله بمعنى، ويكون في حق

المخلوق جائزا بمعنى آخر يستحيل ذلك المعنى على الله تعالى [...] فهذه نكتة تكشف لك سرا

عظيما من أسرار أسماء الله تعالى، وتكشف لك عن دقيقة في حق افتراق الاشتراك في الإطلاق على

الله سبحانه وعلى العبد في ألفاظ الأسماء ومعانيها" (2).

أما القضية الثانية فيجعل منها الغزالي محورا أساسيا في رؤيته لموضوع الأسماء، فهي تتخلل تقريبا كل

تعريفات الأسماء. إنه يرى أن من بين وظائف الأسماء بناء النموذج الأمثل للأخلاق (الصورة المثالية

عن الله عز وجل) وضرورة أن يحاول الإنسان الحصول على حظ منها ولهذا الغرض يفرد بابا في كتابه

سماه "في بيان أن كمال العبد وسعادته في التخلق بأخلاق الله تعالى، والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه

بقدر ما يتصور في حقه" (3) ويقول فيه بحظ العبد من "السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات

1- القرآن الكريم، "سورة الإسراء"، الآية. 110.

2- القرطبي، نفس المرجع، ص 88.

3- الغزالي، نفس المرجع، ص 45.

والتخلق بها والتحلي بمحاسنها"<sup>(1)</sup>. لقد خصص الغزالي في آخر شرح كل اسم من أسماء الله الحسنى جانبا لحظ العبد من كل اسم واجتهد في البرهان على شرعية هذه النظرة تارة بمنطق الفقيه وتارة بمنطق الصوفي.

تشارك نظرة ابن العربي والغزالي في كونهما تتطرقان للموضوع من منظور ثنائية فقهية (ما يجوز/ ما لا يجوز) ولكن تختلفان في مبدأ توظيف مبحث الأسماء فالغزالي يبحث، بعد وظيفة تعرّف العبد على ربّه سبحانه، عن توظيف جديد للأسماء وعن استعمال قيمي لها. هنا يمكن التسائل عن وظيفة مبحث مثل "الأسماء" في المعرفة الإسلامية، ذلك أن ثمة وظيفة أصلية وضرورية هي التعريف بالذات الإلهية وهي أمر تعدي، ووظائف ممكنة قد توسع مجال استثمار هذا المبحث.

### أ. 2-4. التصنيف الصوري للأسماء

سبق وأن ذكرنا أن عملية التصنيف هي محاولة لاختزال الكثرة داخل القلة المعبرة عنها وعند تعامله مع تعدد الأسماء وكثرتها حاول الغزالي اقتراح نموذج تصنيف مبدع في طريقته. يقول في ذلك "لعلك تقول: هذه أسماء كثيرة، وقد منعت الترادف فيها وأوجبت أن يتضمن كل واحد معنى آخر، فكيف يرجع جميعا إلى سبع صفات؟ فاعلم أن الصفات إن كانت سبعا فالأفعال كثيرة والإضافات كثيرة والسلوب كثيرة، ويكاد يخرج جميع ذلك عن الحصر. ثم يمكن التركيب بين مجموع صفتين، أو صفة وإضافة، أو صفة وسلب أو سلب وإضافة. ويوضع بإزائه اسم، فتكثر الأسماء بذلك"<sup>(2)</sup> إن

1- الغزالي نفس المرجع ص 46.

2- الغزالي نفس المرجع ص 157.

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع "الأسماء"

هذا المقطع من كلام الغزالي يبين الديناميكية القائمة على التعدد اللافت في الأسماء، وهو بعد ذلك يقدم تصنيفا يتعرّض للأسماء ليس فقط من حيث مضامينها الدلالية وإنما كذلك من خلال ربط ذلك بمتغيرات ( في اصطلاحنا المعاصر) وتحليل الاسم وتفكيكه إلى العناصر المكونة له، وهي نوعان: عناصر أساسية إما الذات أو إحدى الصفات (مثل العلم) وعناصر مكملة تحدد دلالة الأسماء وتفسر التباين والتنوع الموجود فيها وهي متغيري الإضافة والسلب. هاذان الأخيران عنصران متناقضان قد يعملان مستقلاً عن بعضهما البعض وقد يلتقيان في اسم واحد ليكمل أحدهما الآخر<sup>(\*)</sup>، أي يضاف للذات ما يسلب من سواها والعكس صحيح. هنا ديناميكية (الإضافة/السلب) تعمل بمقابل موضوع الوجود، فلا يكون السلب بالضرورة خاصاً بالذات أو الإضافة خاصة بها كذلك مثلاً في مثال اسم الله "الملك" هناك سلب للاحتياج عن الذات وإضافة لاحتياج ما سواها لها. إن هذه الرؤية تعبر عن الموضوع بالشكل التالي:

موضوع هو: (ذات V صفة V صفة فعل) + علاقة تقابل (إضافة V سلب V معا) مع الموجودات وهي رؤية تختلف عن النظرة الأرسطية للموضوع والمحمول وعن أساسها الأنطولوجي من جوهر وعرض.

(\*) لا تلتقي الإضافة والسلب إلا في الذات وليس في الصفة.

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع "الأسماء"

يمكن تلخيص التصنيف المعقد الذي يقدمه الغزالي على الشكل الآتي:

ذات	الله
ذات + سلب	الغني: المسلوب عنه الحاجة
ذات + إضافة	العلي: الذات التي فوق سائر الذوات
ذات + سلب + إضافة	الملك: ذات لا تحتاج إلى شيء ويحتاج إليها كل شيء
صفة	العليم
صفة + سلب	لا يقدم له مثالا
صفة + إضافة	الخبير: يدل على العلم مضافا إلى الأمور الباطنة
صفة فعل	الخالق
صفة فعل + إضافة	مجيد: يدل على سعة الإكرام مع شرف الذات
صفة فعل + سلب	لا يقدم له مثالا

إن هذا التصنيف يفتح المجال للتفكير في موضوع الأسماء بطريقة مجردة وشبه رياضية. ما يمكن أن نلاحظه هنا هو انفصال مباحثة الأسماء الحسنی عن سياقاتها النصية فالأسماء غالبا ما ترد في علاقات مع أسماء أخرى مثل "عليم حكيم" و "غفور رحيم" وهكذا. ومن منطلق التصنيف الذي يقترحه الغزالي تظهر بعض الإشكالات في فهم الأسماء:

أ- من منطلق هذا التصنيف ثمة في كثير من الأحيان ذات صفة + إضافة. إذا ربطنا هذا التصنيف بالعلاقات الممكنة بين الأسماء فقد يحدث أن يقع تكرار مثلما هو الأمر مثلا بين "عليم" و "خبير" فهما بالشكل الذي يقدمه الغزالي: "عليم خبير" هي صفة + نفس الصفة + إضافة. نلاحظ تكرار نفس صفة. يدفعنا ذلك إلى التساؤل عن الرؤية التي يبني عليها هذا التصنيف ودلالة التكرار في التعريف بالذات الإلهية.

ب- كذلك من منطلق هذا التصنيف إذا ما فُكّر فيه من خلال استعمالات الأسماء في القرآن (خاصة الاستعمالات الزوجية) لا تتضح لنا طبيعة العلاقات الموجودة بين الأسماء التي تختلف في دلالتها.

ربما ثمة إمكان آخر في التصنيف يتجه من الاستعمال القرآني للأسماء ويحاول بلورة تصنيف آخذاً في الاعتبار سياقات ورود الأسماء وخصائصها السردية، فمثلا يمكن تصور تصنيف بمعيار علائقي أي يرتبط الاسم مع غيره أم لا ثم في حال الارتباط ما هي الأسماء التي يربط بها ونذهب إلى مسائلة لهذا الموضوع من منطلق النص القرآني ذاته. عموما يمكن أن نلاحظ على مختلف التصنيفات الخاصة بالأسماء كونها "تستلزم بالضرورة قسطا، قلّ أو أكثر، من الاعتباطية. أن يختار كل واحد (من المصنفين) مقولة ما يفرض بالضرورة اختيار تأويل معين، الذي لا يكون دائما بديها، بل أبعد ما يكون عن ذلك<sup>(1)</sup>. إن معايير الذات/الصفة، الذات/الفعل هي معايير تحتاج إلى مسائلة من الاستعمال القرآني ذاته. إن هذه المعايير تتأسس ضمينا على مقولات خاصة بالإنسان ومن خلال آلية المماثلة نسحبها

1- D. Gimaret, Opcit, P 105.

لنجعل منها طريقة في تنظيم الأسماء الحسنى. أضف إلى ذلك أن الهدف من هذه التصنيفات ليس إلا تجاوز إشكال الكثرة فهي لا تقصد إلى أبعد من ذلك. هنا يمكن ملاحظة، أن التصنيف من ناحية منهجية، لا يقصد لذاته وإنما هو حلقة من حلقات البحث، لها ما يسبقها من مسائل محددة للموضوع المدروس، وما تقصد إلى إظهاره مثل أن يختص كل صنف بمنطق معين يحدد فهمنا للموضوع وهكذا.

## ب. القسم الثاني: تعريفات الأسماء

الجزء الثاني الموجود في النصوص الدارسة لموضوع "أسماء الله الحسنى" والذي نجده في كلها تقريبا، يعمل على شرح الأسماء واحدا واحدا بحسب القائمة التي يتبناها الكاتب لهذه الأسماء وهي قوائم، كما سبق ذكر ذلك، متعددة ومتنوعة. إننا هنا نقدم نموذجا لشرح اسم من الأسماء الحسنى لنعمد بعد ذلك إلى تحليله واستخراج أهم ما يتضمنه من آلية لإنتاج الدلالة ومحاولة فهم منطقتها، وأخيرا نعمد إلى التفكير في علاقتها بالقرآن الكريم .

وقع اختيارنا على كتاب "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" للإمام القرطبي (حول اسم الله "الكبير") وذلك لأن هذا الكتاب متأخر عن أكثر الكتب الأخرى (البيهقي، الغزالي، الرازي...) وهو تركيب لما تتضمنه ويعبر عن خلاصة لطريقة الاشتغال على الموضوع شاملة لسابقه ومكملة لها. يقول الإمام القرطبي في شرحه لاسم الله "الكبير" "ورد في التنزيل فقال" فالحكم لله العلي الكبير" (غافر: 12) وقال "الكبير المتعال" (الرعد: 9) وجاء في حديث أبي هريرة، وأجمعت عليه الأمة. وروي عن ابن



عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم في الأوجاع والحمى "باسم الله الكبير نعوذ بالله العظيم من شرّ عرق نَعَار ومن شرّ حرّ النَّار" ويجوز إجراؤه على العبد وصفا منكرا كما تقدم. فأما "الله أكبر" وإن ورد مطلقا فهو يتضمن الإبانة وذلك دليل جريانه على العبد. وكبير: على وزن فعيل. مثل طريف. والماضي منه: كبر - بكسر العين - يكبر - بفتحها في المستقبل - إذا أريد به كبر السنّ... والكبر - بكسر الكاف وفتح الباء - مصدر الكبير والكبار. تقول: رجل كبير، وكبار بين الكبير. وفي التنزيل: "إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما" (الإسراء: 23) والكبر والكبرياء؛ ما يجده المتكبر منا في نفسه، وهو جماع يعروه تعاضم مع استصغار لمن تكبر عليه، قال الله عزو جل "إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه" (غافر: 56) وكبر الشيء أيضا: معظمه. قال الله تعالى: "والذي تولى كبره" (النور: 11) وقد يكون كبير من كبر بضم العين في الماضي والمستقبل وله معنيان: أحدهما: كبر القدر والعظمة ويرجع ذلك إلى كمال الصفات وعظمة الذات والتقدم في المرتبة وبالمنزل والرتبة والسبق في الفضل وإلى الرفعة، كتقدم الأمر على المأمور، والمالك على المملوك، والفاضل على المفضول. ومنه قول العرب: فلان أكبر قدرا وأعظم سلطانا من فلان. وهذا المعنى هو الذي يليق بجلال الله سبحانه من كبر القدر والخطر والرتبة في الأسماء الحسنى واستحقاق الصفات العلى، وعلى هذا قوله تعالى: "ولذكر الله أكبر" (العنكبوت: 45). والمعنى الثاني: كبر الحجم وعظم الجرم والجلته، تقول: هذا الجسم أكبر من هذا، ومنه قوله تعالى "خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس" (غافر: 57) وهذا محال في حق الله تعالى وإنما الذي يليق بجلال الله سبحانه، المعنى الأول. فالكبير على هذا وصف ذاتي له بالإضافة إلى رتب الموجودات كلها وأقدارها المعنوية، فكل موجود في الوجود

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آيات التفكير في موضوع "الأسماء"

سوى الله تعالى فهو صغير القدر والرتبة، والله سبحانه الكبير على الإطلاق وحده، أي الموصوف بالعظمة والجلال وكبر الشأن، فصغر دون جلاله وعظمته كل كبير... فيجب على كل مكلف أن يعلم: أن الله سبحانه هو الكبير على الإطلاق الذي لا شيء أكبر منه، وينزهه عن صفة الأجسام والأجرام كما نزه تعالى بقوله الحق "الكبير المتعال" (الرعد:9) فأخبر أنه الكبير واقتضت الألف واللام الحصر، ثم قال: "المتعال" فنزه نفسه سبحانه عما تكبر به الأجسام، وتعظم به الأجرام. ومن اعتقد ذلك فهو مشبه بجسم، مشرك. ثم عليه أن يتخلق بالأخلاق الحسنة الجميلة والسجايا الرفيعة الكريمة الجليلة، حتى يكون كبير قومه وشريف أهل زمانه وقرنه، ويتصاغر لكبريائه ويترك الإباء عن المسارعة في طاعته وترك الاستكبار على ما يأتي بيانه عند اسمه "المتكبر" إن شاء الله، ثم يثني عليه بهذا الوصف بلسانه متابعا بذلك عقد جنانه، فحينئذ ينشرح بنور الله صدره ويكبر قدره، فيكون كبيرا في الأرض والسماء بما رزقه من معرفة حقائق الأسماء" (1).

إن تعريف القرطبي وطريقة شرحه لهذا الاسم هي نفسها التي نجدها في شرح كل الأسماء الأخرى ويمكن أن نقدم تصميمًا عامًا ونموذجيًا يعبر عن طريقة شرح الاسم والعناصر الدلالية المكوّنة له في الشكل الآتي:

[بهدف إثبات وجود الاسم]	{	- ذكر آية أو آيات يرد فيها الاسم
		- ذكر حديث أو أحاديث يرد فيها الاسم

- الدراسة اللغوية ← تحديدا الاشتقاق من الناحية الدلالية

← تحديد الصيغ الصرفية (موضوعة الاسم داخلها)

← اقتراح الدلالات الممكنة ومناقشتها من خلال ← استشهادات ← القرآن

← السنة

← الشعر

← أقوال الأخرى

← الترجيح والإستنتاجات

- التأطير العقائدي للاسم بمنطق فقهي [هل يختص بالله أم يمكن استعماله خارج ذلك من خلال ثنائية يجوز/لا يجوز؟] (قد يعتمد هذا التأطير على أحد تصنيفات الأسماء)

- توظيف الكاتب للاسم بقصد (جانب صوفي، قيمي، العقائدي) ← مثال حظ العبد منه تفصيل إشكال معين.

إن ثمة بعض الملاحظات حول هذا التصميم نعمل عليها قبل تعميق المسئلة له وهي كالاتي:

- إن الترتيب الذي تأتي به النصوص لمختلف محاور التصميم قد تختلف في بعض الأحيان من

كاتب إلى آخر ولكن الراجح هو ما قمنا بتفصيله بهذه الطريقة، فغالبا ما يبدأ

بالإستشهادات (القرآن والسنة) فهذا عنصر ثابت وكذلك غالبا ما ينتهي الكاتب عند شرحه للاسم لمراده من ذلك أي إلى الحديث عن الإشكال الذي يستغله في عمله على الأسماء (صوفي - قيمي - ...)

- لا تتقيد كل النصوص بفصل واضح بين محاور التصنيف فقد يتحدث الكاتب في محور ثم يعتمد إلى آخر ثم يرجع إلى المحور الأول وهكذا.

- إن التصميم الذي نقدمه هنا هو أعقد تصميم، ذلك أنه يضم تقريبا كل العناصر والمحاور التي نجدها. إن الكثير من النصوص في تعريفها بالأسماء لا تعتمد إلى كل هذه المحاور فقد تختصر محورا (مثلا اعتماد دلالة لغوية مباشرة عوض طول التحليل والإستشهاد) أو قد يحذف محور بكليته مثل ما يفعل الغزالي في كتابه حيث لا يستشهد بالآيات أو الأحاديث لإثبات شرعية الاسم وإنما يعتمد إلى قائمة في الجزء الأول من كتابه ويكتفي بذلك.

بعد التوضيحات الخاصة بالتصميم الذي قدمناه أعلاه سنحاول مناقشته وتحليله من خلال ثلاثة قضايا أساسية. أولها تحليل التمفصل الموجود بين جزئي الكتاب، الجزء الأول وأهم الإشكالات المتعلقة بالموضوع وكيفية تأثيرها في طريقة تحليل الأسماء واستخراج مضامينها الخاصة بالجزء الثاني. ثانيها مناقشة التصميم في ضوء علاقته بالقرآن ومدى توظيف هذا الأخير في إنتاج دلالة الأسماء. وأخيرا ندرس حركة إنتاج الدلالة عموما في التعريف بالأسماء، ديناميكيتها و حدودها.

## ب. 1. إشكالات حقل "الأسماء" وتعريفاتها

إن أول ما نلاحظه عند الحديث عن تأثير إشكالات حقل "الأسماء" في أي إنتاج لدلالة الأسماء أنها صنفان منها المستثمرة وغير المستثمرة. فأما المستثمرة منها فهي إشكالات خصص لها الكتاب أبوابا في الجزء الأول من نصوصهم ونجد لها وقعا، قل أو أكثر، في تحليل الأسماء في الجزء الثاني من نصوصهم وأهمها: إشكال التصنيف الذي يعتمد هذا الكاتب أو ذاك لموضوع الأسماء فكثيرا ما نجد طريقة تقسيم فهرس موضوعات الكتاب عبارة عن أجزاء هي ذاتها أنواع الأسماء التي اقترحها الجزء الأول من الكتاب. وإذا لم نجدها كذلك، فغالبا ما نجد الإشارة إليها في تنايا تحليل كل اسم بموقعته داخل الصنف الخاص به (كأسماء الذات، أسماء الصفات،...) كما فعل ذلك البيهقي في كتابه عندما اعتمد تصنيف الحلبي في تبويبه للأسماء. أضف إلى هذا الإشكال إشكال قائمة الأسماء المعتمدة فالفصل فاختيار هذه القائمة أو تلك يحدد عدد الأسماء المدروسة وماهيتها.

أما الإشكالات غير المستثمرة فهي كثيرة أهمها إشكال "الاسم والتسمية والمسمى" الذي أطيل فيه الحديث في الأجزاء الأولى لنصوص القدماء ولا نجد له أثرا فعليا في تحليل الأسماء، أو ذاك الخاص "بالاسم" واشتقاقاته.

إن المتمعن في العلاقة بين إشكالات حقل الأسماء يرى أن بينها وبين التحليل الفعلي للأسماء فراغا كبيرا فهي من جهة لا توظف إلا في بعض الأمور التقنية (مثل التصنيف) التي ليست بالضرورة مهمة في تحديد دلالة الاسم المدروس، ومن جهة أخرى حتى وإن افترضنا القصد إلى توظيفها لا نرى

كيف يمكن أن تتغير طريقة العمل على الأسماء. إن إشكالات حقل "الأسماء" غدت، مع مرور الوقت، عادات علمية لا يعاد التفكير في أهميتها وغير مسائلة عند الكتاب التراثيين إلا باعتبار مضمونها وموقف كل واحد من ذلك، وليس باعتبار أهمية هذا الباب أو ذاك للتفكير لموضوع الأسماء.

### ب. 2. القرآن وإنتاج دلالة الأسماء

يمكن لنا أن نفصل علاقة القرآن بالجزء الثاني من النصوص قيد الدراسة من وجهين أحدهما تشريح لطبيعة استعمال القرآن وتوظيفه في إنتاج دلالة الأسماء والآخر حول إمكانات بحثية لا نجدها في طريقة عمل علماء التراث كان يمكن من خلالها إثراء البحث في موضوع الأسماء.

عند الحديث عن توظيف آي القرآن في تحليل الأسماء نجد أمامنا احتمالات عدة أهمها:

- عدم الرجوع إلى القرآن إلا نادرا على شاكلة ما يفعل الغزالي في كتابه.
- استعمال آيات من القرآن لإثبات شرعية الاسم وقابليته للتحليل وهذا ما يفعله أغلب الكتاب ليس فقط مع القرآن وإنما كذلك مع الحديث الشريف فغالبا ما يستندون إلى أحاديث ذكر فيها الاسم قيد الدراسة. هنا يتساوى القرآن مع السنة في وظيفة إثبات وجود الاسم وإعطاء شرعية العمل عليه. غالبا ما تستعمل هذه الإستشهادات في أول الحديث عن "الاسم" لكنها ليست منطلقا للتفكير فيه. مثلا عند حديث البيهقي عن اسم "الله الغني" يقول: "ومنها الغني قال الله عز وجل (والله الغني وأنتم الفقراء) ورويناه في خبر الأسماء... [يسرد حديثا]. قال الحلبي في معنى الغني: إنه الكامل بما له وعنده فلا يحتاج

معه إلى غيره، ورنما جل ثناؤه بهذه الصفة لأن الحاجة نقص والمحتاج عاجز عن ما يحتاج إليه إلى أن يبلغه ويدركه...<sup>(1)</sup> وينتهي شرح الاسم بكلام الحلبي، هنا ليس للآية إلا وظيفة إثبات الاسم وغير ذلك من عمليات التحليل والتأويل يبقى لأقوال السلف.

- توظيف آيات من القرآن داخل متن الشرح للاسم عند الحاجة إليها لتوضيح فكرة أو الفصل في اتجاه للموضوع، مثلها في ذلك مثل الأحاديث النبوية، الشعر والأقوال السلف، وغالبا ما تتقدم أقوال السلف الإستشهادات الأخرى لتحديد هي مواطن الخلاف وترسم حدود الموضوع. عند شرحه لاسم الله "المصور" وفي خلال متنه يقول: "قال ابن العربي: قال علماءنا فيه أربع عبارات: الأولى: الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة وهيئات متغيرة. الثانية: أنه الممثل، والصورة التمثال. الثالثة: المركب، والصورة التركيب. الرابعة: المهيب للشيء المخلوق إلى غايته، كما يقال: صار الأمر إلى غايته. قال ابن الحصار: ليست هذه كلها تفسيرا "للمصور" بل كل واحدة منها تختص بمعنى، وهذا الاسم يشعر بجميع الصفات التي لا يتم الفعل إلا بها من الاقتدار والعلم والاختيار، ويتضمن مع ذلك الحكمة البالغة، والخبرة قبل الإيجاد، إلى غير ذلك من الصفات التي يفتقر إليها التصور والاختراع والتقديم والتصوير مرتب على الخلق والبرية وتابع لها كما تقدم، وقد قال تعالى: "خلقناكم ثم صورناكم" (الأعراف: 11). وقال النابغة: الخالق البارئ المصور في الأرحام الماء حتى يصير دما قال الخطابي: "المصور" الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا بها ومعنى

التصوير التخطيطي والتشكيل، وخلق الله الإنسان في أرحام الأمهات ثلاث خلق: جعله علقه، ثم مضغة، ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يعرف بها، ويتميز عن غيره بسمتها فتبارك الله أحسن الخالقين<sup>(1)</sup> نلاحظ كيف أن الآية تتخلل الحديث عن الموضوع المتعلق بالاسم وتأتي بين إستشهادات من أقوال السلف إن هذه الأخيرة هي التي تحدد اتجاه الموضوع وتفاصيل العمل عليه.

إن العامل المشترك بين كل هذه الاحتمالات التي يوظف فيها القرآن في موضوع "الأسماء" هو عدم وجود تفعيل حقيقي للقرآن في توليد دلالات جديدة أو إنتاج أسئلة دقيقة حول الموضوع فهو إما يستعمل فقط للإستشهاد وإيضاف الشرعية وإما يستعمل في ثنايا التحليل للاسم استعمالاً ثانوياً حيث تحدد بنية الموضوع بأقوال السلف.

أما الحديث عن علاقة القرآن بتحليل الأسماء من جهة الإمكانيات البحثية التي لم تستثمر فقد عمل الأقدمون على الأسماء باعتبارها وحدات منفصلة عن بعضها البعض، الشيء الذي تضحضه القراءة الأولية لهذا النص، فالكثير من الأسماء، إن لم نقل أغلبها، ترد في علاقات مع غيرها مثل "عليم حكيم" "غفور رحيم" وهكذا. إننا لا نجد حديثاً في نصوص التراث عن طبيعة هذه العلاقات بين الأسماء باعتبارها استعمالات نصية لافتة. لقد كان جزء من التفكير منصبا فقط على التفريق بين الأسماء المتشابهة في دلالتها مثل عليم - خبير وما إلى ذلك، ولم ينظر إليها من منطلق علائقي، سواء

1- القرطبي، نفس المرجع، ص 350.



تلك الأسماء المتقاربة في دلالتها أو التي لا اشتراك بينها في الدلالة. أضف إلى ذلك أن علاقة الأسماء بسياقات ورودها في القرآن غير واضحة، فمثلا لا وجود لربط للاسم بموضوعات الآيات التي يرد فيها والأفعال المستعملة والمجاورة للاسم داخل نفس السياق. إن أسماء الله الحسنى يمكن أن ينظر إليها باعتبارها عناصر نصية تنتظم داخل سياقات ورودها، فهي بذلك تعريفات سياقية للذات الإلهية. إن زاوية النظر هذه قد تفتح المجال لأشكلة جديدة لهذا الموضوع.

### ب. 3. آلية إنتاج دلالة الاسم

نقترح هنا رؤيتنا لآلية إنتاج الأسماء الحسنى في النصوص التي تم أخذها كنموذج لهذه الدراسة. إننا نتصور هذه الآلية عبارة عن عناصر ثلاثة: تحديد اتجاه في بناء هذه الدلالة، استعمال نواة دلالة موجودة مسبقا، وأخيرا العمل على هذه النواة الدلالية من خلال مجموعة تحديدات لتحقيق لنا دلالة الاسم. هذه العناصر الثلاثة تعمل متتالية. أولا تحديد اتجاه في بناء دلالة الاسم يذهب من المعلوم إلى المجهول. إن المعلوم هنا هي المعارف الموجودة حول الإنسان والوجود عموما والمجهول هو الذات الإلهية ومسمياتها<sup>(\*)</sup>.

ثانيا: هذا المعلوم الذي ينطلق اتجاه بناء الدلالة منه، ليس إلا نواه دلالة خاصة بالإنسان هي عبارة عن مجموعة تمثلات حول ذات الإنسان، صفاته، أفعاله وعلاقته بالوجود المحيط به. إن هذه النواة الدلالية هي الوحيدة التي في حوزت المفكر في الأسماء فهي المادة الأولى التي يعتمد عليها، هذه النواة

(\*) سنرى أن هذا الاتجاه سينعكس في آخر عمل الآلية ليصبح من الأسماء إلى الإنسان في آلية قيمية ( حظ العبد من الاسم) وليس في آلية معرفية.

الدلالية يمكن أن تكون واعية وظاهرة في متن الشرح يفصح عنها مباشرة أو غير واعية وغير ظاهرة في النص، تعمل كما في حال كونها ظاهرة وتحقق الأثر نفسه ولكنها مضمرة ولا يميل إليها الكاتب. مثال ما شرحنا قول الغزالي في شرحه لاسم الله "العزیز" هو الخطير الذي يقل وجود مثله، وتستند الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه...<sup>(1)</sup> إن ضمير "هو" هنا لا يرجع إلى ذات "الله" سبحانه وتعالى وإنما إلى الإنسان فهذه المعايير الثلاثة التي يقدمها الغزالي هنا للتعريف هي للتعريف بالإنسان العزیز، إنها نواة دلالة "العزیز" عند الإنسان ومن خلالها يتجه الكاتب إلى بناء دلالة الاسم. إن نفس هذا الميكانيزم الدلالي نجده مثلاً عند البيهقي في شرحه لاسم "الغني" "إنه الكامل بماله وعنده فلا يحتاج إلى غيره"<sup>(2)</sup> فالضمير<sup>(\*)</sup> هنا عام يخص الإنسان ثم يُتم حديثه "وربنا جل ثناؤه بهذه الصفة..."<sup>(3)</sup>.

ثالثاً: يأتي عمل الكاتب على نواة الدلالة الخاصة بالإنسان، عملاً من خلال ديناميكية تحديدات مدارها حول عمليتين محوريّتين: الأولى يمكن أن نصطلح عليها بالذهاب نحو المثالية تحاول أن تدفع بالدلالات الناتجة عن نواة الدلالة الخاصة بالاسم إلى أقصى حدودها المثالية أي أحسن طريقة ممكنة لتحويل النواة الدلالية إلى نموذج. يحدث ذلك عندما تتوافق الرؤية في النص بين نواة الدلالة الأولى وما يريد أن يثبته الكاتب أو ينفيه عن الذات الإلهية. في مقطع النص الذي أوردناه عن الغزالي ينهيه بقوله

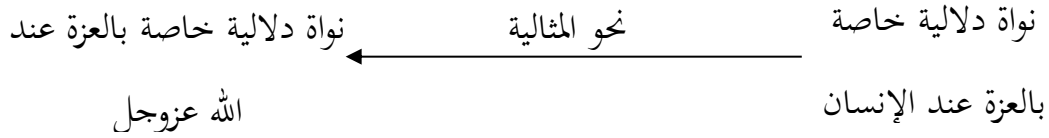
1- الغزالي، نفس المرجع، ص 73.

2- نفس المرجع، ص 73.

<sup>(\*)</sup> لا يأتي التعبير عن نواة الدلالة الخاصة بالإنسان دائماً من خلال الضمير فقد يتحدث النص مباشرة عن الذات الإلهية، رغم ذلك ففي كلّي حالتين المقولات التي يفكر بها الكاتب تأتي عن نواة دلالة خاصة بالإنسان

3- نفس المرجع، ص 73.

"وليس ذلك على الكمال إلا الله، عز وجل، فإننا قد بينا أنه لا يعرف الله إلا الله، فهو العزيز المطلق الحق، لا يوازيه فيه غيره"<sup>(1)</sup>. يمكن أن نخلص ذلك بالخطاطة الآتية:



أمّا العملية الثانية لا تذهب من المحسوس إلى المثالي، وإنما تعمد إلى تطهير نواة الدلالة الخاصة بالإنسان من خصائص وصفات لا يراها الكاتب لائقة بالذات الإلهية. إنها عبارة عن عملية تنزيه لله عز وجل عن اعتبارات لسيقة بالإنسان ولا تتطابق مع ما ينبغي لربنا سبحانه. إن الهدف من هذه العملية كذلك هو تشكيل رؤية مثالية مثلما هو الهدف في العملية الأولى ولكن بتحديدات مختلفة. بعد شرحه للدلالة العامة لمعنى الرحمة في اسم الله "الرحيم" عمد الغزالي إلى تطهير الدلالة مما يشوبها قائلاً "الرحمة لا تخلو عن رقة مؤلمة تعتري الرحيم، فتحركه إلى قضاء حاجة المرحوم، والرب، سبحانه وتعالى، منزّه عنها. فلعلك تظن أن ذلك نقصان في معنى الرحمة. فاعلم أن ذلك كمال وليس بنقصان في معنى الرحمة..."<sup>(2)</sup>.

نلاحظ هنا كيف نزه الغزالي الذات الإلهية عن نقائص تنتمي إلى نواة الدلالة الخاصة بالإنسان.

1- نفس المرجع، ص 73.  
2- الغزالي، نفس المرجع، ص 62.

من خلال ديناميكية التحديدات التي تعمل بها هذه النصوص (المثالية/التطهير) تنتج لنا نواة دلالة "الاسم" كتصور عام لصفة من صفات الذات الإلهية (العلم، القدرة، الرحمة،...) تصور ترسم حدوده المواقف العقائدية لهذا الكاتب أو ذاك، وتعمل الحدود الضابطة لهذا التصور من خلال الثنائية الفقهية (يجوز/لا يجوز) التي تثبت الرؤية العامة وتحدد معالمها. إن ثمة هنا، مفارقة، من جهة أن دلالة الاسم تبنى من خلال دلالة سابقة خاصة بالإنسان (عدد من المماثلات الخاصة بكل اسم) ومن جهة أخرى تأتي الرؤية العقائدية لنفي التشبيه وتنزيه الذات الإلهية عن كل التشكلات الخاصة بالإنسان. يمكن لنا أن نلاحظ هنا أن دلالات الأسماء في السياق القرآني كثيرا ما ترتبط، ليس من خلال المماثلة كما هو الحال مع الإنسان، وإنما في علائقية سردية كبيرة يمكن أن تفيد في تعرف "الأسماء" الحسنى "لا نجدها في النصوص التراثية.

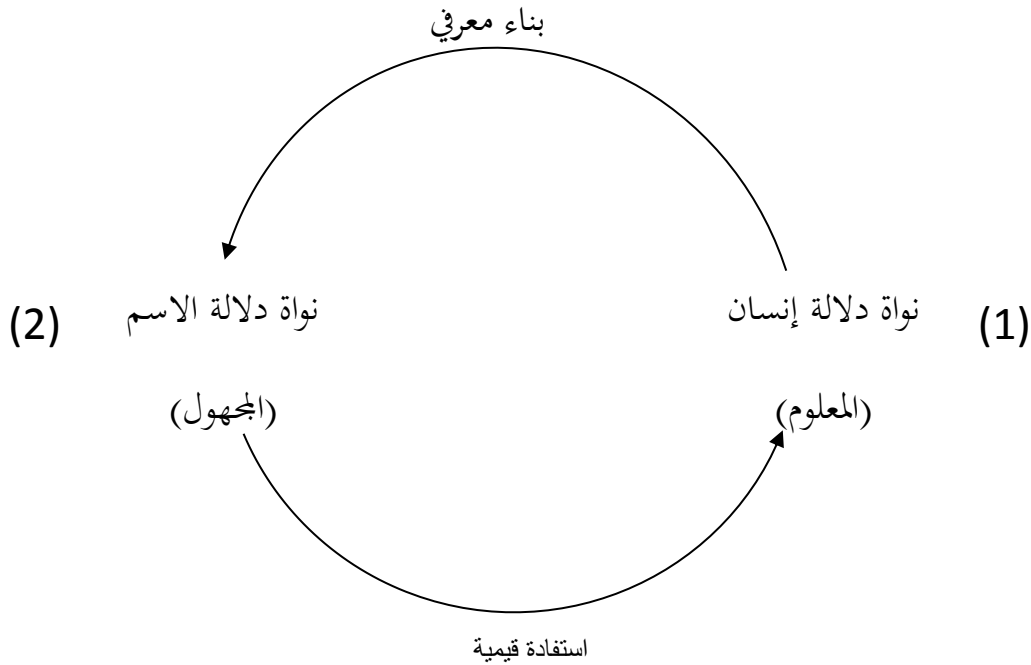
بعد أن يتم بناء نواة دلالة الاسم، كثيرا ما تذهب النصوص التراثية إلى إعادة التفكير في موضوع "الإنسان" من خلالها، وينعكس الاتجاه الأول الذي كانت تذهب فيه هذه النصوص عند بناءها لدلالة الاسم (المعلوم "الإنسان" ← المجهول "الله").

ليصبح الاتجاه من "الله" ← "الإنسان" ولكن هذا الاتجاه ليس اتجاهها معرفيا وإنما هو اتجاه قيمي أو كما يسميه الغزالي "حظ العبد من هذا الاسم" تحاول فيه هذه النصوص تحديد إستفادات أخلاقية وقيمية يحصل عليها الإنسان كلما اقترب من دلالات الاسم، وفي حالة التشبه بها يقول الغزالي في شرحه حظ العبد من اسم الله "الرحيم" "أن لا يدع حاجة محتاج إلا يسدها بقدر طاقته، ولا يترك

## الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع "الأسماء"

فقيرا في جواره وبلده إلا يقوم بتعهده ودفع فقره، إما بماله أو جاهه أو السعي في حقه بالشفاعة إلى غيره، فإن عجز عن جميع ذلك فيعينه بالدعاء، و إظهار الحزن بسبب حاجته، رقة عليه وعطفًا، حتى كأنه مساهم له في ضرّه وحاجته" (1)

يمكن أن نلخص آلية إنتاج دلالة الأسماء بالخطاطة الآتية:



## الفصل الثاني

اسم " العليم " بين التحديدات المعجمية

والاستعمالات القرآنية

## تمهيد

سنسعى في هذا الفصل إلى تقصي منطق الاستعمال القرآني وبيان الفروق الموجودة بينه وبين ما تقدمه معاجم اللغة وذلك من خلال الدراسة المعمّقة لمادة [علم] والتي اشتق منها اسم الله العليم. البحث الدلالي حول الأسماء الحسنى لا يتأتى إلا بتتبع متأن ودقيق للاستعمال العربي العام الذي يحيل إلى استعمال قرآني محدد و خاص. لقد تمّ ذلك من خلال بحث يجمع بين النمذجة الصورية وبين مراقبة للاستعمال النصي من وجهة نظر سيميائية.

تدرّج العمل في هذا الفصل من خلال مراحل: سنبدأ بمسح عام لمختلف المسارات الدلالية للمفردة وإمكانات استعمالها في اللغة العربية، ويعقب هذا المسح مقارنة عامة بين اصطلاح القرآن ومعاجم اللغة. وسنتقل بعد ذلك إلى صياغة نموذج مفهومي على شاكلة ما تفعل الدالية Sémasiologie وتحليله إلى عناصره الأساسية التي يمكن أن نسمّيها "هويات نصية قرآنية" والمتمثلة في العلاقة بين الصيغة الصرفية ومحمل المواضيع التي ترتبط بها. وأخيراً، ومن وجهة نظر المدلولية L'onomasiologie التي تكمن أهميتها المنهجية في ضبط مختلف النويات الدلالية والمقارنة بينها. وسيسمح لنا هذا التوجه المنهجي الذي نعتبره ضرورياً إلى ضبط المسارات الدلالية لاسم "العليم" في علاقتها بالمفردات الواردة في النص القرآني. إن هذه الممارسة التي سنبنّي عليها تحليلنا تنسجم تماماً مع التوجه السيميائي العام الذي يهدف إلى التحرّي عن المعنى (Quête du sens) ونعني بذلك السيميائية التي، في الوضع الراهن للبحث، تسعى في بعض جوانبها إلى تجلية المضامين الدلالية لمفردات من خلال التحليل

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

المعجمي *Analyse sémique* الذي أرسى دعائمه برنار بوتي (Bernard Pottier) وطوره بعد ذلك

أ.ج. كرىماس A.J. Greimas و ج. كورتيس J. Courtés في المعجم المعقلن لنظرية اللغة.

غالبا ما تعرف السيميائية اللغة بأنها "الدراسة العلمية للمعنى أو الدلالة"<sup>(1)</sup> إنها مقارنة للغة مهتمّة

بوجه من وجوهها يشكل جانب المضمون فيها بمقابل جوانب الشكل الأخرى (الصوتيات

Phonétique، النحو (Syntaxe) ، تحاول استخراج منطقها واقتفاء أثر تكونه و ارتباطه. إنها تعمل

غالبا على مستويات ثلاث أساسية: الكلمة، العلاقات بين الكلمات وأخيرا علاقة الكلمة ببنية النصّ

الذي ترد فيه. كل هذا من وجهة نظر دلالية بحثة. إن هذه المستويات التي طورتها سيميائية مدرسة

باريس في السبعينيات ظهرت تبشيرها الأولى في "مسائل في اللسانيات العامة" لإيميل بنفنيست

E. Benveniste. ونظرا لأهميتها المنهجية سترتكز عليها في هذه الدراسة مبررين ذلك بالارتباطات

والتلوينات الدلالية التي تأخذها المفردة في أثناء الاستعمال، وهذا النزوع المنهجي ينسجم تماما مع

التحليل المعجمي الذي يأتي عموما في الامتداد الطبيعي لتوجه بنفنيست الذي يركز على المستويات

الآتية:

أولا : دراسة الكلمة وهو بدوره ينقسم، باعتبار أحادية الدلالة أو تعددها (Polysémie) ، إلى دراسة

لدلالة الكلمة أو بالأحرى دلالاتها وكذا مباحثة العلاقات الموجودة بينها وكيفية عمل آلياتها في إطار

علائقي يصطلح على تسميته بالحقل السيميائي.

1- C, Baylon et X. Mignot, Initiation à la sémantique du langage, NATHAN,2000, P1.



ثانياً دراسة العلاقات بين الكلمات وهذا مجال بحث تتقاطع فيه السيميائية مع المعجمية

(Lexicologie)، يتم فيه مقارنة، ليس العلاقة بين دلالات نفس الكلمة، وإنما العلاقات الممكنة بين

دلالات كلمات متعددة تجتمع في نسب إحالتها إلى موضوع ما و اشتراكها في التعبير المعقد عنه.

ثالثاً العمل على ارتباط الدلالات من خلال ارتباطها في بنية الجملة. إن هذا المستوى من البحث

هو محاولة لفهم التأثير الذي قد تحدثه العلاقات النموذجية (Relations syntagmatiques) في

إنتاج الدلالة أو على الأقل تحديدها.\*

## 1. الكلمة: وحدة دلالية معقدة

إن السيميائية عندما تتعرض لدراسة "الكلمة" فإنها تعتبرها الوحدة الأساسية الأهم في

إشكالية الدلالة، فهي ليست فقط اسماً، فعلاً أو حرفاً على شاكلة ما يفعل اللغويون في تقسيمهم لها

وإنما هي كذلك، وهذا هو الذي يعيننا هنا، مضمون دلالي معقد تقصد السيميائية إلى مباحثة منطقه

وتسليط الضوء عليه. إن الجوانب الأساسية لهذا المستوى من البحث ثلاثة: (1) إشكالية التعريف

بالكلمة أو الوصف السيميائي لها (2) إشكالية تعدد الدلالة للكلمة الواحدة وكيفية انتظامها في

حقل سيميائي (3) متعلق بالثاني وهو بمثابة آليته الخاصة به، يتمثل في منهجية العمل على الحقل

الدلالي وكيفية إنتاجه.

(\* لا نفرق في عملنا هذا بين مصطلحي "معنى" و"الدلالة" باعتبار أن ليس ثمة اتفاقاً على تفريق واضح بينهما.

## أ. إشكال التعريف

هو الإشكال الذي يواجهه العاملون على المعاجم في محاولتهم القيام بتحديد دقيق ومفهوم للكلمة. إن التعريف هو محاولة إظهار دلالة كلمة بواسطة غيرها من الكلمات أو هو من وجهة نظر لودفيغ فيدغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) ربط المفردة المعرفة إلى غيرها من الكلمات<sup>(1)</sup> أن أكبر مشكل إبستمولوجي يواجه عملية التعريف هو أن الكلمات المعرفة هي كذلك تحتاج إلى تعريف وهكذا إلى أن يصير الأمر إلى الدور من خلال العود إلى الكلمة المعرفة. يبقى هنا، أن وجهة نظر السيميائية هنا مغايرة إلى حد ما فهي تعتبر أن "الكلمة يمكن أن تعرف بمجموع ملامحها الوجيهة"<sup>(2)</sup>.

يزداد أمر التعريف صعوبة عندما يتعلق الأمر باسم العلم، وهو يختلف باختلاف وجهات النظر في ذلك بين المناطقة مثل فراغ Frege، راسل Russell وفلاسفة اللغة مثل سيرل Searle و بقية اللغويين. يلخص جورج إيليا سرفاتي George-Elia Sarfati مختلف هذه الرؤى بالمنخطط الآتي<sup>(3)</sup>

تعريف اسم العلم	يحيل إلى مرجع وحيد	جون ستيوارت ميل	سيد بريمال
	(D. Laerce)	J.S. Mill	M. Bréal
منطق وسيميائية اسم العلم		فراغ إيجابي	غني بالدلالات
منطق القضايا	فراغ وراسل	تميز مرجع (العالم الحقيقي	وصف محدد

1- H. J.Glock, Dictionnaire Wittgenstein, Gallimard, 2003, P171.

2- M, Galmich, Sémantique générative, Librairie Larousse, Paris, 1975, P20.

3- G.E. Sarfati, Le statut lexicographique du nom propre : remarques méthodologiques et linguistiques, persee in : mots, Juillet 2000, N°63, P 105-124.

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

منطق؟	س. كرييك S.Kripke	محدد ثابت (عوالم ممكنة)
فلسفة اللغة المعتادة	ر. سيرل J.R. Searle	تميزات (عالم حقيقي مجموعة أوصاف +ممكن)
الدراسات المصطلحية لاسم العلم	أ. راى A.Rey	صفات + خصائص يُميّز فرد

عند تأمل وجهات النظر المختلفة فإن مدار التفكير فيها حول أمرين أولهما وجود المرجع الخارجي le référent objet وطبيعته وثانيا طريقة إحالة اللغة والدلالات التي تتضمنها على ذات هذا المرجع. أما تعلق ذلك بموضوعنا فمرجع الأسماء الحسنى ليس من وقائع عالمنا فهي بذلك تدل على غائب غير مشهود إلا من خلال آثاره الدالة عليه. إن ثمة هنا انزياحا للمرجع من الذات إلى أوصافها وآثارها، وإحالة النص القرآني عليها تعمل ضمن منطق سردي مركب تصبح الأسماء الحسنى بمثابة تعريفات سياقية بالذات الإلهية. يوافق هذه الرؤية ما يقوله بول ريكور P. Ricoeur عند حديثه عن تسمية الله في الإنجيل فيقول: "إنها أشكال معقدة من الخطابات [...] إن تسمية الله هي قبل كل شيء لحظة اعتراف سردي..."<sup>(1)</sup>.

أما عند الإجابة عن سؤال كيف تعرّف الكلمة؟ تقترح نظريات التعريف وجهتين كبيرتين في التعريف: الأولى تسمى بالتعريفات المرجعية (Définitions référentielles) وتتضمن تعريفات بالتمديد (En Extension)، بالفهم (En Compréhension). أما الوجهة الثانية في التعريف فهي

1- P. Ricoeur, Textes choisis et présentés par M. Foessel et F. Lamouche, Points-Essais, Seuil, 2007, 208-209.

إطنائية (Paraphrastique) فتعتمد قولا أكثر تفصيلا يعبر عن دلالة الكلمة وهو كذلك يتضمن أنواعا كثيرة منها: التعريفات المكافئة (Equivalente) ، المتعلقة باسم شامل (Hyperonyme)، أو المجازية (Métonymique)، وأخيرا تلك التي تعمل بالتقريب (Par approximation) (\*) يبقى أن المعاجم كثيرا ما تستعمل عددا من طرائق التعريف للكلمة الواحدة خاصة لتلك التي تتعدد دلالاتها وتشعب وهو الأمر الغالب، فقلما نجد كلمة ذات دلالة واحدة واضحة وهذه في ذاتها إحدى الوقائع الأساسية التي تميز واقعة الدلالة في السيميائية.

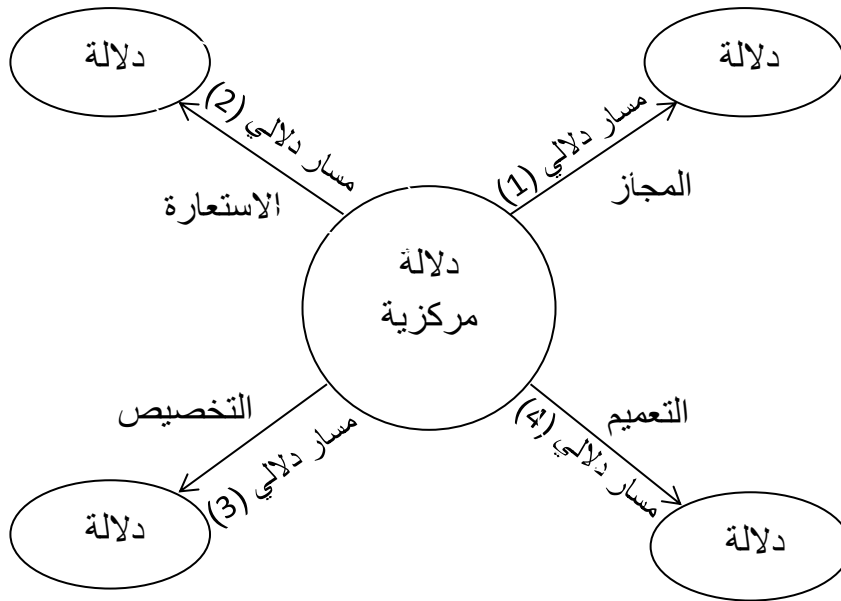
### ب. أشكال تعدد الدلالة

عندما تعرف المعاجم مفردة من المفردات فإنها غالبا ما تقدم عددا من التعريفات والاستعمالات وتحدد لها تراتبية معينة، إما بحسب ما اصطلح عليه بالمعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو تبعا لأسبقية دلالة على أخرى: المعنى الأول/ المعنى الثاني وهذا من وجهة نظر تعاقبية (Approche Diachronique)، أما في التسمية السيميائية فهي تعتبر أن للكلمة دلالة نموذجية (Prototypique) ودلالات أخرى ثانوية تنتج عنها. المهم هنا أن كلتا الدالتين أو كل الدلالات (في حال تعددها) ترتبط بنفس الكلمة رغم الفوارق التي قد تظهر بينها، وتنضوي تحت نفس العنوان. في هذه الحالة فإن "وحدة أصل الاشتقاق هي التي تقدم لعلماء المصطلح معيارا يحول لهم جميع العديد من الدلالات تحت نفس المفردة"<sup>(1)</sup>.

(\*) للاطلاع على الموضوع يمكن للقارئ أن يرجع إلى الفصل الخامس من كتاب C, Baylon et X. Mignot, Initiation à la sémantique du langage, NATHAN, 2000.  
1- المرجع نفسه، ص 91.

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

أما عن العلاقات الموجودة بين هذه الدلالات من وجهة نظر سيميائية فإنها تتولد عن الدلالة المركزية وترتبط بها لتشكيل ما يسمى Structure radiale يتم ذلك من خلال أربع عمليات هي المجاز، الاستعارة، التعميم وأخيرا التخصيص .



أما عن المنهجية التي تتبعها السيميائية لإستخراج Structure Radiale والذهاب إلى فهمها فتسمى الدالية Sémasiologie من اليونانية Sêma "Signes sens" وهي " تدرس المفردات من خلال وصف تعدد الدلالات الخاصة بالكلمة وكذا العلاقات بين مختلف هذه الدلالات، وتركز على تحليل روابطها سواء ما تعلق منها بموضوعات العالم أو تلك الخاصة بالفضاء المفهومي. إن الدلالات الأصلية ترتب في هذا الإطار قبل الدلالات المجازية وبهذا يصبح النظام المتبع في ذلك عاكسا الفوارق بين الدلالات الأكثر شيوعا، الدلالات الأقل شيوعا وتلك الشاذة تماما"<sup>(1)</sup>.

1- N. Delbek, Debboeck, Linguistique cognitive, 2ed 2006, P134.

بقي أن نشير إلى أمرين أشار إليهما توشيهيكو إيزوتسو في كتابه "الله والإنسان في القرآن - علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم " حيث يقول " أوّد أن أقدم تمييزاً تقنياً بين ما سأدعوه بالمعنى " الأساسي " والمعنى " العلاقي " بوصفهما اثنين من المفاهيم المنهجية الرئيسية لعلم الدلالة [...] إذا أخذنا القرآن الآن، تفحصنا، من زاوية نظرنا، المصطلحات المفتاحية التي نجدتها فيه، سنلاحظ على الفور أمرين اثنين: الأول واضح تماماً، حتى إنه عادي جداً ومألوف يمكن الاستدلال عليه بسهولة، والثاني لا يبدو واضحاً إلى هذه الدرجة للوهلة الأولى . الوجه الواضح للمسألة هو أن لكل كلمة تؤخذ بشكل منفصل معناها الأساسي الخاص بها، أو محتواها المفهومي الذي تظل محتفظة به حتى لو اقتطعناها من سياقها القرآني . فكلمة " كتاب " على سبيل المثال، تعني بصور الأساسية الشيء نفسه سواء أوجدت في القرآن أم خارجه [...] إن هذا العنصر الدلالي الثابت، الذي يظل ملازماً للكلمة حيثما ذهبت وكيفما استعملت، يمكن أن ندعوه بـ " المعنى الأساسي " للكلمة [...] كل هذا على أية حال لا يستنفد معنى الكلمة، وهنا يبدأ الوجه الثاني للمعنى الذي تمت الإشارة إليه آنفاً . ففي السياق القرآني تكتسب كلمة " كتاب " أهمية غير اعتيادية، كعلامة على مفهوم ديني خاص جداً، تحيط به هالة من القدسية . وهذا متأثّر من حقيقة أن هذه الكلمة في هذا السياق ترتبط بعلاقة قوية جداً بمفهوم الوحي الإلهي، أو بالأحرى، بمفاهيم متنوعة ذات مرجعية مباشرة إلى الوحي . إن هذا يعني أن كلمة " كتاب " البسيطة، معناها البسيط، حالما أدخلت في نظام خاص، ومنحت موقعا محددًا ومعينًا فيه،

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

اكتسبت العديد من العناصر الدلالية الجديدة الناشئة عن هذا الوضع الخاص، وعن علاقات المتنوعة التي شكلتها لتحملها إلى المفاهيم الرئيسية لذلك النظام<sup>(1)</sup>.

في نفس هذا السياق، ومن وجهة نظر مختلفة يأتي عملنا على موضوع الأسماء، يركّز على المفردة العربية باعتبارها تنتمي إلى ما يسميه اللغويون، مادة المفردة والتي هي بمثابة الأصل العام للعديد من الكلمات التي تتغير صيغها الصرفية بحسب واقعة "الاشتقاق" ذلك أنها أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة [...] وطريق معرفته تقلب تصاريف الكلمة، حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة إطراد أو حروفاً غالباً.<sup>(1)</sup>... من وجهة نظر أخرى يصبح الاشتقاق هو الخيوط الرفيعة التي تتعلق من خلالها الكلمة بغيرها داخل إطار دلالي موحد مردّه إلى مادة الكلمة باعتبارها النواة الدلالية التي حولها تنتظم الدلالات الأخرى. لأجل ذلك حاولنا في عملنا التفكير في الكلمة (مثل اسم من أسماء الله تعالى) من خلال تعلقها بمادة كلمة معينة أي بمعنى آخر، وجودها داخل شبكة علاقات صرفية مع كلمات أخرى تنتمي لنفس هذا الإطار تجدد كل واحدة منها نسبا دلاليا لها مع غيرها .

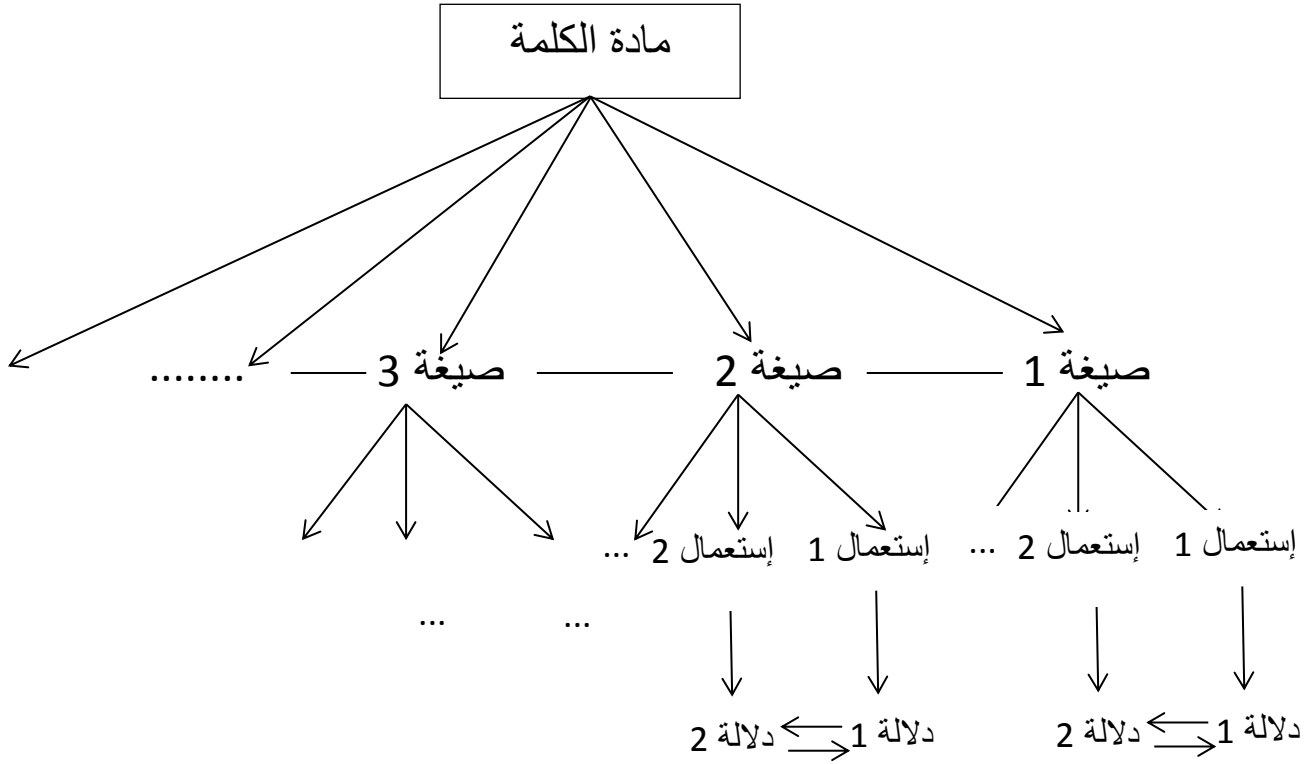
هناك أمر آخر في تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الكلمات تعرّف من خلال صيغها الصرفية فالبناء صرفي يمثل القوالب التي يصب فيها الصرفيون المادة اللغوية ليدلّوا بها على معان معينة ومحددة،

1- توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن- علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2007، ص 43-44.

1- السيوطي، المزهرة في علوم اللغة، دار الجيل، بيروت، ص 346.

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

لما يدور بخلداهم/ وما تتفتق عنه أذهانهم وأفكارهم. ولكنها تعرف أكثر من خلال استعمالاتها داخل سياقاتها النصية، فدلالاتها تستنبط من تعلقاتها بمواضيع معينة وبطريقة معينة. وجملة القول وبيانه المخطط الآتي :



### 2. دراسة العلاقات بين الكلمات : Relation paradigmatic

إن اللغة في جانب من جوانبها تنبني على ممارسة حرة، يختار فيها المتكلم طريقة معينة في بناء قوله وذلك بانتقاء ما يراه ضروريا من الكلمات للتعبير. إن ثمة في كل لغة العديد من الكلمات التي تتقارب، تتشابه وتتداخل في دلالاتها وتحيل على واقعة واحدة تقصد إلى تبينها، إنها بمثابة السجل الذي يستغله المستعمل عند إرادته تحقيق أثر من خلال قوله فيختار، من بين الكلمات تلك التي يراها متوافقة مع سياق كلامه وأوقع في أثرها ابتغاء تحقيق مراده. إن بحثنا في جانب منه يتطرق إلى



محاولة فهم العلاقات الموجودة بين أسماء تظهر متقاربة ومتداخلة جدا في دلالتها مثل "العليم" "الخبير" "الشهيد" فهي بمثابة شبكة دلالة علائقية .

إن الحقل السيميائي هو "نسق مغلق يعرّف باعتباره اجتماع وتقاطع حقل مصطلحات Lexical مع حقل مفهومي يمكن أن يعين بكلمة أساسية. إن الحقل السيميائي هو اجتماع مصطلحات محددة مع كلمة كَلِيّة جامعة"<sup>(1)</sup> يمكن تصور الحقل السيميائي كارتباط بين من جهة فكرة أو مفهوم أو شبكة عناصر مفاهيمية تُحدد ما يسميه فرونساوا راستيني F. RASTEIN المجال (Le domain) الذي ينتمي إليه الموضوع، ومن جهة أخرى مجموعة كلمات تتقارب في دلالتها تنتمي إلى عائلة كلمات واحدة على حد قول فيدغنشتاين وتحيل كلها إلى المفهوم أو بعض مكوناته. إن هذا الارتباط ليس من قبيل تصور الشيء ونسخته إنما هو علاقة تشابك غير منظم بالضرورة فمنطق اللغة ليس منطلقا رياضيا وإنما هو منطق الاستعمال الذي لا يخلو من الغموض والتداخل المربك .

أما عن منهجية العمل على واقعة الحقل فتخصص لها السيميائية مبحثا خاصا يسمى بالمدلولية Onomasiologie، إنها عملية تنطلق من المفهوم لتحاول اكتشاف منطق الحقل السيميائي. إنها تهدف إلى " نزع الحجاب عن الميكانيزمات التي تؤدي إلى اعتماد كلمات مختلفة من نفس اللغة للتعبير عن نفس المفهوم... إن الهدف الأساسي للتحليل " المدلولي هو إظهار البنية المضمرة والخفية لمجموعة من الكلمات المتقاربة مفاهيميا" من هذا المنظور يكون الحديث عن الحقل السيميائي من خلال لحظتين اثنتين: الأولى تكمن في تشكيل الحقل الدلالي والثانية تباشر وصف بنيته المضمرة.

1- B. SCHWISCHAY, Syntaxe du français, P1 <http://www.home.uni-asnabruock.de/Bschwisc/archives/archives/htm>.

## أ. تشكيل الحقل السيميائي:

هو بدوره يتم على مرحلتين: الأولى تهدف إلى تحديد الحقل المفاهيمي الذي غالبا ما يمكن النظر إليه باعتباره مستويات دلالية تذهب من العام إلى الخاص. يمكن إحصاء ثلاثة منها أساسية: 1- مستوى كلي عام 2- مستوى قاعدي وسيط 3- مستوى محدد. نجد المفردة المركزية والكلية (Mot générique) داخل المستوى القاعدي التي يقصد إلى العمل على تعريفاتها المعجمية لتتحول إلى مجموعة معانٍ Sèmes في هذه الحالة يتحول العمل على الدلالة من عمل على الكلمة إلى عمل على المعانٍ المرحلة الثانية: يتم القيام فيها بجمع المفردات الخاصة بالحقل المعجمي من خلال علاقتها بالمفردة المركزية، علاقة لا تكون بالضرورة واضحة في كل الأحوال، تنبني على التقارب والتماثل وربما التداخل الذي قد يربط بين هذه الكلمات في الاستعمال العام للغة من اللغات.

## ب. وصف الحقل السيميائي:

يتم من خلال تتابع عدد من الخطوات يمكن إجمالها كما يلي :  
جمع تعريفات هذه المفردات والقيام بنفس العمل المعجمي الذي سبق أن قمنا به بالنسبة للمفردة الكلية

✓ تحديد كل المعانٍ المعرفة لكل مفردة

✓ الاستفادة من الملامح الإيحائية Traits connotatifs بمقابل المعانٍ الحرفية Dénotatifs. إن

اللامح الإيحائية هي عناصر دلالية لا تنتمي للتعريف المباشر، ولكنها ترافقه بغية زيادة التوضيح،

أو تقديم أمثلة.

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

✓ العمل على الجدول من خلال حذف الخطوط المشتركة والدلالات المتكررة

✓ إنهاء وصف الحقل السيميائي من خلال ما يسمى التنظيم التراتبي Structuration

hiérarchique وهي بمثابة عملية مقارنة تبحث عن الخطوط الدلالية المشتركة وترتبها من منظور

أولويتها، تهدف بذلك إلى إظهار كل الفروق، حتى الصغيرة منها، بين المفردات المتقاربة في

الدلالة.

✓ إنشاء جدول خاص بـ المعانم يكون أساسه الأول المعانم المستخرجة من المفردة الكلية. نقدم

كتوضيح لهذه الخطوة الجدول

الذي يقدمه ب. بوتبي و الحقل المعجمي لـ "مقعد" في الفرنسية

نقدم فيما يلي المعانم الملائمة الخمسة المناسبة للمعانم المركبة التي احتفظنا بها:

م <sup>1</sup>	م <sup>2</sup>	م <sup>3</sup>	م <sup>4</sup>	م <sup>5</sup>	م <sup>6</sup>	
+	+	+	+	-	+	كرسي
+	+	+	+	+	+	متكأ
-	+	+	+	-	+	إسكُمة
+	+	-	+	+	+	أريكة
-	+	+	+	-	-	نمرق

م<sup>4</sup> = للجلوس

م<sup>1</sup> = بالظهر

م<sup>5</sup> = بالمساند

م<sup>2</sup> = على قدم

م<sup>6</sup> = مع مادة صلبة<sup>(\*)</sup>

م<sup>3</sup> = لشخص واحد

يبقى أن الدّالية و المدلولية تلتقيان في بحثهما عن دلالة الكلمة كل بطريقتها الخاصة فالعلاقة بين المنهجيتين ضرورية ومتكاملة" فكل تحليل لساني يجب أن يتموقع داخل وجهتي النظر هاتين، من وجهة نظر أكثر تحديدا تظن أن كل نسق كلمات يجب أن يأخذ في الاعتبار

- مكانة المفردة داخل المجموع النموذجي المشروط بسياق معين (onomasiologie)

- الشبكة السيميائية المضمرة لهذه المفردة، باعتبارها "Sémantisme généralisé" لنفس هذا

الشكل<sup>(1)</sup>

### 3. الدلالة وبنية الجملة :

إلى حد الآن كان حديثنا في العنصرين السابقين عن الكلمة وعن علاقاتها مع غيرها من الكلمات من وجهة نظر معجمية. إننا إذا نظرنا إلى اللغة من وجهة نظر حقيقتها العقلية فهي تراكيب تستعمل في التواصل مع الآخرين وليس كلمات معزولة عن بعضها. كما أن النحو يتخذ له من بينة الجملة وأشكال التركيب فيها موضوعا للدراسة والتفعيد، فإن السيميائية وتحت

(\*) Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, PUF, Paris, 1993, PP52-53

ترجمة رشيد بين مالك، مخطوط قيد الطبع ، ص 33-34.

1- P. Charaudean, L'analyse lexico-sémantique – recherche d'une procédure d'analyse I -, in cahiers de lexicologie, volume XVIII, P3 – P28, Didier Larousse, Paris, 1971, P10.

عنوان Combinatoire sémantique تبحث في الجملة باعتبارها واقعة دالة. إن الجملة من هذا المنظور هي تجمع لدلالات مختلفة تنتظم بطريقة مخصوصة لينتج عنها معنى عام يستعمل في التواصل. يتم المقاربة السيميائية للجملة من جانبيين أولهما بحث العلاقة بين الوظائف النحوية ودلالة الكلمات فهذه الأخيرة ليست مفصولة عن سياقات ورودها وتأخذ دلالتها من مجموع توزيعاتها Distribution ونقصد بذلك "مجموع المواقع التي نجدها فيها"<sup>(1)</sup>

#### 4. مادة [علم]: محاولات التعريف

بعد التعرّض لمختلف جوانب المفاهيم النظرية والمنهجية المؤسسة لموضوعنا، نعود الآن إلى تحليل مفصّل وعميق لمادة [علم] والتي هي مجموع مختلف إمكانات الاستعمال التي يمكن أن يتكوّن منها حقل سيميائي معيّن. ورد في لسان العرب في مادة [علم]<sup>(\*)</sup> " من صفات الله عز وجل العليم و العالم والعلام قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ وقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ وقال: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالما ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها، على أتم الإمكان. وعليم، فعيل: من أبنية المبالغة.

1-Ju.D. Apresjan, Analyse distributionnelle des significations et champ sémantique, structurés  
www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/lgge\_04586726X\_19661

(\*) نظرا لطول المقطع، نحن لا نورد كل ما وجدناه في لسان العرب حول مادة [علم]، وإنما نورد المقاطع التي نراها مهمة لتحليلنا.

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

والعلم: نقيض الجهل، عِلْمٌ عِلْمًا وَعَلِمَ هو نفسه، ورجل عالمٌ وَعَلِيمٌ من قوم علماء فيهما جميعا. قال سيبويه: يقول علماء من لا يقول إلا عالما. قال "ابن جنى: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملاسة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلما لا عالما، فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار عالم في المعنى كعليم، فكسر تكسير، ثم حملوا عليه ضده، فقالوا جهلاء كعلماء."

وعالِمٌ وعلامةٌ إذا بلغت في وصفه بالعلم أي عالم جدا، والهاء للمبالغة، كأنهم يريدون داهية من قوم عالَمين، وعلامةٌ من قوم عالَمين هذه عن اللحياني: وعلمت الشيء أعلمه علما: عرفت. قال ابن بري: وتقول علم وفقه أي تعلم وتفقه، وعلم وفقه أي ساد العلماء والفقهاء. والعلامة والعلامة: النسابة وهو من العلم. قال ابن جنى: رجل علامة وامرأة علامة، لم تلحق الهاء لتأنيث الموصوف بما هي فيه وإما لحقت لإعلام السامع أن هذا الموصوف بما هي فيه قد بلغ الغاية والنهاية فجعل تأنيث الصفة أمانة لما أريد من تأنيث الغاية والمبالغة .

وعلم بالشيء: شعر يقال: ما علمت بخبر قدومه أي ما شعرت. وعلم الأمر وتعلمه: أتقنه .

ويجوز أن تقول علمت الشيء بمعنى عرفتة وخبرته. وعلم الرجل: خبره، وأحب أن يعلمه أي يخبره. وفي التنزيل ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَنْ نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ وأحب أن يعلمه أي أن يعلم ما هو. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ قيل في تفسيره: إنه جلّ ذكره يسره لأن يذكر، وأما قوله ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فمعناه أنه علّمه القرآن الذي فيه بيان كل شيء، ويكون معنى قوله: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ جعله مميّزا، يعني الإنسان، حتى انفصل من جميع الحيوان. والعلم والعلمة والعلمة: الشقّ في الشفة

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

العليا، وقيل: في أحد جانبيها، وقيل: هو أن تنشقّ فتبين. علم علما، فهو أعلم، وعلمته أعلمه علما، مثل كسرتة أكسره كسرا: شققت شفته العليا، وهو الأعلم. ويقال للبعير أعلم لعلم في مشفره الأعلى، قال ابن السكيت: العلم مصدر علمت شفته أعلمها علما، والشفة علماء. والعلم: الشقّ في الشفة العليا، المرأة علماء.

وعلمه يعلمه ويعلمه علما: وسمه وعلم نفسه وأعلمها: وسمها بسيما الحرف. ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها، وأعلم حمزة يوم بدر؛ ومنه قوله: فتعرّفوني، إنّي أنا ذاكم شكّ سلاحي، في الحوادث، معلم .

العلامة: السّمة، والجمع علام، وفي التنزيل في صفة عيسى، صلوات الله على نبينا وعليه: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ وهي قراءة أكثر القراء، وقرأ بعضهم: "وإنه لَعَلْمٌ للسّاعة" المعنى أن ظهور عيسى ونزوله إلى الأرض علامة تدل على اقتراب الساعة. ويقال لما يبني في جواد الطريق من المنازل يستدل بها على الطريق: أعلام، واحدها علم. والمعلم: ما جعل علامة وعلما للطرق والحدود مثل أعلام الحرم ومعلمه المضروبة عليه. وقيل: المعلم الأثر. والعلم: المنار. قال ابن سيده: والعلامة والعلم الفصل يكون بين الأرضين. والعلامة والعلم: شيء ينصب في الفلوات تهدي به الظالّة. وبين القوم أعلومة كعلامة؛ عن أبي العميثل الأعرابي. وقوله تعالى: "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام" قالوا: الأعلام الجبال. والعلم: العلامة. والعلم: جبل طويل. قال اللحياني: العلم الجبل فلم يخص الطويل؛ والعلم: رسم الثوب، وعلمه رقمه في أطرافه. وقد أعلمه: جعل فيه علامة وجعل له علما. وأعلم القصار الثوب، فهو معلم، والثوب معلم. ومعلم الطريق: دلالته، وكذلك معلم الدين على المثل .

ومعلم كل شيء : مظنته، وفلان معلم للخير كذلك، وكله راجع إلى الوسم والعلم، أعلمت على موضع كذا من الكتاب علامة. والمعلم: الأثر يستدل به على الطريق، وجمعه المعالم.

والعالمون: أصناف الخلق. والعالم: الخلق كله وقيل: هو ما احتواه بطن الفلك؛ وقيل: جمع العالم الخلق العوالم. وفي التنزيل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ابن عباس: ربّ الجن والإنس، وقال قتادة: رب الخلق كلهم. قال الأزهري: الدليل على صحة قول ابن عباس قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ وليس النبي صلى الله عليه وسلم نذيرا للبهائم ولا للملائكة وهم كلهم خلق الله، وإنما بعث محمد صلى الله عليه وسلم نذيرا للجن والإنس.

وقال الزجاج: معنى العالمين كل ما خلق الله، كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو جمع عالم، قال: ولا واحد لعالم من لفظه لأن عالما جمع أشياء مختلفة، فإن جعل عالم لواحد منها صار جمعا لأشياء متفقة. قال الأزهري: فهذه جملة ما قيل في تفسير العالم، وهو اسم بنى على مثال فاعل كما قالوا خاتم وطابع ودانق. والعلام: الباشق قال الأزهري: وهو ضرب من الجوارح، قال: وأما العلام، بالتشديد، فقد روي عن ابن الأعرابي لأنه الحنّاء، وهو الصحيح.<sup>(1)</sup>

### أ. تعليقات على تعريف لسان العرب

أوردنا هذا التعريف المطول لمادة [علم]<sup>(2)</sup> قصد إظهار الطريقة العامة التي تنتظم من خلالها الدلالة المعجمية باعتبارها حقلا سيميائيا معقدا غير واضح وبسيط كما قد يظهر للوهلة الأولى.

1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد 6 دار الحديث القاهرة، 2003، ص 415 - ص 419.

2- إن أصل المشتقات عند أغلب الصرفيين: المصدر لأنه بسيط ويدل على الحدث فقط عكس الفعل الذي يدل على الحدث والزمن. أما خصائص [علم] فهو فعل يفعل من الثلاثي المجرد بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وهو تام التصرف بحيث يأتي



## الفصل الثاني: اسم "العلم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

قبل الحديث عن موقع القرآن داخل مختلف الاستعمالات التي يوردها المعجم ثمة ملاحظات نستهل بها تحليلنا منها ما يتعلق بإشكال الترادف والتضاد، فالدلالة تحدد بمقابلاتها كما تحدد كذلك بما يعاكسها، ومنها ما تعلق بكيفية انتظام الحقل السيميائي وانقسامه، كما سنرى إلى جزئين مختلفين.

إذا نظرنا إلى المفردات التي تقترحها المعاجم العربية كمرادفات لكلمة علم نجد أن "لسان العرب" و"تاج العروس" مثلا يشتركان في اقتراح كلمات "خبر"، "شعر" و"عرف" كما يختلفان في رابع كلمة يقترحانها فاللسان يضيف كلمة "أتقن" بينما "تاج العروس" كلمة "اعتقد" ويضيف هذا الأخير بعض التفريقات فمثلا يضع أحد الفروق بين العلم والمعرفة بالنسبة له "المعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم يتعلق بأحواله..."<sup>(1)</sup> أما الراغب في "مفردات ألفاظ القرآن" فيستعمل كلمة أخرى للتعريف بالعلم هي كلمة "إدراك الشيء بحقيقته"<sup>(2)</sup> ويذهب في طريق تصنيفات للعلم ليس هنا مكان ذكرها. إن من اللافت هنا تعدد المرادفات وتعذر الوضوح في بحثنا عن نواة دلالة حول مفردة [علم] أما عند تتبع المفردات التي تضاد مفردة "علم" فلا نجد غير مفردة "جهل" إنَّ ثاني الأمور التي يمكن ملاحظتها عند العمل على هذه المفردة هو انتظام الحقل السيميائي لها في جزئين، ذلك أن ثمة في قواميس اللغة من جهة تعريفا مفهوما مداره حول العلم وهو تعريف بطريقة مجردة، ومن جهة أخرى نجد تعريفا حسيا يبدأ عند الحديث عن العُلْمَة والعلامة. بين هذين الجانبين، لا نجد توضيحات حول العلاقة بينهما كونهما يشتركان في مادة لغوية واحدة ويندرجان ضمن نفس الباب. عند محاولة

منه الماضي والمضارع والأمر. ومن وجهة نظر أخرى هو من أقسام المتعدي الذي يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل. أما خصائصه كاسم فهو اسم مشتق على وزن فعل بكسر فسكون.

1- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد 6، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 405.

2- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم دمشق، 1997، ص 580.

الذهاب أبعد في التحليل نجد أن الجانب الحسيّ من تعريف هذه المفردة يعبر عن بعد رمزي فهو إما جزء من الشيء هو أظهر ما فيه مثل "العلمة" أو الشيء ذاته كرمز لغيره مثل "علامات" أو لشيء ظاهر بذاته مثل "أعلام" أو لمجموع الأشياء في مستوى أقرب إلى التجريد منه إلى الملموس عند تعبيره عن مجموع الأشياء "عالمين". في مقابل ذلك يأتي الجانب المفهومي للمفردة للتعبير عن علاقة خاصة بالموضوع (الشيء) فأبي المرادفات اخترنا (خبر، عرف، أدرك) فهي عبارة عن تعلق فعلي بموضوع ما، ولا يبقى للصيغ المختلفة الداخلة في هذا المجال (عالم، عليم، أعلم) إلا التعبير بطريقة مخصوصة عن هذه العلاقة. إذن ثمة جانبا حسياً هو في ماهيته تعبير رمزي عن الأشياء وآخر مفهومي مجرد، يعبر مضمونه عن واقعة "العلاقة" التي قد تربط الذات بموضوعها. يبقى أن نقول إن من بين إمكانات التأليف داخل استعمال اللسان العربي لمادة [علم] عدم التقاء بنية كلمة ذات دلالة مجردة مع أخرى من ذات دلالة حسية فلا نجد مثلاً استعمالاً من قبيل "عَلِمَ العَالَمُ".

### ب. الصيغ الصرفية المستعملة بين القرآن واللسان العربي

نرجع هنا إلى العلاقة القائمة بين المعاجم اللغوية والاستعمال القرآني حول مادة [علم]، لننظر المفردات المستعملة، منها وغير المستعملة، ونحصى تلك المستعملة منها حتى يتسنى ترتيبها بحسب أولويتها وحضورها في النص القرآني ونلاحظ خصائص تلك الفوارق والإنزياحات بين مورد اللغة في إمكاناتها غير المحدودة وبين استعمال قرآني يعتمد عليها ولكن في نفس الوقت يعملها بشكل مخصوص. يرصد الجدول الآتي الصيغ المستعملة في القرآن وتلك التي لا تستعمل فيه:

الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

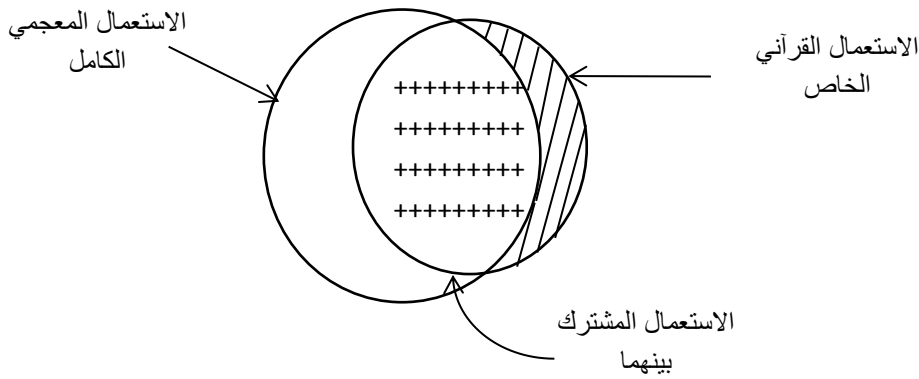
الصيغ غير المستعملة في القرآن	الصيغ المستعملة في القرآن
عَلِمَ - أَعْلَمْتُ - مُتَعَلِّمٌ - تَعَالَمَهُ - عَالَمُهُ	عَلِمَ - عَلِمْتُ - عَلِمْتُمْ - عَلِمْتُمُوهُنَّ -
- أَعْلَمُهُ - اسْتَعْلِمَ - أَعْلَمْتُهُ - إِعْلَامٌ -	عَلِمْتَهُ - عَلِمْنَا - عَلِمَهُ - عَلِمُوا - أَعْلَمُ -
الْعَلَمَةُ - الْعُلَمَاءُ - مُعَلِّمٌ - مِعْلَمٌ - أُعْلُوْمَةٌ	تَعْلَمُ - لَتَعْلَمَنَّ - تَعْلَمَهَا - تَعْلَمُهُمْ -
- عِلَامٌ - اِعْتَلَمَ - أَعْلَمَهُ - الْعَالَمُ -	تَعْلَمُوا - تَعْلَمُونَ - فَسَتَعْلَمُونَ - تَعْلَمُونَهُمْ
عَالَمُونَ - عَوَالِمٌ - الْعَالَمُ - الْعِلَامُ -	- تَعْلَمُوهُمْ - نَعْلَمُ - نَعْلَمُهُمْ - يَعْلَمُ -
العلامي - العيلم - العيلام	سَيَعْلَمُ - لَيَعْلَمَنَّ - يَعْلَمُهُ - يَعْلَمَهَا -
	يَعْلَمُهُمْ - يَعْلَمُوا - يَعْلَمُونَ - سَيَعْلَمُونَ -
	اعْلَمْ - اعْلَمُوا - لِيُعْلَمَ - عَلِمَ - عَلِمْتِكَ -
	عَلِمْتُمْ - عَلِمْنَا - عَلِمْتَنِي - عَلِمَكَ -
	عَلِمَكُمْ - عَلِمْنَاهُ - عَلِمْنِي - عَلِمَهُ - تُعَلِّمَنِي
	- تُعَلِّمُونَ - تُعَلِّمُوهُنَّ - تُعَلِّمُهُ - يُعَلِّمَانِ -
	يُعَلِّمَكَ - يُعَلِّمُكُمْ - يُعَلِّمُهُ - يُعَلِّمُهُمْ -
	يُعَلِّمُونَ - عَلِمْتِ - عَلِمْتُمْ - عَلِمْنَا -
	يَتَعَلَّمُونَ - عَالِمٌ - الْعَالِمُونَ - عَالِمِينَ -
	عِلْمَاءٌ - مَعْلُومٌ - مَعْلُومَاتٌ - مُعَلِّمٌ - أَعْلَمُ
	- عَلِيمٌ - عَلِيمًا - عَلَامٌ - الْعِلْمُ - عَلِمًا -

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

	عِلْمِهِ - عِلْمُهَا - عِلْمُهُمْ - عِلْمِي - الْأَعْلَامُ - الْعَالَمِينَ - عِلْمَاتٍ.
--	--

عند مراجعة الصيغ الصرفية المستعملة بين المعجم والقرآن وعند المقارنة بينهما تتضح لنا جملة أمور

يعبر عنها الشكل الآتي:



ويظهر منه وجود ثلاث مجموعات للاستعمالات تلك الخاصة بالاستعمال المعجمي الذي لا نجده في

القرآن، ثانيها يشترك فيها المعجم مع القرآن، وأخيرا استعمالات يختص بها القرآن دون غيره من أقوال

وأشعار العرب. والكلام هنا يحتاج إلى تفصيل وتدقيق في الخصائص الاستعمالية لمادة [علم]:

أول مجموعة هي استعمالات لصيغ لا نجدها في القرآن وهي كثيرة وأهمها صيغتان أساسيتان في الشق

الحسي للمفردة وهما "العَلْمَةُ - العُلْمَةُ" وصيغة "عَالَمٌ" وجمعها "عَالَمُونَ" و"عَوَالِمٌ"

ثاني هذه المجموعات ما اشترك من الاستعمالات بين المعجم والقرآن ولدينا بعض الملاحظات عليها

منها :

- أن هناك استعمالات لصيغ نجدها في القرآن بالجمع فقط وليس بالمفرد مثل "علامات" و"أعلام" و"علماء"

- أن ثمة استعمالات لصيغ في القرآن هي اختيار بين إمكانات متعددة مثل استعمال "علماء" لمفرد عالم بمقابل استبعاد "عَالَمِينَ" و"عُلَّامًا". هذه الصيغة الأخيرة لا تستعمل إلا في المفرد "عَالَمًا". إن فكرة الاشتراك التي تتشكل من خلالها المجموعة الثانية من الاستعمالات، هي فكرة معقدة فقد تعني اشتراكا في الصيغة المفردة دون جمعها والعكس صحيح كذلك.

آخر هذه المجموعات خاص بصيغتين أساسيتين في الاستعمال القرآني لم تكونا متداولتين في الاستعمال العربي، ذلك أننا لا نجد لها شواهد في المعاجم غير تلك الخاصة بالقرآن، فلا الشعر يذكرها ولا الأقوال المشهورة من الكلام الذي درج العرب عليه. إنهما صيغتي "عَلِيم" و"عَالَمِينَ" الأولى تنتمي للجانب المفاهيمي من التعريفات والثانية للجانب الحسيّ منها.

مما سبق يظهر تعقيد العلاقة بين المعجمية العربية والاستعمال القرآني فهذا الأخير ليس مرآة لإمكانات التعبير العربي في موضوع من الموضوعات وإنما شبكة معقدة من الاستعمالات تنتج من خلال آليات إبداع نصي تارة ومن توظيفات دقيقة ومحددة تارة أخرى.

### ج. قراءة إحصائية في الاستعمالات القرآنية<sup>(\*)</sup>

يذهب عملنا هنا في اتجاه التركيز على الاستعمالات القرآنية بدءاً من القراءة الإحصائية لمختلف الاستعمالات وانتهاءً إلى تحليل منطقتها الدلالي. عند قيامنا بالعملية الإحصائية قسّمناها إلى مرحلتين

(\*) للاطلاع على مجموع الإحصاءات حول الموضوع، انظر الملحق رقم 1.

## الفصل الثاني: اسم "العلم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

في الأولى عمدنا إلى مسح عام لعدد الاستعمالات القرآنية، وفي الثانية ذهبنا إلى تصنيفها بحسب عددها و أهميتها الإحصائية إلى أساسية، ثانوية ونادرة. يبقى أن نشير إلى أمر مهم هو أن عملنا هنا يتخلله متغير مهم لموضوعنا هو التفريق بين الاستعمالات الخاصة بالذات الإلهية وتلك التي تخص الإنسان أو تلك التي تتحدث عن موضوع "العلم" في المطلق. كان الهدف من هذا التفريق التعرف على الاستعمال القرآني بطريقة أدق، والأهم من ذلك التركيز على الاستعمالات الخاصة بالذات الإلهية فهي نواة موضوعنا حول الأسماء الحسنى.

نجد حول مادة [علم] مجموع 840 استعمال قرآني تنقسم بالشكل الآتي:

الذات الإلهية : 336 استعمال

الإنسان : 384 استعمال

تفصيل المقارنة بينهما: 45 استعمال (بين الله و الإنسان)

العالم: 75 استعمال

العلم في المطلق: 70 استعمال

أما عند النظر في تفاصيل الإحصاءات يمكن أن نقسمها إلى ثلاثة مجموعات:

الاستعمالات الأساسية :

تتواجد في مجال [ 45 استعمال ← إلى 152 استعمال] منها الخاصة بالذات الإلهية بصيغ (يعلم

81) و (علم وعلينا 152) وهذا الأخير هو أكثر الاستعمالات الخاصة بمادة [علم]. ومنها

تلك غير المستعملة للحديث عن الذات الإلهية وهي تخص الإنسان والعالم والحديث عن العلم

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

مطلقا وهي كآآتي : (تعلمون 56)، (يعلمون84)، (العالمين) (72 العلم 70). تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الاستعمالات تأخذ، عند الحديث عن الذات الإلهية، صفة التعظيم لها والتأكيد على صفة العلم الخاصة بها، أما عند استعمالها للحديث عن الإنسان فهي غالبا لنفي صفة العلم عنه، وأخيرا استعمالات للمقارنة والتفضيل بين علم الله وعلم الإنسان (أعلم 45)

### الاستعمالات الثانوية :

تتواجد في مجال [11 استعمال إلى 27 استعمال] وهي أنواع: أفعال تشترك فيها الذات الإلهية مع الإنسان وهي: (\*)

عَلِمَ: 12 استعمال: 8 للذات الإلهية / 4 للإنسان

أَعْلَمَ: 11 استعمال: 3 للذات الإلهية / 8 للإنسان

تَعَلَّمَ: 12 استعمال: 2 للذات الإلهية / 10 للإنسان

نَعَلَّمَ: 12 استعمال: 10 للذات الإلهية / 2 للإنسان

أما النوع الثاني منها فهي استعمال خاص بالذات الإلهية (عَالِمٌ 13 استعمالا)

النوع الثالث منها استعمال، الخطاب فيه من الله إلى الإنسان (اعلموا 27 استعمال)

النوع الرابع منها استعمال يتحدث عن موضوعات من جهة أنها معلومة (معلوم 11 استعمال)

النوع الخامس منها استعمال في مطلق الحديث عن العلم) علما 14 استعمال: 06 منها للذات

الإلهية / 08 للإنسان).

(\*) هذه الصيغة تشبه إحدى الصيغ الأساسية في الاستعمالات الأساسية (يعلم81) ولكنها لا ترقى في العدد إلى صيغة المضارع.

### الاستعمالات النادرة:

وهي تلك التي يقل عددها عن 11 استعمالاً منها (العالمون 1 استعمال) (عَالَمِينَ 4 استعمالات : 2 للذات الإلهية / 2 للإنسان) (علماء 2 استعمال) (للحديث عن العلم عند تعلقه بفاعل سواء كان الذات الإلهية أو الإنسان. ومنها كذلك ما تعلق بالموضوعات الحسية (علامات 1) (الأعلام 2).

### نتائج القراءة الإحصائية:

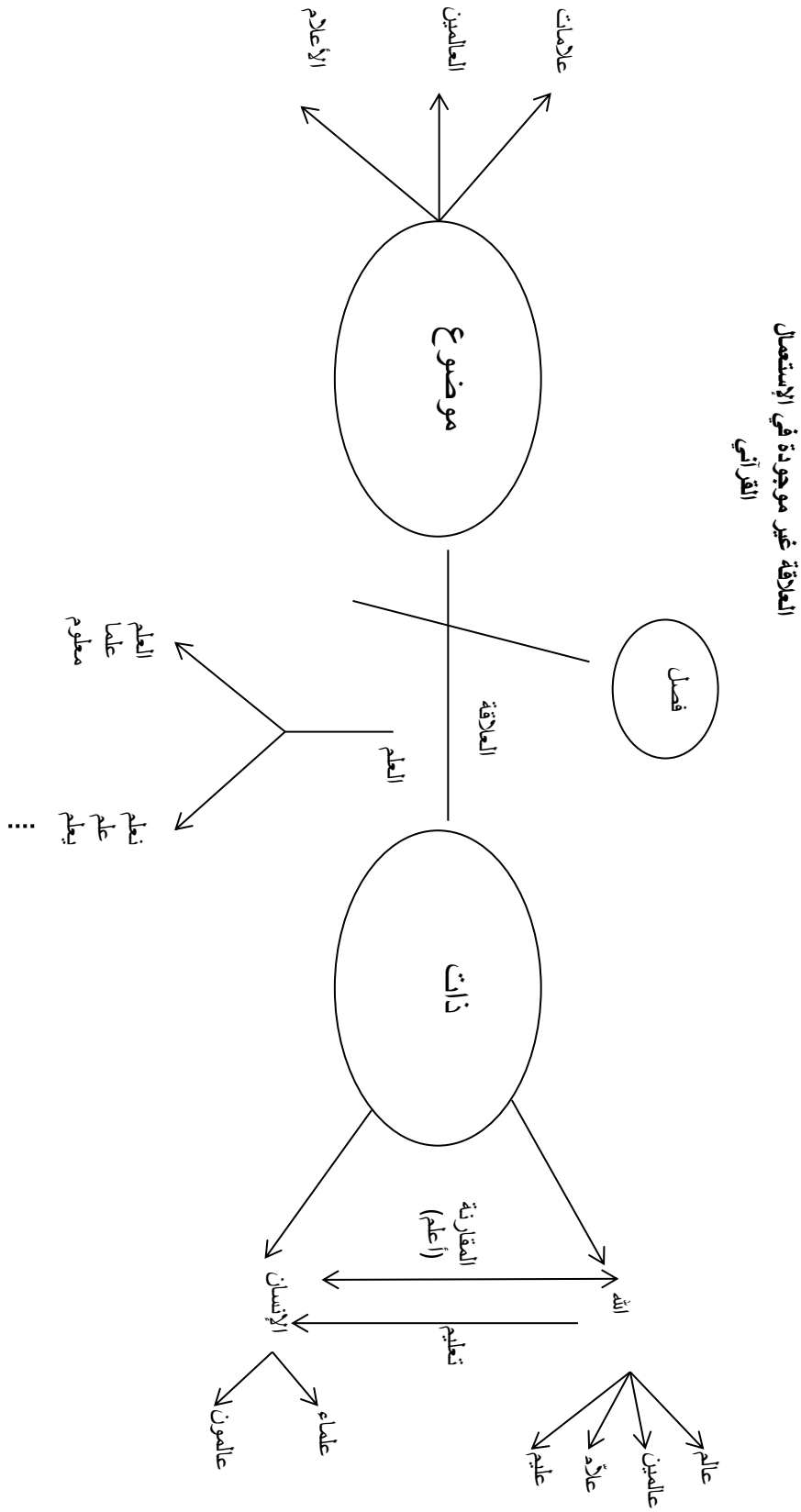
- أكثر الاستعمالات تكراراً على الإطلاق هو استعمال اسم "العليم"
- عند النظر في [علم] غالباً ما يأتي الحديث عن علم الله بصيغة المضارع
- الاستعمالين الخاصين بالقرآن "العليم" و"العالمين" يحتلان مكانة مركزية في السرد القرآني بخلاف ما يرد في معاجم اللغة

### 5. النمذجة المفهومية

عند التأمل في مفهوم العلم من وجهة نظر مجردة يمكن أن نقول أنه تعلق فاعل بموضوع ما، تعلق لا يؤدي إلى وقوع فعل حقيقي من الفاعل على موضوعه وإنما يتمثل في إدراك الفاعل لموضوعه وانعكاسه في مرآته. من خلال هذه الرؤية وعند استقراء استعمالات القرآن في هذا الموضوع يمكن أن نخلص إلى النموذج المفهومي الآتي الذي يعبر، إلى حد ما عن صورة كلية لمختلف هذه الاستعمالات عبر سياقاتها:



## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية



## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

إذا ذهبنا إلى تفصيل الحديث في شرح هذا المخطط فإن لنا مكونين أساسيين له: الذات والموضوع ولكل منهما أصنافه. لكل واحد من هاذين المكونين علاقته الخاصة به ففي حالة الذات فهي تتعلق بموضوعات خاصة، وفي حال الموضوع تعلقه بذات مخصوصة.

أما الذوات المتعلقة بالعلم فهي اثنان، الذات الإلهية والإنسان. يقدم القرآن كل واحد منهما بصيغ

مختلفة

الذات الإلهية	الإنسان
عَالِمٌ	علماء
عَالِمِينَ	العالمون
عَلَامٌ	
عَلِيمٌ	

ثمة في الاستعمال القرآني بين الذات الإلهية و الإنسان علاقات في اتجاهين الأول من الذات الإلهية إلى الإنسان وهو كثير، يعبر عنه من خلال تعليم الله للإنسان وكذا من خلال حثه على التعلم. أمّا الاتجاه الثاني فهو من الإنسان إلى الذات الإلهية لطلب العلم منها وهذا قليل في القرآن. يمكن إضافة المقارنة كعلاقة تربط بين الذاتين، مقارنة تفضيل لعلم الله على علم الإنسان.

أما الموضوع الخاص بمادة [علم] فيعبر عنه القرآن بتعبيرات مختلفة أهمها صيغة "عَالِمِينَ" التي تعبر عن مجموع كلي للعديد من العوالم. ثمة كذلك "علامات" التي هي جزء من الموضوع يعبر عن كليته أو

"أعلام" للحديث عن موضوع يدل على موضوع أو موضوعات أخرى. وأخيرا "معلوم" للتعبير عن الموضوع بصيغة المجهول.

في الاستعمال القرآني لا تلتقي الذات (الذات الإلهية أو الإنسان) مع الموضوع الذي ينتمي لنفس مادة [علم] (العالمين، العلامات، الأعلام) فمثلا لا نجد صيغ مثل "عالم العالمين" بل إن الذات الإلهية ترتبط في الاستعمال القرآني بمواضيع: (غيب/شهادة)، (سموات/أرض)، (شيء) وكذا بتفاصيل وقائع الوجود. أما عن مضمون العلاقة بين الذات العالمة وموضوعها فهي تأخذ شكلين، فتارة تكون بصيغ فعلية مثل يعلم، علم، نعلم،... وتارة تكون بصيغ إسمية مثل "العلم" "علما" أما الموضوع فيرتبط مثلا في "عالمين" باسم الله "رب" في كثير جدا من الاستعمالات التي ترد فيها هذه الصيغة.

### أ. منطق استعمال الصيغ الخاصة بالذات الإلهية

نعمل في هذا المبحث حول الاستعمالات القرآنية التي وردت حول الذات الإلهية باعتبارها ذات عالمة. لقد قمنا بأخذ كل صيغة صرفية على حدة، وحاولنا تتبع منطق استعمالها الذي نتصوره يتحدد في متغيرات، أهمها المواضيع التي ترتبط بها الصيغ الخاصة بالعلم الإلهي، بالإضافة إلى المواقع التي يحتلها كل منهما (الصيغة والموضوع) ثم نعمل بعد ذلك لمقارنة منطق الصيغ فيما بينها خاصة تلك التي تعبر عن اسم من أسماء الله الحسنى.

## صيغة "عليم":

يقول الزجاجي عند التعريف بهذه الصيغة أنّها "من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم وهو بمنزلة قدير من القادر [...] وقد يأتي عليم على تأويل آخر يفارق فيه "علم" وهو أن يراد بعليم مدح الذات بالعلم فيراد به أن ذاته عالمة لا يجوز عليها الجهل [...] فيخرج حينئذ من حدود التعدي، ويفارق تأويل فاعل"<sup>(1)</sup> وهو بذلك صفة مشبهة بمعنى "اسم مصوغ من مصدر الثلاثي للدلالة على الثبوت، والدوام"<sup>(2)</sup> وجمع عليم: علماء مثل جمع حلیم حلماء.

أمّا عند النظر في علاقة صيغة "عليم" بالمواضيع التي ترتبط بها نجد أنّ هناك داخل استعمال هذه الصيغة حالات ثلاثة:

\* ارتباط هذه الصيغة بموضوعات ملموسة، وهذه الحالة بدورها تتفرّع إلى ثلاثة حالات

- ارتباط بفاعل: - والله عليم بالظالمين
- والله عليم بالمفسدين
- والله عليم بالمتقين
- ارتباط بفعل: - والله عليم بما يفعلون
- والله عليم بما يعملون
- والله عليم بما يصنعون
- والله بما تعملون عليم

1- ابن إسحاق الزجاجي، اشتقاق إسماء الله، مؤسسة الرسالة بيروت 1986، ص 50-51  
2- السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهج متن الألفية لابن مالك وخلاصة الشراح لابن عقيل وابن هشام والأشموني، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2004، ص 220.

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

- وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم
- وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم
- وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم
- والله بكيدهمّ عليم

■ ارتباط بشيء ملموس: - إنه عليم بذات الصدور

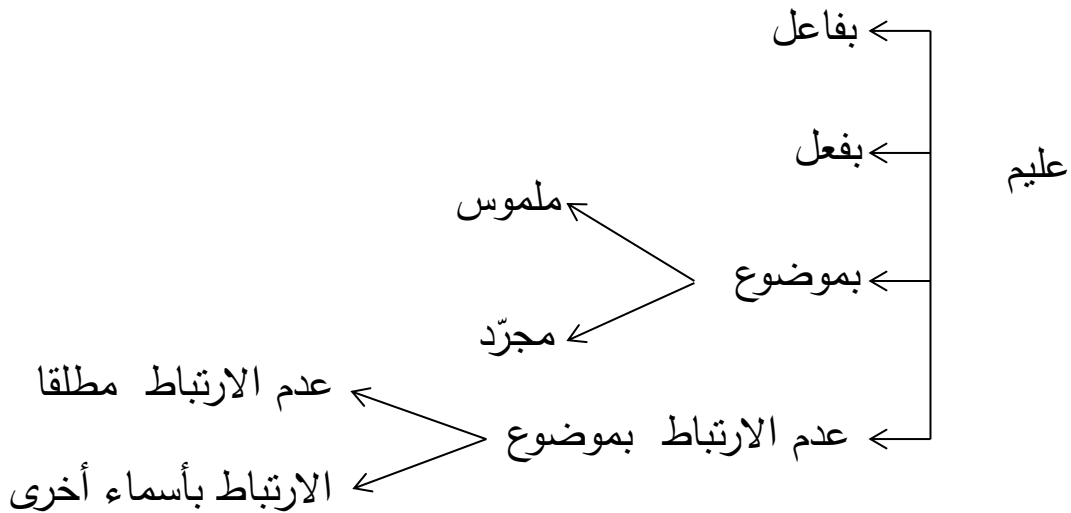
\* ارتباط هذه الصيغة بموضوع مجرد:

■ بكل شيء عليم

\* تجرّد هذه الصيغة من كل موضوع

■ اسم: عليم - العليم - عليما

يمكن تلخيص مجموع إرتباطات صيغة "عليم" بالمخطط التالي:



أما عند ملاحظة العلاقة بين الصيغة وموضوعها من حيث الموقع (بعدم او تاخر احدهما عن الآخر)

فنجد ما يلي:

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

- عند ارتباط الاسم بفاعل يسبق دائما اسم الله العليم الفاعل الذي يرد معه في السياق القرآني.
  - عند ارتباط الاسم بفعل ثمة احتمالان ← يسبق الاسم الفعل
  - ← العكس كذلك وارد.
- إلا استثناء واحدا يشذ عن ذلك وهو لفعل حيث "يعملون" متأخر على الاسم و"تعملون" متقدم عليه، أي يحتمل أن يأخذ الموقعين معا، كلٌّ في حالة خاصة به.
- عند ارتباطه بموضوع ملموس وهو موضوع واحد فقط (ذات الصدور) يسبق الاسم موضوعه، كذلك الحال عند ارتباط الاسم بموضوع مجرد وهو موضوع متكرر كثيرا ودائما بنفس الشكل (بكل شيء عليم) فإن الموضوع المجرد يسبق دائما الاسم.

### صيغة "علام":

يقول الزجاجي عند مقارنته صيغة علام باسم الله العليم "وهو بمنزلة عليم في المبالغة في الوصف بالعلم إلا أن علامًا يتعدى إلى مفعوله بإجماع البصريين، وعليم فيه من الاختلاف ما أخبرتك به"<sup>(1)</sup>

ترتبط هذه الصيغة بموضوع واحد هو دائما في صيغة الجمع. هذا الموضوع دائما مجرد "علام الغيوب"

علام ← موضوع مجرد

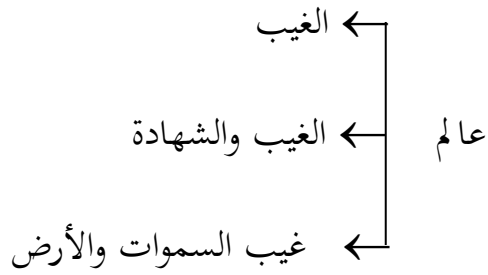
عند ملاحظة العلاقة بين الصيغة وموضوعها من حيث الموقع نجد أن الاسم يسبق دائما موضوعه. ويكون هذا الموضوع دائما في صيغة الجمع "الغيوب".

1- ابن إسحاق الزجاجي، نفس المرجع، ص 57.

### صيغة "عالم":

هذه الصيغة هي اسم فاعل وهو عند التعريف به "اسم مشتق من مصدر الفعل المبني للمعلوم للدلالة على من وقع منه الفعل، قام به على قصد التجدد والحدوث، وإذا أريد باسم الفاعل من الثلاثي المتعدّي إفادة المبالغة والتكثير حوّل قياساً إلى إحدى صيغ المبالغة وهي كثيرة. والمشهورة منها : فَعَّالٌ، مِفْعَالٌ، فَعُولٌ، فَعِيلٌ، فَعِلٌ<sup>(1)</sup>."

أمّا عند النظر في علاقة صيغة "عالم" بالمواضيع التي ترتبط بها نجد

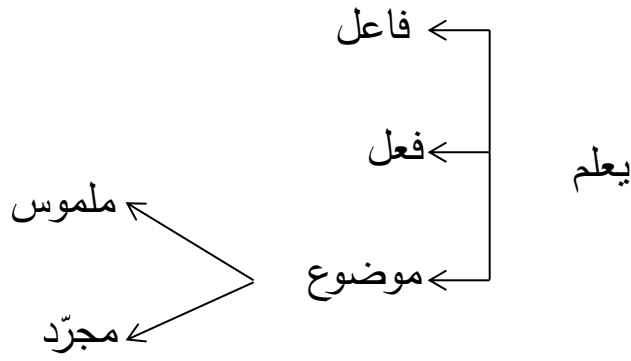


نرى أن صيغة "عالم" ترتبط دائماً بموضوع مجرد، الثابت فيه هو "الغيب" ويتغيّر ما سوى ذلك. أما بالنسبة للموقع فهذه الصيغة تسبق دائماً موضوعها. للإشارة، ثمة استعمال هامشي في القرآن (مرة واحدة فقط) لصيغة "عالم" ولكن في الجمع "وكنا بكلّ شيء عالمين". نرى هنا فرقا واضحا بين مواضيع صيغة "عالم" وبين جمعها الذي يشبه إلى حد كبير بنية الاستعمال الخاصة باسم "العليم".

### صيغة "يعلم":

لهذه الصيغة استعمال معقّد يلخصه المخطط التالي ويأتي بعده تفصيله

1- السيد أحمد الهاشمي، المرجع نفسه، ص 218.



والحديث هنا يحتاج إلى شيء من التفصيل والإشهادات بالآيات داخل نظام وتقسيم معين.

أما اتصال صيغة "يعلم" مع الفاعل فنجدها في الاستعمالات الآتية:

يعلم ← ■ الذين نافقوا

■ الذين آمنوا / المؤمنين

■ الصابرين

■ إنهم لكاذبون

■ المفسد من المصلح

■ المجاهدين

أما الاستعمالات الخاصة بالأفعال فيمكن تقسيمها باعتبار عدد الأفعال إلى صنفين الأولى أحادية

الأفعال:

يعلم ← ■ تكسبون

■ تصنعون



■ تفعلون

■ إسرارهم

والثانية ثنائية الأفعال تعبر عن تقابلات بين هذه الأفعال:

يعلم ← ■ ما يسرّون وما يعلنون

■ ما تبدون وما تكتمون

■ ما تخفون وما تعلنون

■ ما تكن صدورهم وما يعلنون

■ خائنة الأعين وما تخفي الصدور

■ الجهر من القول ويعلم ما تكتمون

■ قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله

يبقى أن نتحدث عن الاستعمالات الخاصة بمواضيع مختلفة تتعلق بها صيغة "يعلم" منها المجردة

والعامة:

يعلم ← ■ ما في السموات والأرض

■ ما في السماء والأرض

■ القول في السماء والأرض

■ السر في السموات والأرض

■ غيب السموات والأرض

■ عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو

ومنها تلك التي تتحدث عن مواضيع ملموسة وهي بدورها تنقسم، باعتبار حديثها عن الإنسان

والطبيعة إلى نوعين في الأولى حديث عن الإنسان:

يعلم ← ■ ما في قلوبكم

■ ما في أنفسكم

■ السر وأخفى

■ سرّكم وجهركم

■ سرّهم ونجواهم

■ الجهر وما يخفى

■ ما بين أيديهم وما خلفهم

وفي الثانية حديث عن الطبيعة:

يعلم ← ■ ما يلج في الأرض وما يخرج منها

■ ما في البر والبحر

■ مستقرها و مستودعها

■ ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام

عند النظر في موقع صيغة "يعلم" من موضوعها، نجد أنها تسبق موضوعها إلا في آيتين اثنتين سبق ذكرهما. كثيرا ما تكون المواضيع (الملموسة والمجردة) المرتبطة بصيغة "يعلم" مكونة من موضوعين مذكورين. من جهة أخرى يجري حديث عن هذه المواضيع من حيث مضمونها (أو ما تحويه) بدون تفصيل ذلك أما الأفعال والفاعلون فتأتي غالبا في صيغ الجمع، وتشارك مع المواضيع السابقة في أنه لا يذكر مضمون أفعالها.

### صيغة "معلوم" و "معلومات":

إن صيغة "معلوم" ترتبط بموضوعات متعدّدة ويمكن تقسيمها إلى مجموعتان من المواضيع أولها متجانسة مدارها حول موضوع الزمن باصطلاحنا المعاصر وترتبط فيها "معلوم" و "معلومات" ب: الوقت - يوم - شهر - أيام - يوم الوقت. تشترك "معلوم" في هذه الاستعمالات بين علم الله وعلم الإنسان، باستثناء عبارة "يوم الوقت" التي تختص بعلم الله وظاهر سياق ورودها أنها تحيل إلى قيام الساعة، "قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم"<sup>(1)</sup>.

أما المجموعة الثانية من الاستعمالات فتحيل إلى أربع مواضيع مختلفة: "وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم"<sup>(2)</sup> "وما من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم"<sup>(3)</sup> وهناك استعمال آخر ترد فيه كلمة "قدر" ولكن بشكل مختلف "فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم"<sup>(1)</sup>، "إلا عباد

1- قرآن الكريم، "سورة الحجر"، الآية 38.

2- المصدر نفسه، "سورة الحجر"، الآية 4.

3- المصدر نفسه، "سورة الحجر"، الآية 21.

1- المصدر نفسه، "سورة المرسلات"، الآية 22.

الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم"<sup>(2)</sup> "وما منا إلا له مقام معلوم"<sup>(3)</sup> يمكن أن نلاحظ عموماً أن المواضيع التي ترتبط بصيغة "معلوم" سواء منها المتعلقة بالوقت أو الأخرى (كتاب، قدر، مقام، رزق) تأخذ طابعاً مجرداً فهي ليست مواضيع العالم كما تظهر وإنما مفاهيم اعتبارية باصطلاح الفلاسفة.

### صيغة "علما":

هي من وجهة نظر صرفية مصدر و"هو ما دلّ على الحدث مجرداً من الزمن، وهو أصل جميع المشتقات"<sup>(4)</sup> أما عند النظر في علاقة صيغة "علما" بالمواضيع التي ترتبط بها نجد أن "علما" ترتبط دائماً بموضوع مجرد "شيء" وهي تشبه في ذلك صيغة "عليم..." وترتبط هذه الصيغة بفعل "وسع" و"أحاط"

■ وسع كل شيء علما

■ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما

■ وقد أحاط بكل شيء علما

بعد تفصيل الحديث حول كل صيغة على حدة، نعود الآن إلى مقارنة الصيغ بعضها ببعض

من حيث طبيعة المواضيع التي ترتبط بها ومن حيث سلوكها السردية في جهة توقعها من موضوعها:

2- المصدر نفسه، "سورة الصافات"، الآية 41.

3- المصدر نفسه، "سورة الصافات"، الآية 164.

4- السيد أحمد الهاشمي، ص 212.

الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

عدم الارتباط	موضوع		فاعل	فعل	العناصر الدلالية
	لملموس	مجرد			الصيغ
-	+	+	+	+	يعلم
-	-	+	-	-	عالم
-	-	+	-	-	علام
+	+	+	+	+	عليم

بعد الموضوع	قبل الموضوع	الموقع
		الصيغ
+	+	يعلم
-	+	عالم
-	+	علام
+	+	عليم

إذا ما قورن بالأسماء الأخرى فإن اسم "العليم" هو أكثر الصيغ ثراء في ارتباطاته بمواضيع

السرد القرآني، تليه في ذلك صيغة "يعلم" فسلوكها السردية قريب جدًا من ذلك الذي نجده في اسم

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

"العليم". بمقابل ذلك، وعند الحديث عن التقارب في السلوك السردى، نجد أن صيغتي "عالم" و"علام" تتشابهان جدا في الجدولان أعلاه سواء من حيث المواضيع اللتان ترتبطان بهما أو المواقع التي تحتلّانها داخل السرد القرآني.

من جانب آخر، إنّ لكل صيغة استعمالها الخاصة (مواضيعها الخاصة بها) وهذا هو الغالب، كأن لكل صيغة حقلها الخاص وارتباطاتها الدقيقة مع مواضيع محددة رغم ذلك نجد أن كل صيغة من هذه الصيغ إلا وتتقاطع في مواضيعها، على الأقل مع صيغة أخرى و على الأكثر مع ثلاث صيغ. إنّ احتمالات التقاطع الممكنة هي كالاتي:

(يعلم) ∩ (عليم) يتقاطعان في موضوع "يصنعون" و"تفعلون" بالإضافة إلى تقاطع في موضوع "الصدور" بصياغات مختلفة: "عليم بذات الصدور" بمقابل "يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور" و "يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون".

(يعلم) ∩ (عالم) يتقاطعان في موضوع "الغيب" من خلال: "يعلم غيب السموات والأرض" وكل استعمالات (عالم) يوجد فيها موضوع "الغيب"

(يعلم) ∩ (علام) يتقاطعان في موضوع "الغيب" ولكن الصيغة الأولى بالمفرد بينما استعمالات الثانية دائما بالجمع "الغيوب".

(عالم) ∩ (علام) تتقاطع الصيغتان في موضوع "الغيب" ولكن عالم دائما بصيغة المفرد "غيب" و غالبا ما ترتبط بموضوع آخر هو ثنائية "الغيب والشهادة"

ملاحظة: لا تتقاطع "عالم" مع "عليم" ولا "علام" مع "عليم"

(عليم)  $\cap$  (علما) تتقاطعان في الموضوع المجرد والكلبي "شيء" ف (عليم) "بكل شيء عليم" و

(علما) "وسع كل شيء علما" "أحاط بكل شيء علما" بالإضافة إلى "ربنا وسعت كل شيء رحمة

وعلما"

علّم	عليم	
$\cup$	$\cap$	يعلم
$\cap$	$\cup$	عالم
$\cup$	$\cap$	علما

## ب. منطق الصيغ المستعملة للتعبير عن موضوع النموذج المفهومي

العمل في هذا المبحث حول الاستعمالات القرآنية التي وردت حول الموضوع المقابل للذات

في النموذج المفهومي. لقد قمنا بأخذ كل صيغة صرفية على حدة، وحاولنا تتبع منطق استعمالاتها

الذي بدوره يتحدد في متغيرات، أهمها الذات التي ترتبط بهذا الموضوع، وكذا الموقع التي يحتلها كل

منهما (الذات وموضوعها).

### صيغة "عالين":

عند النظر في علاقة صيغة "عالين" بـ "الذات" التي ترتبط بها نجد احتمالين:

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

في الأول ترتبط صيغة "عالمين" دائما بالذات الإلهية من خلال اسم الله "رب" و داخل هذا الاحتمال يوجد نوعان بحسب معيار اتجاه الفعل بين الفاعلين (الله والإنسان). من جهة اتجاه الفعل من الله إلى الإنسان مثل "رسول من رب العالمين" ومن جهة أخرى اتجاه الفعل من الإنسان إلى الله مثل "إني أخاف الله رب العالمين" إن هذا النوع إما يعبر عن علاقة (فعل أو تلقي الفعل) بين الله والإنسان، أو يرتبط بعبارات التعظيم والتبجيل (الحمد، تبارك، سبحان) الخاصة بالذات الإلهية.

أمّا في الاحتمال الثاني لا ترتبط صيغة "عالمين" كموضوع بأي فاعل بطريقة مباشرة وإنما يأتي الخطاب العام من الذات الإلهية بطريقة غير مباشرة مثل "وما الله يريد ظلماً للعالمين" أو "وجعلناها وابنها آية للعالمين". أما فيها يخص موقع صيغة "عالمين" فتأتي دائماً في آخر الآيات التي ترد فيها سواء ارتبطت بفاعل فتتأخر عنه أو سوى ذلك.

### صيغة "الأعلام":

يأتي استعمال هذه الصيغة في معرض التشبيه (تشبيه السفينة بالجبل) وهذا التشبيه يفيد فكرة ظهور الأشياء أي أن في الصيغ المتعلقة بالموضوع داخل النموذج المفهومي هناك فكرة أشياء بانته وظهرت بمقابل أشياء بجانبها لا تظهر مثلها أو قل أن ظهورها هو بالنسبة إليها. ترد الصيغة دائماً بالجمع "وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ"<sup>(1)</sup> "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَأَتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ"<sup>(2)</sup>.

1- القرآن الكريم، "سورة الشورى"، الآية 32.

2- المصدر نفسه، "سورة الرحمن"، الآية 24.



## صيغة "علامات":

استعمال هذه الصيغة في معرض الإحالة، أي إحالة أشياء على أشياء أخرى ونقول "أشياء" لأن الصيغة استعملت في الجمع وليس في المفرد "وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ".

## ج. النفي كآلية من آليات التعريف بالذات الإلهية:

على هامش النموذج المفهومي الذي قدمناه يمكن أن نتحدث عن النفي كآلية من الآليات المعروفة بالذات الإلهية في القرآن ذلك أن، بجانب الإثباتات الكثيرة المعروفة بالله تأتي، في السرد القرآني، عبارات كثيرة معبرة عن النفي قد تجاوزها وتتسق معها كما في آية الكرسي (التناوب بين الإثبات والنفي)، و سورة الإخلاص (ثلاث إثباتات ثم ثلاث نفيات) أو قد تأتي منفصلة عنها كما في مواقع أخرى كثيرة. ما يهمنا منها هي تلك التي تظهر أنها مقابلات للعلم، ترد للحديث عن الذات الإلهية وهي مفردة "خفي" بإضافة "لا" النافية.<sup>(\*)</sup>

عند النظر في الآيات التي ترد فيها مفردة "خفي" نجد أن هذه الأخيرة تستعمل للتعبير عن استتار: الشيء كله كما في سورة (فصلت) "إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا" أو بعضه كما في سورة (المائدة) "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين" وأخيرا تستعمل للتعبير عن استتار ما بداخله أما في تدرج ما هو خفي، ترد صيغة "أخفي" للتعبير عن مستوى أكثر ستر من السر.

في الاستعمال القرآني لا ترد هذه المفردة كمقابل مباشر للعلم وإنما كمقابل لثلاث أفعال أخرى هي

(\*) في الاستعمال القرآني لا ترد مفردة "جهل" كمقابل ليعلم، كما هو شائع في قواميس اللغة ومعالجتها.

- إعلان - إخفاء: "ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن"<sup>(1)</sup>

- إبداء - إخفاء: "وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله..."<sup>(2)</sup>

- الجهر - ما يخفى: "إلا ما شاء الله، إنه يعلم الجهر وما يخفى"<sup>(3)</sup>.

إن هذه التقابلات تستعمل في القرآن بجانب إثبات العلم لله، وتأتي آلية انقضاء "الخفاء" بأفعال "يعرض" و"يرز".

## 6. النموذج الصوري - الدلالي للعلاقة بين الصيغ ومواضيعها

فيما سبق عملنا على الصيغ الصرفية الخاصة بمادة كلمة [علم] وحاولنا استخراج، ما أسميناه، بالهويّات السردية لكل واحدة منها. أما الآن فنعمد أولاً إلى رؤية هذه الصيغ الصرفية في تعلقاتها ببعضها البعض، ومن جهة أخرى إلى مقارنة المواضيع ببعضها البعض. وثانياً إلى صياغة نموذج صوري ودلالي للعلاقة بينهما.

1- القرآن الكريم، "سورة إبراهيم"، الآية 38.  
2- المصدر نفسه، "سورة البقرة"، الآية 284.  
3- المصدر نفسه، "سورة الأعلى"، الآية 17.

## أ. مخطط العلاقات الاشتقاقية:

إذا نظرنا للصيغ المستعملة في السرد القرآني من وجهة نظر لغوية وصرفية بحتة فسنجد أن ثمة بينهما علاقات صرفية يمكن أن نلخصها بالمخطط الآتي:

إن هذا المخطط يعبر عن نسق العلاقات بين الصيغ كما يقدمها علم الصرف العربي وينتج لنا عن ذلك مجموعة من الوقائع الدلالية الأساسية التي تحدث من خلال عملية الاشتقاق الخاصة بـ [علم] أهمها : إضافة فاعل دلالي - التجدد - المبالغة - الوصف [الثبات]

السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو ما هو الشرح الذي يمكن أن نقدمه لكل واحدة من هذه الوقائع الدلالية في الاستعمال القرآني؟

عند النظر في كتب اللغة لا نجد إجابات واضحة (من خلال مباحث مثلاً) حول هذا السؤال اللهم إلا بعض الملاحظات في ثنايا الحديث عن مواضيع نحوية وصرفية أخرى. لذلك عمدنا إلى تقديم تأويلنا الخاص لذلك والمتمثل فيما يلي:

- الانتقال من المضارع إلى اسم الفاعل:

من جهة الزمن المضارع يدل على الحاضر أو المستقبل أما في اسم الفاعل فيحذف الزمن ويحلّ محله التجدد أي حدوث ثم انقضاء ثم حدوث وهكذا. من جهة أخرى هناك انتقال من الفعل إلى من وقع منه الفعل ومعنى ذلك ربما تعلق بخصوص للفاعل بموضوعه ينتفي من خلالها الفعل كما كان في المضارع.

- الانتقال من المضارع إلى اسم المفعول:

الاختلاف الدلالي هنا يشبه الاختلاف الموجود بين المضارع واسم الفاعل إلا في دلالة المفعولية.

- بين المصدر والفعل

الاختلاف بين الاثنين في الزمن فالمصدر متجرد منه والفعل المضارع مرتبط بحاضره أو مستقبله.

- المبالغة:

الدلالة المطلقة للمبالغة هي الزيادة حدّ الانتهاء إلى أقصى ما في الموضوع المزداد. الزيادة قد تعني تكثيراً عددياً في الأفعال أو زيادة في مقدار الفعل الواحد أو الأمرين معاً. أو ربما تتحدّد الزيادة بما هو عليه الموضوع وبنيته.

- الثبات من خلال الوصف:

يدل على استمرار ما يوصف به في الزمن، وهو بخلاف المصدر المتجرّد من الزمن

## ب. المواضيع: قراءة دلالية

هناك نوعان كبيران من المواضيع المتعلقة بمادة [علم] في القرآن الكريم، الأولى هي مواضيع من حيث ارتباط صيغ العلم بها (تأتي هذه المواضيع من مادة كلمات أخرى)، والثانية هي مواضيع من حيث اشتقاقها من مادة كلمة [علم] مثل عالمن، علامات، وقد سبق الحديث فيها.

### - المواضيع التي ترتبط بصيغ مشتقة من [علم]:

هي بدورها يمكن أن تصنف بمعيار طبيعتها إلى مجردة وملموسة

← المواضيع المجردة: وهي عنوانان عامان "الغيب والشهادة" و"كل شيء" أما الأول فهو

ليس من منظار الله عز وجل فكل المخلوقات تستوي في علمه وإنما هو من وجهة نظر من

يوجد في هذا العالم (الإنسان، الجن، الملائكة) فالغيب هو إما عدم قدرة على إدراك الشيء

الموجود مع حضور الذات المشاهدة أو عدم وجود الشيء في مجال ما تشاهده الذات

الحاضرة. أما الثاني فيمكن تسميته، من وجهة نظر منطقية، الكلي الطبيعي والذي مصاديقه

الأشياء " بكل شيء عليم " أي: عليم بالشيء (1) + عليم بالشيء الثاني + ... وهكذا مع

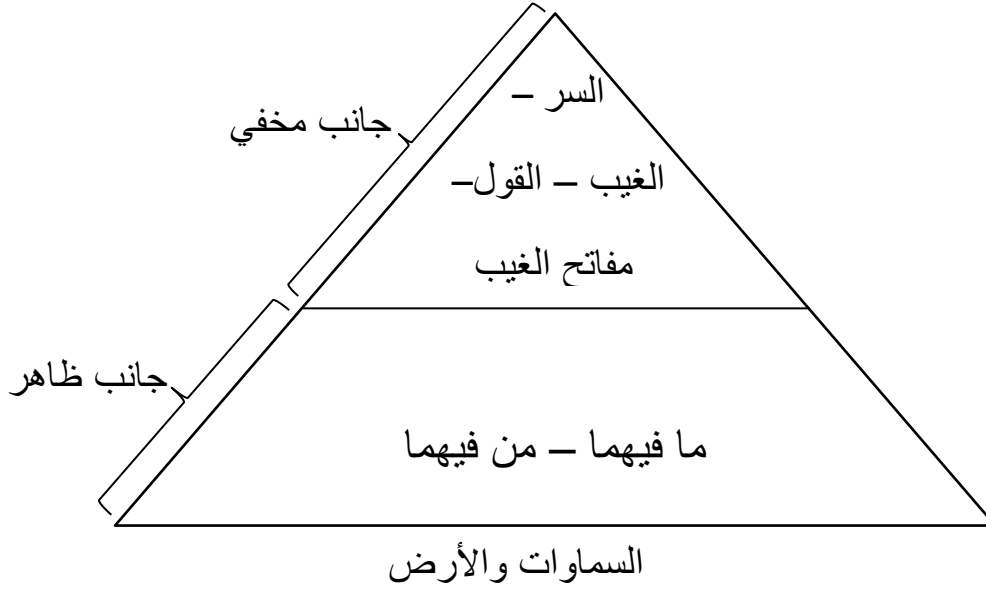
الفصل بين هذه الأشياء ولا تستعمل عليم للدلالة على العلاقات بينها.

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

← المواضيع الملموسة: وهي إما "السموات والأرض" باعتباره موضوعا مركبا من مجموع

الموضوعات الملموسة الأخرى وفي هذه الحالة كثيرا ما يضاف محدد لها مثل "السر" "الغيب"

"القول" ويمكن تلخيص منطق السرد القرآني حول السموات والأرض فيما يلي:



وإما المواضيع الملموسة، فمذكورة بطريقة مباشرة سواء منها ما تعلق بالإنسان مثل "عليم بذات الصدور" أو الأفعال وما شابهها "يعلم ما يفعلون" أو موجودات العالم وتفصيلها (الدواب، الأرحام، التفسيرات الطارئة في السموات والأرض...).

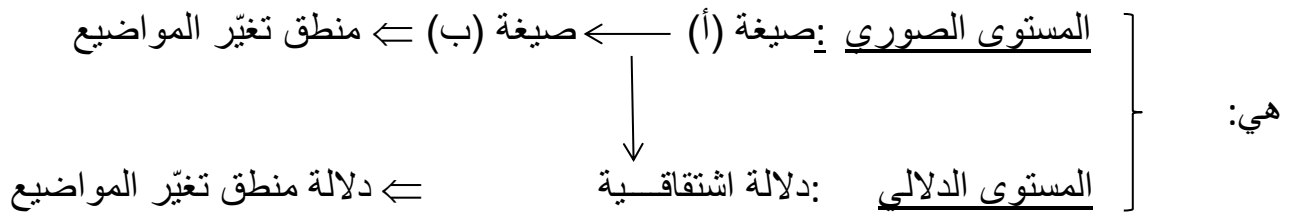
### ج. تفصيل النموذج الصوري - الدلالي:

خلص عملنا في هذه المرحلة منه إلى التأكيد على خصوصية الاستعمال القرآني وتعلق صيغته بمواضيع محددة، لا تظهر للقارئ من خلال الاطلاع العام على القرآن وإنما تظهر من خلال عمل مفصّل

## الفصل الثاني: اسم "العليم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية

وعميق. أمّا الفكرة الإجمالية فمدارها حول العلاقة بين نموذج العلاقات الصرفية وارتباطاته بمنطق المواضيع التي ترد معه:

### (نموذج الصيغ) ع (منطق المواضيع)

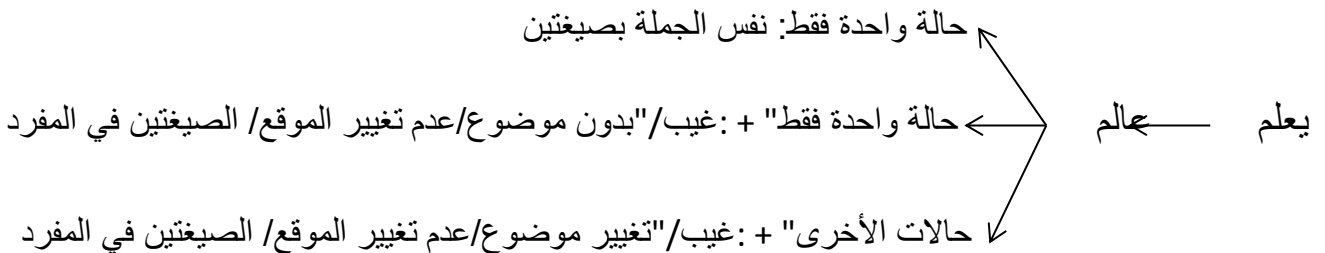


إنّ ثمة، في هذا المخطط مستويين الأوّل صوري عمدنا فيه إلى رصد التغيّرات الموجودة في علاقات بعضها الصيغ وكيف تتغيّر معها طبيعة المواضيع التي ترتبط بها. أمّا المستوى الثاني فهو بمثابة التحليل الدلالي لما يحدث في المستوى الأوّل، وهو ظنّنا، حلقة الوصل بين التحليل الصرفي وبعض ملامح الرؤية الأنطولوجية الموجودة في القرآن.

سنذهب الآن إلى تحليل العلاقات بين الصيغ في ضوء هذا النموذج العام

- من يعلم إلى عالم:

← المستوى الصوري:



### المستوى الدلالي:

إن التغيّر الواقع في الدلالة بين الصيغتين هو التجدد عوض زمن محدد (الحاضر أو المستقبل) وحضور الفاعل الدلالي عوض الفعل. من خلال ذلك نحاول فهم منطق الحالات الثلاث من التغيرات الواقعة

بينهما في المواضيع التي ترتبط بهما. موضوع الغيب ثابت في استعمال عالم

- الحالة الأولى: تعبير تقاطعهما في موضوع غيب السماوات والأرض. من خلال ذلك يمكن

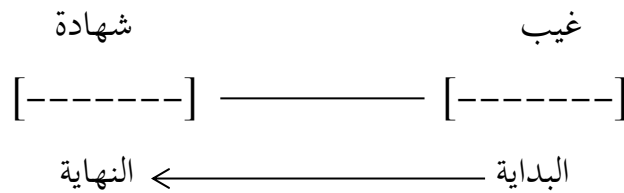
القول أن ثمة مستويين في الغيب، الأول متجدد والثاني ذو زمن محدد

- الحالة الثانية: استعمال غيب بدون موضوع ويدل ذلك، كما في الحالة الأولى، على النوع

المتجدد من الغيب (النوع الأول)

- الحالة الثالثة: استبدال السماوات والأرض بشئ الغيب والشهادة ويمكن أن تفهم أن ثمة

تجددا في عنصري الشئ الغيب يعبر عن ذلك الشكل الآتي:



أي تجدد من جهة فيما لا يراه الإنسان، ومن جهة أخرى فيما يشهده

- من عالم إلى عالم:

← المستوى الصوري:

عالم ← عالم: حذف موضوع "الشهادة"/"موضوع" غيب "يذهب إلى الجمع/عدم تغيير الموقع



← المستوى الدلالي:

إن التغيّر الواقع في الدلالة بين الصيغتين هو الزيادة في عدد عوالم الغيب المتجدّدة وربما كذلك زيادة في وتيرة التجدد ذاتها وتقصى من ذلك الشهادة باعتبارها بالضرورة عالما واحدا غير متعدد.

- من عالم إلى عليم:

الحالة (1): عليم صيغة مبالغة

← المستوى الصوري:

عالم ← عليم: لا توجد مواضع مشتركة/ نفس الموقع

← المستوى الدلالي:

من وجهة عملنا، لا يمكن القول أن عليم هي صيغة مبالغة لعالم لأن المبالغة تكون في الأصل بين صيغتين لهما نفس الموضوع، وهذا غير متحقق هنا.

الحالة (2): عليم صيغة مشبهة

← المستوى الصوري:

← الحالة (1): نفس الموضوع/ نفس الموقع

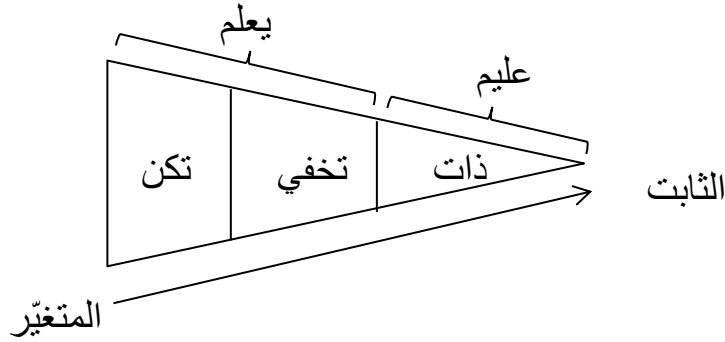
يعلم ← عليم:

← الحالة (2): تقاطع في جزء من الموضوع واختلاف في تحديده/ نفس الموقع

(يعلم تخفي/ تكن : الصدور) (عليم بذات الصدور)

← المستوى الدلالي:

إن التغيّر الواقع في الدلالة بين الصيغتين هو وجود الزمن في الأولى وانعدامه في الثانية، من خلال ذلك يمكن أن نفهم في الحالة الأولى أن ثمة مستويين في "يصنعون" و"يفعلون" مستوى يُعلم و مستوى الله به عليم. وفي الحالة الثانية يمكن أن نستنتج أن محددات الموضوع (تخفي، تكن و ذات) تعبّر عن مدى عمق ما يعلم و مدى تغيّره أو ثباته فكلما اتجهنا إلى الذات اتجهنا إلى الثابت



- يعلم إلى معلوم:

← المستوى الصوري:

يعلم ← معلوم: لا يوجد اشتراك في المواضيع/الموقع يتغيّر

← المستوى الدلالي:

من وجهة نظر عملنا، لا توجد علاقة دلالية بينهما

- من علما إلى يعلم:

← المستوى الصوري:

عدم اشتراك في المواضيع/الموقع يتغير

← المستوى الدلالي:

لا توجد علاقة دلالية واضحة بينهما.

## خاتمة

انتهى عملنا إلى بلورة نموذج صوري - دلالي هو بمثابة شبكة دلالية معقدة يحتلّ فيها اسم "العليم" مكانة مركزية، سواء من حيث عدد الاستعمالات من وجهة نظر احصائية، أو من خلال هويته السردية المعقدة والتي تظهر، جداول تعلّقها بالمواضيع التي ترتبط بها، ثراء في سياقات ورودها. إن المرجع الحقيقي Référent objet لهذا الاسم يندرج ضمن مراتب وجودية معقدة أعلاها المواضيع التي يرتبط بها اسم الله "العليم"، ذلك، أن علم الله واحد تعدّدت صيغته بتعدّد مواضيع ومستويات العالم المقابلة لها، فعلم الله عندما تجسّده صيغة "يعلم" هو إدراك لحقيقة الشيء حقا و لكنّه ليس الشيء ذاته الذي يتم إدراكه من خلال صيغة "العليم". هذا من جهة، ومن جهة أخرى تأتي صيغ "عالم" و"علام" لتعبّر عن العالم من منظور مختلف عن ذلك الذي نجده في صيغ "يعلم" و"العليم"، منظور من يوجد في هذا العالم، فيشهد بعضه ويغيب عنه بعضه.

إن عملا على نموذج عام للعلاقات الصرفية والدلالية حول مادة [علم] ومختلف استعمالاتها في القرآن قد يعطي صورة أدقّ حول مراتب الوجود وتعلّقات بعضها ببعض، ذلك أنّ هذه الصيغ يتكامل بعضها مع بعض في التعريفات ليس فقط بالذات الإلهية (فعلمها واحد في مطابقتها للأشياء) وإنما بوقائع هذا العالم وهذا هو الأهمّ في نظرنا .

## الفصل الثالث

العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

## تمهيد

يعتبر مبحث الأسماء أحد مباحث العقيدة الإسلامية. ثم التفكير فيه من خلال آليات لإنتاج المعرفة خاصة بالعقل الإسلامي التراثي. من بين ما يمكن ملاحظته على هذا المبحث تعامله مع الموضوع من منطلق مقولات منهجية ضمنية تتمثل في أمران (1) دراسة الأسماء خارج سياقاتها النصية (2) اعتبار كل اسم وحدة منفصلة يتم تعريفها وتحليلها بدون الرجوع إلى علاقاتها مع الأسماء الأخرى، تشهد على ذلك أغلب الكتب التراثية المتعلقة بالأسماء فهي تخصص لكل اسم بابا مستقلا يتم فيه التعريف به وشرحه على العكس من ذلك، يعتمد هذا الفصل على مقولتين أساسيتين: 1- اعتبار أسماء الله الحسنى بمثابة عناصر نصية تنتظم داخل سياقات ورودها، فهي بذلك تعريفات سياقية بالذات الإلهية. إن هذه المقولة تفتح المجال لأشكلة جديدة لهذا الموضوع، من خلال ما استجد في حقل الدراسات المعاصرة. 2- من بين ما تتضمنه المقولة (1) إمكانية التفكير في هذه الأسماء من منطلق علائقي، ذلك أن ثمة عددا كبيرا منها يرد متجاورا في الاستعمال القرآني مثل "عليم - حكيم". يتكرر هذا النوع من التعريفات بشكل لافت.

-من منطلق هاتين المقولتين، نبحت هذا الفصل إمكانية وجود قواعد تميز استعمال الأسماء وانتظامها العلائقي ونحاول وصف منطقتها .

## 1. الأساس العلائقي في تصنيف الأسماء

إن استقرار مختلف استعمالات الأسماء في القرآن وعبر مختلف سياقات ورودها يظهر أهمية التفكير في الأسماء من منطلق علائقي أي كونها مرتبطة أو غير مرتبطة بغيرها من الأسماء وما قد يقتضيه ذلك من قواعد ودلالات متعلقة بمقارنتنا لهذا الموضوع. إن ثمة، بهذا الاعتبار ستة أنواع من الأسماء: (\*)

- \* منها ما يرد دائما وحده مثل "الصمد".
- \* منها ما يرد في وحده في حالات ويرد في أزواج إسمية في حالات أخرى مثل اسم "العليم".
- \* منها ما يرد دائما داخل بينة زوجية فقط مثل "السميع".
- \* منها ما يرد تارة داخل بنية زوجية وتارة في سلسلة من الأسماء مثل "العزیز".
- \* ومنها، أخيرا ما لا يرد إلا في سلسلة من الأسماء مثل "المصوّر".

عند النظر في هذا التصنيف، كما نجده في السرد القرآني، فإن الأمر اللافت فيه والغالب في القرآن هو ارتباط الأسماء في بنى زوجية وهذا ما سنركز عليه بحثنا في هذا الفصل.

## 2. منهجية عملنا في وصف البنية الزوجية

لقد عملنا على استخراج رؤية عامة وشاملة حول علاقات الأسماء ببعضها البعض، وأفادنا في ذلك كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد فؤاد عبد الباقي. لقد رصدنا لكل اسم من أسماء الله الحسنى، مختلف الأسماء الأخرى التي يرتبط بها في القرآن وقمنا بإحصاء هذه الارتباطات

(\*) ننبه هنا على أن عملنا لم يأخذ في اعتباره اسم الجلالة "الله" واسم "رب". ذلك أن استعمالها في سياق السرد القرآني معقد جدا ويحتاج إلى عمل طويل منفرد لها.

## الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

فمثلا أول ارتباط لاسم الله "العليم" هو مع اسم آخر هو اسم "الواسع" ويتقدم فيه هذا الأخير، كما

هو مبين "واسع عليم" أي في عملنا واسع <sup>ارتباط</sup> عليم ثم بعد ذلك يرتبط اسم "العليم" باسم

"الحكيم" ويتأخر فيه هذا الأخير كما هو مبين: "عليم حكيم" إي في عملنا عليم <sup>ارتباط</sup> حكيم

وهكذا إلى آخر القرآن أي : واسع — عليم

عليم — حكيم

.  
. .  
. .  
. .

إن هذا الشكل هو صورة جملة وبنية ساكنة تختزل حركة معقدة للأسماء في سياقات ورودها داخل

القرآن. أمّا مجموع ارتباطات اسم العليم وعددها فيقدهما المخطط الآتي:

الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

الحكيم	28	العليم	07	واسع
حليم	03		32	السميع
خبير	04		02	شاكر
قدير	04		06	العزیز
			01	الفتاح
			01	الخالق
			01	حفيظ
			05	الحكيم

من الناحية المنهجية سمحت لنا هذه الطريقة في تبين معطيات موضوعنا خاصة ما تعلق منها بمعرفة الخصائص السردية العامة لكل اسم من حيث الموقع والأسماء التي يرتبط بها وعدد هذه الارتباطات<sup>(1)</sup>



### 3. أزواج الأسماء: البنية وعناصرها

#### أ. تعريف البنية:

يقول طه عبد الرحمان في تعريفه لمفهوم البنية الرياضية في كتابه "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" واعلم أيضا أن البنية إجمالا هي عبارة عن مجموعة تتصف بالخصائص الأربع الآتية: (\*)

"البناء اعلم أن عناصر المجموعة التي تتكون منها البنية \_ أو قل أفراد المجموعة ليست عناصر متفرقة يقع النظر في خصائصها واحدا واحدا، ولا هي عناصر متكدسة تؤخذ أخذ الكل المصمت الذي لا يتجزأ ولا يتفرع، وإنما هي عناصر مبنية بناء، إذ تنتظم في ارتباطات تخرجها عن وصف الانعزال كما تخرج المجموعة التي تدخل فيها عن وصف الجمود؛ وتتخذ هذه الارتباطات صورتين اثنتين: إحداهما "العلاقات" والثانية "العمليات".

أمّا العلاقات، فهي عبارة عن كل الارتباطات التي تجمع بين الأفراد، مثنى أو ثلاث أو رابع، إلخ كالأفعال المتعدية، ويتسع المدلول الرياضي للعلاقة ليشمل أيضا الأفعال اللازمة والصفات التي تقوم بالأفراد دون أن تتعدى إلى غيرها" (1).

(\*) نحن لا نذكر من هذه الخصائص هنا إلا اثنتان منها، فهي الوحيد التي تهّمها في عملنا.  
1- طه عبدالرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، 1998، ص 175.

## ب. البنية الإسمية:

نعمد هنا إلى تحليل ارتباطات الأسماء ببعضها ومحاولة تعميق المسائلة لطبيعة ذلك من منطلق اعتبار ذلك بمثابة بني تتكون من مجموعة متغيرات تتعلق ببعضها بطريقة معينة. إن البنية الواحدة قد تأخذ الشكل الآتي:

[موقع (1) — اسم (1)] رابط [موقع (2) — اسم (2)]

مثلا عليم ارتباط حكيم  
موقع                      موقع

إن عناصر هذه البنية ثلاثة ( الاسم، الموقع والرابط)، وقد يأخذ كل منها أشكالا مختلفة، فعدد الأسماء كثير وقد يتغير من بنية إلى أخرى، وثمة موقعان وارتباطهما قد يعني دلالات مختلفة. إن هذا الأمر يدفعنا إلى اعتبار هذه العناصر بمثابة متغيرات، أحدها دلالي الذي هو الاسم، والآخران منطقيان. تهدف هذه الدراسة في فصلها هذا إلى استخراج بعض القواعد التي تميز هذا النوع من البني ووصف منطق عملها. إننا نقصد بالمتغير هنا ما هو متداول من هذه الفكرة في حقل العلوم الاجتماعية من أنه "ميزة خاصة بأشخاص، بأشياء أو بأوضاع مرتبطة بمفهوم والتي يمكن أن تأخذ قيما متنوعة"<sup>(1)</sup> يبقى لنا أن نشير إلى أن هذا التحليل لا يشمل الآية كوحدة عامة وإنما فقط الأسماء كجزء منها، ذلك أن الآية من وجهة نظرنا بنية أعقد بكثير من دراسة العلاقة بين اسمين و تصعب دراستها بطريقة مباشرة وبالشكل الذي تتواجد فيه. إن أغلب الآيات التي تذكر فيها الأسماء تضاف

1- مورين أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية. تدريبات عملية، الطبعة الثانية، ترجمة بوزيد صحراوي وكمال بوشرف وسعيد سبعون. دار القصبية، 2004، ص 168.

فيها إلى البنية الأسمية، متغيرات أخرى أهمها: الذات الإلهية من خلال لفظ الجلالة، موضوع هو مدار الحديث في الآية، وما يمكن أن نسميه متغير العلاقة بين اسم الجلالة وأسماء الله الحسنى من أمثال: "إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ" "وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" "هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" إنها عوامل الارتباط بين الذات الإلهية وصفاتها.

### ج. قراءة في عمل المتغيرات

هنا نحلل البنية إلى عناصرها الأساسية ونعمل على كل متغير منها على حدة حتى يظهر وظيفته وخصائصه ونستخرج بعض القواعد الخاصة به.

#### ج.1. متغير الموقع: (\*)

إن هناك موقعين يمكن أن يحتلّهما الاسم داخل هذه البنية. إذا فكرنا من منطلق موقع الاسم، فإن ثمة أسماء لها مواقع ثابتة: منها ما يذكر دائما في الموقع الأوّل والعكس كذلك موجود، فمنها ما يذكر دائما في الموقع الثاني. بمقابل ذلك توجد أسماء يمكن أن تأخذ الموقعين بحسب الأسماء الأخرى التي ترتبط معها. إن الجدول الآتي يلخص ذلك بالنسبة للعديد من الأسماء.

(\*) إشكال الموقع هو إشكال منطقي ولكنّه يأخذ أشكلا أخرى عند الحديث عن الدلالة وهي دلالة ترتيب الأسماء داخل البنية وما قد يعنيه التقديم أو التأخير في ذلك.

الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

الأسماء التي تأخذ دائما الموقع الأول	الأسماء التي تأخذ دائما الموقع الثاني	الأسماء التي يمكن أن توجد في الموقعين
السميع	القهار	العليم
الواحد	القدير	الحكيم
الرزاق	العظيم	الحميد
الرحمان	الكريم	الغفور
العلي	الودود	العزيز
اللطيف	الرشيد	الرحيم
التواب		الخبير
العفو		الحليم
الرؤوف		الشكور
الواسع		الكبير
الغني		
الحليم		

## الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

فيما يخص الأسماء التي لها موقعين فأغلبهما من وجهة نظر إحصائية، لها موقع أساسي وموقع ثانوي فمثلا اسم "الحكيم" موقعه الأساسي هو الموقع (2) [79مرة] وموقعه الثانوي هو الموقع (1) [10مرات]، عكس اسم "العزیز" الذي موقعه الأساسي هو الموقع (1) [81 مرة] وموقعه الثانوي هو الموقع (2) [07مرات]، لكن في بعض الحالات يوجد استعمال إلى حد ما متكافئ أو على الأقل متوازن بين الموقعين مثل اسم "العليم" الموقع (1) [39مرة] والموقع (2) [55مرة]

في الجدول الآتي نورد بعض الأسماء من خلال تصنيفها باعتبار موقعها الأساسي الذي ترد فيه

الأسماء المتوازنة	الأسماء التي موقعها الثاني أساسي	الأسماء التي موقعها الأول أساسي
العليم	الحكيم	العزیز
	الحميد	الغفور
	الرحيم	
	الخبير	
	الشكور	
	الكبير	

## ج.2. متغير الرابط:

إن ثمة عند الحديث عن متغير الرابط جانبا، تقنيا يتمثل في رصد عدد ارتباطات كل اسم وتقييم درجة هذا الارتباط من منظور إحصائي. عند التفكير من خلال معيار عدد ارتباطات الأسماء فإنها تتواجد في مجال بين [1ارتباط 12 ← ارتباط] أي أن هناك أسماء لها ارتباط واحد وهناك من لها اثنان وهكذا وصولا إلى الاسم الأكثر ارتباطا مع غيره في القرآن وهو اسم "العليم" (12 ارتباط).  
أما من حيث درجة الارتباط أي بمعنى آخر عدد تكراراتها فهي تتواجد في مجال بين [1 إلى 71 تكرار] وأقوى ارتباط من هذه الناحية في السرد القرآني هو ذلك الخاص بإسمي "غفور- رحيم" (71 ارتباط).

## ج.3. متغير الاسم:

إذا نظرنا إلى متغير الاسم فإن معنى التغير فيه يتحدد أساسا بالمضمون الدلالي لكل واحد من هذه الأسماء. إن ثمة أسماء متفرّدة في دلالتها و متميّزة عن كل الأسماء الأخرى مثل "الصمد" "العزیز" وهناك أسماء أخرى تتجاوز في دلالتها ويمكن أن تندرج في حقل دلالي مشترك مثل "سميع" "بصير" "عليم" "خبير" "شاهد...".

إن هذا التجاوز قد يأخذ أشكالا عديدة منها : التشابه، التقاطع، التضمّن (الاستغراق). إن بالنسبة لاسم "العليم" مثلا هناك أسماء بعيدة في دلالتها عن دلالته مثل "العزیز" "الأحد" ... وأسماء أخرى مجاورة له في الدلالة. إن التجاوز في مثالنا لاسم "العليم" قد يأخذ أشكالا ثلاثة:

✓ مجاورة اسم من مستوى آخر من الدلالة (حسّي مثلاً)، سميع وبصير

✓ مجاورة أسماء قريبة ومتداخلة مثل لطيف، خبير

✓ مجاورة أسماء قريبة وغير متداخلة مثل حكيم

#### ج.4. العلاقات بين المتغيرات:

إذا فكرنا من منطلق الموقع، هناك أسماء لها مواقع ثابتة دائماً وهي قليلة منها ما يأتي دائماً

في الموقع (1) مثل "سميع" ومنها ما يأتي دائماً في الموقع (2) مثل "بصير" هذه الأسماء إما لها ارتباط واحد مثل "الواحد" أو عدّة ارتباطات مثل "سميع".

عند ملاحظة درجة الارتباط (تكرارها) لاحظنا أنّ:

الأسماء الثابتة في الموقع (1) درجة ارتباطاتها بين [1 ← 32]

الأسماء الثابتة في الموقع (2) درجة ارتباطاتها بين [1 ← 10]

إذا فكرنا من منطلق الموقع كذلك، هناك أسماء أخرى يمكن لها أن تأخذ الموقعين (هي الغالبة في القرآن). من الناحية الإحصائية أغلب هذه الأسماء كذلك لها موقع أساسي وموقع ثانوي بحكم أن لهذه الأسماء موقعين فإن هناك جانبين للارتباط.

في بعض الحالات عدد ارتباطات هذه الأسماء هو 2 فقط (واحد عن يمين والآخر عن اليسار)

وعموماً عدد الارتباطات لهذه الأسماء هو من [4 ← 12]

## الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

إذا نظرنا لعدد الارتباطات في علاقته بالموقع، من حيث هو أساسي أو ثانوي نجد أنه :

\* دائما يأتي العدد الأكبر من الارتباطات من الجهة المقابلة للموقع الأساسي يتم التأكد من هذه القاعدة من خلال حساب المجموع العام لتكرارات الارتباط من الجهتين، الجهة التي يوجد فيها أكبر عدد من التكرارات في المطلق هي الجهة نفسها التي يوجد فيها أكبر عدد من الارتباطات

\* دائما يأتي الارتباط الأكبر (من حيث التكرار) من الجهة المقابلة للموقع الأساسي

\* لا يكون عدد الارتباطات متساوي من الجانبين إلا في حالة واحدة وهي استثناء، حالة ارتباط واحد من الجانبين.

\* اسم عندما يرتبط باسم آخر يحافظ دائما على موقعه في كل السياقات مهما تعدد الارتباط .

فمثلا حكيم يمكن له أن يكون في الموقعين ولكن عندما يرتبط بالعزير يكون دائما في الموقع

2 ولا يغيّره أبدا.

هناك 3 استثناءات لهذه القاعدة:

عليك  $\xleftrightarrow{(28)}$  حكيم  
(05)

غفور  $\xleftrightarrow{(71)}$  رحيم  
(15)

غفور  $\xleftrightarrow{(04)}$  حليم  
(02)



ملاحظة: هذا التغيّر لا يكون في نفس السورة فمثلا تغيّر موقع عليم مع حكيم لا يتوافق في

نفس السورة وإنما في سورة مختلفة

لكل اسم عدد محدود من الأسماء التي قد يرتبط بها، أي من وجهة نظر مقابلة، هناك أسماء لا يرتبط بها أبدا. هذه الأسماء قد ترتبط في بنى أخرى فيما بينها وقد لا ترتبط إذا نظرنا للارتباط من وجهة نظر دلالية يمكن أن نستنتج أن الاسم قد يرتبط مع اسم آخر ليس له تجاوز دلالي معه وقد يرتبط الاسم مع أسماء مجاورة له في الدلالة (مثال قوي-عزيز، سميع-عليم) وقد لا يرتبط (مثال بصير\* عليم).

### د. إشكال العلاقة بين الهوية الإسمية والبنى الإسمية في القرآن:

بعد حديثنا عن البنيات الإسمية وعند التفكير في إمكانية تعلق بعضها ببعض هناك احتمالان:  
الأول يتمثل في اعتبار كل بنية إسمية ترد في القرآن بمثابة عنصر نصي معزول يتم التفكير فيه بطريقة منفصلة عن البنى الإسمية الأخرى، يدرس داخل الآية فقط من حيث ارتباطه بموضوعاتها. أما الاحتمال الثاني أن نعتبر كل بنية إسمية بمثابة عنصر نصي مرتبط ببنى إسمية أخرى. في هذه الحالة يمكن التفكير في هذا الترابط من خلال مستويين، مستوا للارتباط داخل السورة "أي بمعنى آخر مجموع الأسماء التي توجد في السورة وشكل تعلقها ببعضها. مستوا ثان للارتباط يشمل عموم السرد

القرآني وكيف تتعلّق بنية إسمية بغيرها في كل هذا النصّ. إننا في عملنا هذا نرجح الاحتمال الثاني ونعمل عليه<sup>(\*)</sup>

\* أما عن أشكال الارتباط الممكن بين هذه البنى الإسمية فهي ثلاثة:

\* ارتباط بين بنى إسمية متشابهة تماما

\* ارتباط بين بنى إسمية تشترك في أحد أسمائها مثل "سميع عليم" و"عليم حكيم".

\* ارتباط بين بنى إسمية مختلفة تماما مثل "عليم حكيم" و"غفور رحيم"

#### د.1. منهجية عملنا في فهم تعلقات البنى الإسمية ببعضها البعض:

عند محاولة تحليلنا للعلاقات بين الأشكال الثلاثة الممكنة لارتباط البنى الإسمية ببعضها البعض داخل السورة الواحدة بلورنا ثلاث مستويات كلّ واحد منها يتكون من خطاطات تذهب، بحسب تغير المستوى، من الجمل إلى المفصّل، وكل خطاطة تعبّر عن ارتباطات الاسم مع أسماء أخرى. أما الخطاطة الأولى فتعبّر بطريقة سطحية عن مجموع الارتباطات الممكنة للاسم بالإضافة إلى تكرارات هذه الأخيرة، سمينا هذه الخطاطة بالبنية الساكنة، وهنا نقدم مثال سورة الأنعام.

(2)	_____	سميع
عليم		
(1)	_____	عزيز
(3)	_____	حكيم

(\*) لكل واحد منهما جانبها التقني.

## الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها

أما في المستوى الثاني فنحاول تفصيل المخطط السابق، فلا تكتفي بتذكر الارتباطات الممكنة للاسم وإنما نفضّلها كلها داخل السورة، ونقرأها ارتباطا بالترتيب الموجود في السرد القرآني، وسمينا هذه بالبنية المتحرّكة وهي تفصيل للخطاطة السابقة.

السميع	_____	العليم
عزیز	_____	عليم
العزیز	_____	العليم
السميع	_____	العليم
حكيم	_____	عليم
حكيم	_____	عليم

أمّا المستوى الثالث فهو يشبه المستوى الثاني ولكن فيه كل البنى الإسمية الموجودة في السورة الواحدة وليس تلك المتعلقة باسم واحد لذلك عند استقراء كلّ الأسماء الموجودة في سورة "الأنعام" نجد ثنائيات أسماء أخرى مثل: حكيم خبير، غفور رحيم، اللطيف الخبير.

### د.2. السورة: ملامح قراءة إسمية

إننا نعتبر السورة نظاما موضوعيا ودلاليا معقّدا تتوزع داخله الأسماء باعتبارها تعريفات سياقية بالذات الإلهية. إن ثمة بينهما علاقة معقّدة نتصوّرها حول مستويين: الأوّل يتم فيه استخراج كلّ الآيات التي توجد فيها أسماء الله الحسنى وبعد ذلك مباشرة تحليلها لمعرفة العلاقات الموجودة بين مواضعها وهذه الأسماء:

عملية تفهم: [موضوع v موضوعات  $\longleftrightarrow$  أسماء]

في المستوى الثاني يتم دراسة العلاقة العامة بين، من جهة، مجموع المواضيع المذكورة في السورة، ومن جهة أخرى، الأسماء المتوزعة داخل السورة وترابطاتها ببعضها البعض.

## هـ. قراءة في اسم الله "العليم"

قمنا بقراءة لاسم "العليم" من منطلق المنهجية التي سبق وقمنا بشرحها أعلاه والتي أشرنا فيها إلى أنواع البنى الإسمية الموجودة في كل صورة باعتبارها نظاما دلاليا محددًا، وسميناها بالبنى الساكنة التي تعطي رؤية عامة حول السورة، والبنى المتحركة التي تفصل تعلق اسم "العليم" بغيره من الأسماء. من خلال ذلك نحاول تحليل حركة اسم "العليم". في السرد القرآني، واستخراج بعض القواعد التي يعمل من خلالها.

### هـ.1. متغير "الموقع"

فيما يلي سرد لكل المواقع (متقدمة أو متأخرة) التي يحتلها اسم "العليم" في البنى الإسمية التي يتواجد فيها:

أ. من حيث الموقع: (\*)

البقرة: م 1 ثم مباشرة م 2 ويبقى فيه.

(\*) نرّمز بـ (م) للموقع الذي يأخذه اسم العليم في البنية الإسمية داخل كل سورة .

آل عمران : م 2 ثابت

النساء : م 1←1←1←1←1←1←1←1←1←2←2←1←1←1←1←2←1

المائدة : م 2←2 م ثابت.

الأنعام : م 2 ثابت

الأعراف : م 2 واحد فقط

الأنفال : م 2←2←2←2←1

التوبة : م 1←1←1←1←1←2←2←1←1←1

يونس : م 2 واحد فقط

يوسف : م 1←2←1←1←1

الحجر : م 2 ثابت

النحل : م 1 فقط (واحد)

الأنبياء : م 2 فقط (واحد)

الحج : م 1 ثابت

النور : 1م←2م←2م←1م←1م←2م

## هـ.2. متغير الرابط:

ندرسه من حيث عدد ارتباطات اسم "العليم" ودرجة ارتباطاته مع الأسماء الأخرى. أما فيما يخص عدد ارتباطات هذا الاسم فهي من حيث الإمكان العام اثنا عشر ارتباطا (12 ارتباط) أما من حيث ارتباطاته الفعلية فأكبر ارتباط له نجده في سورة النساء (5 ارتباطات). هذا الارتباط مع الأسماء التالية: حكيم، حلیم، خبير، شاکر، سمیع. أما من حيث درجة الارتباط فأكبر تكرار لاسم "العليم" هو مع اسم "الحكيم" (تكرارات دائما في سورة النساء) ويأتي بعده مع اسم "السميع" (7 تكرارات في سورة البقرة).

## هـ.3. متغير "الاسم":

لاسم "العليم" توجهات معينة في ارتباطه بالأسماء الأخرى، يغلب في بعض السور ارتباطه باسم "سميع" في مقابل سور أخرى يغلب فيها الارتباط مع اسم "حكيم" فمثلا:

سورة البقرة: ارتباط مع "سميع" 7مرات/مقابل مرة واحدة مع "حكيم"

سورة النساء: ارتباط مرة واحدة مع سميع/مقابل 8 مرّات مع "حكيم"

ثمّة حالات تشد عن ذلك أهمها سورتي "النور" و"الحجرات" أين تتوازن الارتباطات فيها بين "سميع" و"حكيم" وأسماء أخرى كذلك.

#### هـ.4. بعض قواعد السلوك السردى لاسم "العليم"

- إن اسم "العليم" قد يحدث في بعض السور أن يأخذ الموقع الأول في البنية الإسمية (أي أن يتقدّم على الاسم الذي يرتبط معه) وقد يحدث أحيانا أخرى في سور أخرى أن يأخذ الموقع الثاني في البنية الإسمية (أي أن يتأخر على الاسم الذي يرتبط معه). وهناك سور أخرى يأخذ فيها اسم "العليم" الموقعين. في هذه الحالة الأخيرة دائما يتواجد إسمي "سميع" و"حكيم" معه (الارتباطان الأساسيان).

- يرتبط اسم "العليم" مع اسم "القدير" في أربع سور من القرآن. في هذه الحالة لا يرتبط اسم "العليم" مع أي اسم آخر.

- إن اسم "الحليم" لا يرتبط مع اسم "العليم" إلا في سور يوجد فيها اسم "الحكيم" (أي من نفس جهة الارتباط)، وبمقابل ذلك لا يرتبط "واسع" و"شاكر" مع "عليم" إلا في سور يوجد فيها اسم "السميع" (أي من نفس جهة الارتباط). يبقى أن أسمى "العزیز" و"الخبير" لا يخضعان لهذه القاعدة

- دائما عندما يذكر اسم "العزیز" مع اسم "الحكيم" يكون اسم "عليم" متأخرا على اسم "الحكيم"

- لا يغيّر اسم "العليم" موقع ارتباطه مع اسم من الأسماء الأخرى في أي سورة من السور أي إذا كان ارتباطه مع "الحكيم" وتقدّم عليه في سورة من السور فلا يغيّر موقعه أبدا.

خاتمة



لقد استشار عملنا من الأسئلة الكثير، ولم يحصل من الإجابات إلا على القليل منها، وحسبنا ذلك. إنّ هذه الرحلة مع موضوع من موضوعات القرآن تنتهي بصاحبها إلى استرجاع، ليس فقط أهم محطاتها، وإنما كذلك درس التجربة واستخلاصاتها و لعل بعض ما وعيناه من ذلك ضرورة الرجوع إلى القرآن والاشتغال عليه ضمن حقل المعارف الإنسانية والاجتماعية واستخراجه من احتكار السياجات الدوغمائية المغلقة على حد قول محمد أركون. فلا مناص من أن يجد القرآن لنفسه مكانا (مميّزا ومشروطا) بين موضوعات المعارف المعاصرة يتشورّ بها ويجاورها. إن القراءات التراثية لهذا النص هي في الآن ذاته المدخل الذي لا غنى عنه للتعامل معه والحجاب الذي لا ينفك يخفي الكثير من مكوناته. لقد فكر سلفنا في هذا النص داخل وعي مرحلتهم وضمن آليات اللسان العربي الذي درجوا على استعماله فأفضى بهم ذلك إلى فهومات نجزم بفائدة الرجوع إليها ومحاورتها، ولكن تكوّنت لنا في خلال هذا العمل وبمقابل ذلك قناعة قويّة بضرورة إعادة تجربة السلف مع القرآن وليس فقط استرجاع معارفهم. إعادة تجربة داخل وعينا المعاصر وضمن آليات فهم للنص القرآني تفرّق بدأ بين اللسان العربي وبين الاستعمال القرآني المخصوص لهذا اللسان وتوظيفه ليحمل رؤية للعالم تجيب عن الكثير من أسئلة عصرنا الحاضر.

داخل هذا السياق، ومحاولة مّا تقصي تجربتنا مع القرآن عمدنا إلى العمل على موضوع محدد هو "الأسماء الحسنى". كانت ماهية هذا العمل والقصد منه تفصيل رؤيتنا العامة للقرآن واستجلائها في

أدق تفاصيل موضوع من موضوعاتها، فليس أحسن عند إرادة التأكد من رؤية أو نظرية، من مواجهتها بميدان يحاورها يرسم حدودها، وكان ذلك مبتغى عملنا في هذه الأطروحة.

لقد اجتهدنا في التعرف على ما كتبه سلفنا حول موضوع "الأسماء الحسنى" وقرئنا كل ما كان بين أيدينا من مؤلفاتهم، وحاولنا في اشتغالنا عليها المزاجية بين الاستفادة والنقد، نقدا لا ينقص من أهميتها، وإنما ابتغينا الانفتاح على مسارات بحثية جديدة كان الفصلان الأخيران من هذه الدراسة مجالاً لها. لقد عملنا في هاذان الفصلان على أمران، ظنناهما مهمّان في استجلاء دلالة "الاسم" والتعرف على تعلقاته السياقية. أولهما النظر إلى أي اسم من الأسماء بأنه واحد من بين الإمكانيات السردية الكثيرة التي تنتج عن مادة لغوية تقدّمها معاجم اللغة العربية. يتم تكوين دلالة للاسم داخل هذا الإطار باعتبار هذه المادة اللغوية حقلاً سيميائياً يحتاج إلى بناء، يأخذ فيه الاسم موقعا مركزيا ويرتبط بالإمكانيات السردية الأخرى ارتباطا دلاليا جديلا يفهم بها وتفهم به، وداخل هذه الصيرورة المعقدة تظهر الهوية السردية للاسم وتتبعها ملامحه الدلالية المستقاة من النص القرآني.

أمّا الأمر الثاني فهو تعلق للاسم، ليس بمادية اللغوية كما سبق، وإنما بالأسماء الأخرى التي ترد معه في نفس سياق السرد القرآني. لقد حاولنا في الفصل الأخير من هذه الأطروحة، استلهام شيء من الدقة والصرامة التي تقتضيها العلوم الدقيقة في مسألتهامواضيعها، لنعمل ذلك في تأملنا لارتباطات الأسماء ببعضها ومحاولة استخراج بعض القواعد المعبرة عن منطق هذه الواقعة النصية.

# قائمة المصادر والمراجع

## المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988.

- أبوزيد، نصر حامد، مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن -، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة السادسة، 2005.

- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي، كتاب الأسماء والصفات، تحقيق محمد زاهد الكوثري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- البوطي، محمد سعيد رمضان، أصول الفقه – مباحث الكتاب والسنة، جامعة دمشق، 1978.

- الجابري، محمد عابد، مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006.

- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، موفم للنشر، 1991.

- الجوارري، أحمد عبد الستار، نحو القرآن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2006.

- الجوزية، ابن قَيم، شرح أسماء الله الحسنى، جمع أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا 2006.

- الجيلي، عبد الكريم بن إبراهيم، الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، ضبط عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.

- الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد، شذا العرف في فنّ الصرف، شرح عبد الحميد هنداوي، منشورات دار الكتب العلمية، 2000.

- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق، إشتقاق أسماء الله، تحقيق عبد الحسين مبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل.
- الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، انتشارات آفتاب، تهران.
- الطاهر، حامد أحمد، الجامع لأسماء الله الحسنى - ابن قيم الجوزية - القرطبي -، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2002.
- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، دار بن الحزم، 2003.
- القرطبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.
- إيزوتسو توشييهيكو، الله والإنسان في القرآن - علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم -، ترجمة وتقديم هلال محمد جهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007.
- بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، 2003.
- حاج حمد، محمد أبو القاسم، العالمية الإسلامية الثانية - جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، INTERNATIONAL STUDIES & RESEARCH BUREAU WEST INDIES، الطبعة الثانية، 1996.
- شحرور، محمد، الكتاب والقرآن - رؤية جديدة -، دار الساقى، بيروت - لندن، 2011
- عبده، محمد، رسالة التوحيد.
- لوم، ماري - كلود، علم المصطلح - مبادئ وتقنيات -، ترجمة ربما بركة، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2012.
- يوسف، ألفة تعدد المعنى في القرآن، كلية الآداب منوبة - دار سحر للنشر، الطبعة الثالثة، تونس، 2012.
- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي 1998.

- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

### المعاجم والقواميس:

- ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، 2003.
- الأصفهاني، الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1997.
- الرّازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1990.
- الزبيدي محمد مرتض، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشافعي، حسين محمد فهمي، الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار السلام، القاهرة، 2008.
- الكفوي، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات – معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الرّسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، نويد إسلام، ثم، 1964.

**Références :**

- A. Compagnon, Le démon de la théorie – littérature et sens commun – Seuil, 1998.
- A. Einstein et L. Infeld, L'évolution des idées en physique des premiers concepts aux théories de la relativité et des quanta, petite bibliothèque Payot.
- C. Baylon, X.Mignot, Initiation à la sémantique du langage, NATHAN, 2000.
- Benzin. Elozin, Les nouveaux penseurs de l'islam, Albin Michel, 2004.
- C. Hagège, L'homme de paroles-contribution linguistique aux sciences humaines, Fayard, 1985.
- C.Pastorini, Ludwig Wittgenstein – une introduction, Pocket, 2011.
- D. Gimaret, Les noms divins en islam, Cerf, Paris, 1988.
- G. Deleuze, La logique du sens, Gallimard, 1972.
- J. Bercque, post-face de la traduction du coran.
- J. Hamel, Précis d'épistémologie de la sociologie, Montréal – Paris, L'Harmaton, 1997.
- J. Kristeva, Sémiôtiké. Recherches pour une sémanalyse, Paris, Seuil, 1969.
- Le CORAN, Traduit de l'arabe par Kasimirski, chronologie et préface par M. Arkoun, Garnier – Flammarion, Paris, 1970.
- L.Wittgstein, Tractatus Logico-philosophicus, Traduction G.G. Granger, Gallimard, 1992.
- M. Foucault, Les problèmes de la culture, Un débat Foucault-Prete :II bimestre N°22-23 Septembre – Décembre in Vocabulaire des philosophes, Ellipse, 2002.
- M. Galmich, Sémantique générative, Librairie Larousse, Paris, 1975.
- P. Bourdieu, J.C. Chambordon, J.C. Passeron, Le métier de sociologue, Mouton, 1968.

- P. Ricoeur, Textes choisis, présentés par M. foessel et F. Lamouche, Points-Essais, 2007.
- R. Barthes, Eléments de sémiologie, Seuil, Paris, 1985.
- N.Delbek, Linguistique cognitive, Deb boeck, 2<sup>ème</sup> Ed, 2006.
- 

**Dictionnaire :**

- A. Mucchielli (Sous la direction d'), Dictionnaire des méthodes qualitatives en sciences humaines, 2<sup>ème</sup> édition Armand Colin, 2004.
- Encyclopedia Universalis, 2011. (DVD).
- H-J. Glock, Dictionnaire Wittgenstein, Traduit de l'anglais par H. d. Lara et P. d. Lara, Gallimard, 2003.
- J. Dubois, M. Giacomo, L. Guespin, C.Marcellesi, J.B. Marcellesi, J.P. Mével, Dictionnaire de linguistique, LIBRAIRIE LAROUSSE, 1973.
- J. Greimas, J. Courtès, Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Hachette, Paris, 1979.
- Encyclopédie de la philosophie, La pochothèque, Librairie Générale Française, 2002.
- Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, PUF, Paris, 1993. Traduit par Benmalek Rachid.

**Articles :**

- B. Russell, Les noms propres, In signification et vérité- tra. P. Devaux. Flammarion, 2001.
- C. Bremond, L'analyse conceptuelle du coran. In : Communication, 7, 1966. Pp, 127-138.
- F. Jacques, Qu'est-ce qu'un Texte relogieux ?, Raison politique, n°4, novembre 2001, P 40-56.
- J.C. Passeron, L'espace mental de l'enquête (II), Revue Enquête, N°3, 1996.



- M. Allard, M. Elzière, J.C. Gardin, F. Hours, Analyse conceptuelle du coran sur cartes perforées, Paris, La harge, Mouton, 1963, Tome 1, Code, 110p. Tome 2 Commentaire, 187p.
- P. Charaudean, Dis-moi quel est ton corpus, je te dirais qu'elle est ta problématique, Revue Corpus, n°8, Nice, 2009.
- Jean-Louis Vaxelaire, Etymologie, Signification et Sens des Noms Propres, Texto ! Juillet 2010, Vol. XV, N°3.
- Georges-Elia Sarfati, Le Statut lexicographique du nom propre : remarques méthodologiques et linguistiques, In : Mots, juillet 2000, N°63. PP. 105-124.

**Internet :**

- B. Schwischay, Syntaxe du français, [http :www.home.uni-asnabrneck.de/bschwiscl/archives/htm](http://www.home.uni-asnabrneck.de/bschwiscl/archives/htm)
- Ju. D. Apresjan, Analyse distributionnelle des significations et champ sémantique structurés.
- [www.persee.fr/web/revue/home/prescript/article/lgge\\_04586726X\\_19661;](http://www.persee.fr/web/revue/home/prescript/article/lgge_04586726X_19661)

# الملاحق

الملحق رقم 01: إحصاء لكل صيغ مادة [علم] المستعملة في القرآن الكريم

الملحق رقم 02: ذكر بعض أسماء الله الحسنى والارتباطات الخاصة بها

الملحق رقم 03: ذكر تفصيلي لارتباطات اسم الله العليم في كل سورة القرآن

الملحق الأول: إحصاء لكل صيغ مادة [علم] المستعملة في القرآن الكريم

الاستعمالات الخاصة بالإنسان	الاستعمالات الخاصة بالذات الإلهية	مجموع استعمالاتها	الصيغة
4	08	12	عَلِمَ
04	00	4	عَلِمْتَ
03	00	3	عَلِمْتِ
05	00	5	عَلِمْتُمْ
01	00	1	عَلِمْتُمُوهُنَّ
0	1	1	عَلِمْتَهُ
02	03	5	عَلِمْنَا
01	00	1	عَلِمَهُ
02	00	2	عَلِمُوا
08	03	11	أَعْلَمُ
10	02	12	تَعْلَمُ
02	00	2	لَتَعْلَمَنَّ
01	00	1	تَعْلَمُهَا
01	00	1	تَعْلَمُهُمْ
09	00	9	تَعْلَمُوا
56	00	56	تَعْلَمُونَ
03	00	3	فَسَتَعْلَمُونَ
01	00	1	تَعْلَمُونَهُمْ
01	00	1	تَعْلَمُوهُمْ
02	10	12	نَعْلَمُ
00	01	1	نَعْلَمُهُمْ

09	81	90	يَعْلَمُ
02	00	2	سَيَعْلَمُ
00	02	2	لَيَعْلَمَنَّ
01	03	4	يَعْلَمُهُ
00	02	2	يَعْلَمُهَا
01	02	3	يَعْلَمُهُمْ
07	00	7	يَعْلَمُوا
84	00	84	يَعْلَمُونَ
04	00	4	سَيَعْلَمُونَ
04	00	4	اعْلَمُ
27	00	27	اعْلَمُوا
01	00	1	لِيَعْلَمَ
00	03	3	عَلَّمَ
00	01	1	عَلَّمْتُكَ
00	01	1	عَلَّمْتُكُمْ
00	01	1	عَلَّمْتَنَا
00	01	1	عَلَّمْتَنِي
00	01	1	عَلَّمَكَ
02	02	4	عَلَّمَكُمْ
00	04	4	عَلَّمْنَاهُ
00	01	1	عَلَّمَنِي
00	04	4	عَلَّمَهُ
01	00	1	تُعَلِّمَنِ
02	00	2	تُعَلِّمُونَ

01	00	1	تُعَلِّمُونَهُنَّ
00	01	1	لِتُعَلِّمَهُ
01	00	1	يُعَلِّمَانِ
00	01	1	يُعَلِّمُكَ
02	01	3	يُعَلِّمُكُمْ
01	01	2	يُعَلِّمُهُ
03	00	3	يُعَلِّمُهُمْ
01	00	1	يُعَلِّمُونَ
01	00	1	عَلِّمْتَ
01	00	1	عَلِّمْتُمْ
01	00	1	عَلِّمْنَا
02	00	2	يَتَعَلَّمُونَ
00	13	13	عَالِمٌ
01	00	1	العَالِمُونَ
02	02	4	عَالِمِينَ
02	00	2	عُلَمَاءُ
11	00	11	مَعْلُومٌ
02	00	2	مَعْلُومَاتٌ
01	00	1	مُعَلِّمٌ
		45	أَعْلَمُ
09	130	139	عَلِيمٌ
00	22	22	عَلِيمًا
00	04	4	عَلَامٌ
70	10	80	العِلْمُ

08	06	14	عِلْمًا
00	05	5	عِلْمِهِ
00	04	4	عِلْمُهَا
01	00	1	عِلْمُهُمْ
01	00	1	عِلْمِي
02	00	2	الْأَعْلَامَ
72	00	72	الْعَالَمِينَ
01	00	1	عَلَامَاتٍ

الملحق الثاني: ذكر بعض أسماء الله الحسنى والارتباطات الخاصة بها

العليم :

العليم	<u>07</u>	واسع
العليم	<u>28</u>	الحكيم
العليم	<u>32</u>	السميع
العليم	<u>02</u>	شاکر
العليم	<u>06</u>	العزیز
العليم	<u>01</u>	الفتاح
العليم	<u>01</u>	الخالق
العليم	<u>01</u>	حفيظ
العليم	<u>05</u>	الحكيم

الحكيم:

العليم	<u>28</u>	العليم
العليم	<u>04</u>	الخبير
العليم	<u>47</u>	عزیز
العليم	<u>01</u>	تواب
العليم	<u>02</u>	عليّ
العليم	<u>01</u>	واسعا

الحميد:

مجدد	<u>02</u>	حميد	<u>10</u>	غنيّ
			<u>03</u>	العزیز
			<u>01</u>	حكيم
			<u>01</u>	الوليّ

الغفور:

رحيم	<u>71</u>	غفور	<u>04</u>	عفوّ
ذو الرّحمة	<u>01</u>		<u>01</u>	رحيم
حليم	<u>04</u>		<u>02</u>	عزیز
شكور	<u>03</u>		<u>02</u>	حليم
الودود	<u>01</u>			

السميع:

العليم	<u>32</u>	السميع
البصير	<u>10</u>	
القريب	<u>01</u>	

البصير:

بصير	<u>05</u>	خبير
	<u>10</u>	سميع



الواحد :

الواحد 06 القهّار

الرزّاق:

السميع 01 ذو القوّة المتين

العزیز:

القوي 07 العزیز 47 الحكيم

04 ذو انتقام

06 عليم

03 الحميد

13 الرحيم

01 الوهّاب

03 الغفّار

02 الغفور

01 مقتدر

01 الكريم

الرحيم:

ودود	<u>01</u>	العزیز	<u>09</u>	التواب
			<u>09</u>	رؤوف
			<u>71</u>	غفور
			<u>13</u>	العزیز
			<u>01</u>	البرّ
			<u>05</u>	الرحمن

الرحمان:

الرحيم	<u>05</u>	الرحمان
		الرحمن 52 (أغلبها سورة مريم)

الخبير:

بصير	<u>05</u>	الخبير	<u>04</u>	الحكيم
			<u>05</u>	اللّطيف
			<u>04</u>	عليم

الحليم:

غفور	<u>02</u>	الحليم	<u>04</u>	غفور
رشيد	<u>01</u>		<u>01</u>	غني
			<u>03</u>	عليم
			<u>01</u>	شكور

العظيم:

العظيم 05 العليّ

شكور:

شكور 05 غفور  
حليم 01

اللطيف:

اللطيف 05 الخبير

الواحد:

الواحد 06 القهار

القدير:

عليم 05 قدير

عفو 01

على كلّ شيء قدير 38

والله قدير والله غفور رحيم 01

عزیز 01 مقتدر

مليك 01

وكان الله على كلّ شيء مقتدرا 01

التّوَاب:

التّوَاب 09 الرحيم

01 الحكيم

التّوَاب 02

العَفْو:

عَفْو 04 غفور

01 قدير

الرؤُوف:

رؤُوف 09 رحيم

رؤُوف بالعباد 02

العَلِيّ:

العَلِيّ 02 العظيم

05 الكبير

02 الحكيم

الكَبِير:

العَلِيّ 05 الكبير 01 المتعال

الكَرِيم:

غَنِيّ 01 كريم

ذو الجلال والإكرام 01

الودود:

رحيم 01 ودود

الغفور 01

الواسع:

واسع 07 عليم

حكيم 01

القوي:

قوي 02 شديد العقاب

عزيز 07

الغني:

غني 01 حلِيم

حميد 10

كريم 01

غني عن العالمين 02

الغني ذو الرحمة 01

وهو الغني 03

مالك الملك: 01

ذو الجلال والإكرام: 02

الجامع: 02

نور السماوات والأرض: 01

الرشيد

الرشيد 01 الحليم

الهادي: هاديا ونصيرا

إن الله لهاد الذين آمنوا.

الملحق الثالث: ذكر تفصيلي لإرتباطات إسم الله العليم في كل سورة

البقرة:

حكيم	<u>01</u>	عليم	<u>04</u>	واسع
			<u>01</u>	شاکر
			<u>07</u>	سمیع

✓ العليم - الحكيم

✓ واسع - عليم

✓ السميع - العليم

✓ السميع - العليم

✓ شاکر - عليم

✓ سميع - عليم

✓ فإن الله به عليم

✓ سميع - عليم

✓ سميع - عليم

✓ بكل شيء عليم

✓ سميع - عليم

✓ واسع - عليم

✓ سميع - عليم

✓ واسع - عليم

✓ واسع - عليم

✓ به عليم

✓ بكل شيء عليم

آل عمران:

عَلِيم	<u>01</u>	واسع
	<u>03</u>	السميع
		✓ سمیع - عَلِيم
		✓ السميع - العليم
		✓ واسع - عَلِيم
		✓ به عَلِيم
		✓ سمیع - عَلِيم

النساء:

حَلِيم	<u>01</u>	عَلِيم	<u>01</u>	شاكرا
حَكِيم	<u>08</u>		<u>01</u>	سميعة
خَبِيرَا	<u>01</u>			
				✓ عَلِيمَا - حَكِيمَا
				✓ عَلِيم - حَلِيم
				✓ عَلِيمَا - حَكِيمَا
				✓ عَلِيمَا - حَكِيمَا
				✓ عَلِيم - حَكِيم
				✓ بِكَل شَيْء عَلِيمَا
				✓ عَلِيمَا - خَبِيرَا
				✓ بِهِم عَلِيمَا
				✓ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمَا
				✓ عَلِيمَا - حَكِيمَا



## الملاحق

- ✓ عليما - حكيما
- ✓ عليما - حكيما
- ✓ عليما
- ✓ شاكرا - عليما
- ✓ سميعا - عليما
- ✓ والله بكل شيء عليما

### المائدة:

- |       |           |                    |
|-------|-----------|--------------------|
| عليما | <u>01</u> | سميع               |
|       | <u>01</u> | واسع               |
|       |           | ✓ واسع - عليما     |
|       |           | ✓ السميع - العلِيم |
|       |           | ✓ بكل شيء عليما    |

### الأنعام:

- |       |           |                    |
|-------|-----------|--------------------|
| عليما | <u>03</u> | حكيم               |
|       | <u>02</u> | سميع               |
|       | <u>01</u> | عزيز               |
|       |           | ✓ السميع - العلِيم |
|       |           | ✓ حكيم - عليما     |
|       |           | ✓ العزيز - العلِيم |
|       |           | ✓ بكل شيء عليما    |
|       |           | ✓ السميع - العلِيم |

## الملاحق

✓ حكيم - عليم

✓ حكيم - عليم

### الأعراف:

01            عليم  
سميع  
✓ سميع - عليم

### الأنفال:

04            عليم  
01            حكيم  
سميع  
✓ سميع - عليم  
✓ لسميع - عليم  
✓ سميع - عليم  
✓ السميع - العليم  
✓ عليم - حكيم  
✓ إن الله بكل شيء عليم

### التوبة:

02            عليم  
06            حكيم  
سميع  
✓ عليم - حكيم  
✓ عليم - حكيم  
✓ عليم - حكيم  
✓ عليم - حكيم  
✓ سميع - عليم  
✓ سميع - عليم

## الملاحق

- ✓ عليم - حكيم
- ✓ عليم - حكيم
- ✓ إن الله بكل شيء عليم

### يونس:

- 01            سميع  
عليم
- ✓ السميع - العليم

### يوسف:

- 01            سميع  
عليم
- 04            حكيم
- ✓ عليم - حكيم
  - ✓ السميع - العليم
  - ✓ العليم - الحكيم
  - ✓ العليم - الحكيم
  - ✓ العليم - الحكيم

### الحجر:

- 01            حكيم  
عليم
- 01            خلاق
- ✓ حكيم - عليم
  - ✓ الخلاق - العليم

النحل:

علم 01 قدير  
✓ علم - قدير

الأنبياء:

سميع 01 علم  
✓ السميع - العليم

الحج:

علم 01 حكيم  
علم 01 حلِيم  
✓ علم - حكيم  
✓ لعليم - حلِيم

النور:

سميع 02 علم 01 حكيم  
واسع 01  
✓ سميع - علم  
✓ واسع - علم  
✓ بكل شيء علم  
✓ علم - حكيم  
✓ علم - حكيم  
✓ سميع - علم  
✓ والله بكل شيء علم

الشعراء:

سميع  
✓ السميع – العليم  
علم 01

النمل:

حكيم  
علم 01  
عزیز  
✓ حكيم – علم  
✓ العزيز – العليم

العنكبوت:

سميع  
علم 02  
✓ السميع – العليم  
✓ السميع – العليم  
✓ بكل شيء علم

الروم:

العلم  
✓ العلم – القدير  
القدير 01

لقمان:

علم  
✓ علم – خبير  
خبير 01

الأحزاب:

حكيم 01 عليم

حليم 01

✓ عليما - حكيم

✓ بكل شيء عليما

✓ بكل شيء عليما

✓ عليما - حليم

✓ بكل شيء عليما

سبأ:

العليم 01 الفتح

✓ الفتح - العليم

فاطر:

قدير 01 عليم

✓ عليما - قديرا

يس:

عليم 01 العزيز

01 الخلاق

✓ العزيز - العليم

✓ بكل خلق عليم

✓ الخلاق - العليم

غافر:

العزيم 01 العزيز  
✓ العزيز - العليم

فصلت:

العزيم 01 العزيز  
01 السميع  
✓ العزيز - العليم  
✓ السميع - العليم

الشورى:

قدير 01 عليم  
✓ بكل شيء عليم  
✓ عليم - قدير

الزخرف:

العليم 01 العزيز  
01 الحكيم  
✓ العزيز - العليم  
✓ الحكيم - العليم

الدخان:

سميع 01 علم  
✓ السميع - العليم

الفتح:

علم 01 حكيم  
✓ عليما - حكيم  
✓ بكل شيء عليما

الحجرات:

سميع 01 علم 01 حكيم  
خبير 01  
✓ سميع - علم  
✓ علم - حكيم  
✓ علم - خبير  
✓ بكل شيء علم

الذاريات:

حكيم 01 علم  
✓ الحكيم - العليم

الحديد:

✓ بكل شيء علم



المجادلة:

✓ بكل شيء عليم

المتحنة:

علم  
01  
حكيم  
✓ عليم - حكيم

التغابن:

✓ بكل شيء عليم

التحريم:

علم  
01  
حكيم  
01  
خبير  
✓ العليم - الحكيم  
✓ العليم - الخبير

الإنسان:

علم  
01  
خبير  
✓ عليما - حكيم

# الفهرس التفصلي

## فهرس تفصلي

01	.....مقدمة عامة
11	.....الباب الأول
13	.....الفصل الأول: إشكالات حول طبيعة النص
13	.....1. المنطلقات العقائدية
16	.....2. إشكالية تسمية النص
20	.....أ. المحور الأول: عود على الدلالات الأصلية
22	.....ب. المحور الثاني: واقعة البنية بين الكتاب والقرآن
23	.....ج. المحور الثالث: الوظائف الدلالية للنص وأوصافه
24	.....3. القرآن والنص الأدبي
25	.....أ. مدار أسئلة النص الأدبي
31	.....ب. المحاكاة بين القرآن والأدب
32	.....ج. الأسلوب بين القرآن والأدب
34	.....الفصل الثاني: القرآن كمقابل للعالم : وجهة نظر مختلفة
38	.....1. فيدغنشتاين والقول بارتباك اللغة في تعبيرها عن العالم
40	.....2. القرآن نص مختلف
45	.....3. القرآن كاستثناء الثنائية نص/عالم
47	.....4. القرآن ووعي العالم
51	.....الفصل الثالث: القرآن والمعرفة المعاصرة: ثنائية معقدة وعلاقة مزدوجة
51	.....1. مبدئين مؤسسين للعلاقة بين القرآن والمعرفة الغربية
53	.....2. القرآن والوقائع المعرفية الأساسية
54	.....أ. الإبستيمي

56	.....ب. النظرية
59	.....ج. القرآن والتقنية: تجسيد للوعي المعاصر
66	.....خلاصة الباب الأول
68	.....الباب الثاني
70	.....الفصل الأول: قراءة نقدية في آليات التفكير في موضوع الأسماء
71	.....1. وصف حقل دراسة موضوع أسماء الله الحسنى
73	.....2. قراءة نقدية للنصوص التراثية حول موضوع الأسماء
75	.....3. وصف بنية النصوص التراثية
77	.....أ. القسم الأول: الإشكالات العامة حول موضوع الأسماء
77	.....أ.1. الإشكال الأول: "الاسم" وما تعلق به
79	.....أ.2. الإشكال الثاني: تحديد الأسماء والتعرف عليها
83	.....أ.3. الإشكال الثالث: الاسم والمسمى والتسمية
84	.....أ.4. الإشكال الرابع: إشكال التصنيف
85	.....أ.4-1. التصنيف الدلالي للأسماء
88	.....أ.4-2. التصنيف الصوري للأسماء
92	.....ب. القسم الثاني: تعريفات الأسماء
97	.....ب.1. إشكالات حقل الأسماء وتعريفاتها
98	.....ب.2. القرآن وإنتاج دلالة الأسماء
101	.....ب.3. آلية إنتاج دلالة الاسم
106	.....الفصل الثاني: اسم "العلم" بين التحديدات المعجمية والاستعمالات القرآنية
108	.....1. الكلمة: وحدة دلالية معقدة
109	.....أ. إشكال التعريف
111	.....ب. إشكال تعدد الدلالية

115	.....	2. دراسة العلاقات بين الكلمات
117	.....	أ. تشكل الحقل السيميائي
117	.....	ب. وصف الحقل السيميائي
119	.....	3. الدلالة وبنية الجملة
120	.....	4. مادة [علم] محاولات التعريف
123	.....	أ. تعليقات على تعريف لسان العرب
125	.....	ب. الصيغ الصرفية المستعملة بين اللسان العرب والقرآن
128	.....	ج. قراءة إحصائية في الاستعمالات القرآنية
131	.....	5. النمذجة المفهومية
134	.....	أ. منطوق استعمال الصيغ الخاصة بالذات الإلهية
146	.....	ب. منطوق الصيغ المستعملة للتعبير عن موضوع النموذج المفهومي
148	.....	ج. النفي كآلية من آليات التعريف بالذات الإلهية
149	.....	6. النموذج الصوري - الدلالي للعلاقة بين الصيغ ومواضيعها
150	.....	أ. مخطط العلاقات الاشتقاقية
152	.....	ب. المواضيع: قراءة دلالية
153	.....	ج. تفصيل النموذج الصوري - الدلالي
159	.....	الفصل الثالث: العلاقات بين الأسماء: البنية ومتغيراتها
160	.....	1. الأساس العلائقي في تصنيف الأسماء
160	.....	2. منهجية عملنا في وصف البنية الزوجية
163	.....	3. أزواج الأسماء: البنية وعناصرها
163	.....	أ. تعريف البنية
164	.....	ب. البنية الإسمية

165	ج. قراءة في المتغيرات.....
165	ج.1. متغير الموقع.....
168	ج.2. متغير الرّابط.....
168	ج.3. متغير الاسم.....
169	ج.4. العلاقات بين المتغيرات.....
171	د. اشكال العلاقة بين الهوية الإسمية والبنى الإسمية في القرآن.....
172	د.1. منهجية عملنا في فهم تعلقات البنى الإسمية ببعضها البعض.....
173	د.2. السورة: ملامح القراءة الإسمية.....
174	هـ. قراءة في اسم الله "العليم".....
174	هـ.1. متغير "الموقع".....
176	هـ.2. متغير "الرابط".....
176	هـ.3. متغير "الاسم".....
177	هـ.4. بعض قواعد السلوك السردى لاسم "العليم".....
178	خاتمة.....
180	قائمة المصادر والمراجع.....
186	الملاحق.....

الملخص:

تهدف دراستنا للكشف عن بعض ملامح منطق السرد القرآني لموضوع "أسماء الله الحسنى"، والتفكير في تجلياته الدلالية. لأجل تحقيق ذلك اخترنا الاشتغال على اسم الله "العليم" الذي حاولنا تتبعه بطريقة مفصلة من خلال النظر إليه من جهة كعنصر مركزي داخل حقل سيميائي يتعلّق به بطريقة مركبة، ومن جهة أخرى كأحد متغيرات بنية إسمية زوجية. لقد ارتكنا في ذلك برؤية نظرية ومنهجية، تعتمد في كثير منها على مبحث الدالية في المقاربة السيميائية. أفضت دراستنا إلى التأكيد على أن "الأسماء الحسنى" تعريفات سياقية بالذات الإلهية يمكن النظر إليها كهويات نصية تنتظم ضمن حقول دلالية قصدنا إلى تبين بعض قواعد عملها. الكلمات المفتاحية: الأسماء الله الحسنى- العليم- الدالية- السرد القرآني- الهوية النصية

Le Résumé:

L'objectif de la présente étude est de comprendre quelques traits de la logique narrative coranique régissant notre objet d'étude « les noms divins » ainsi que le dévoilement de ses manifestations sémantiques. Pour cela, nous avons choisis de travailler sur un des noms de dieux l' « omniscient » en le considérant, à la fois, comme composante centrale d'un champ sémantique, ainsi que comme variable d'une structure binaire des noms divins. Le cadre théorique et méthodologique, pour lui, est constitué, en major partie de la « sémasiologie » comme un domaine de la sémantique. Notre étude insiste, enfin, sur le trait définitoire des noms divins dans les différents contextes narratifs du Coran, elle est ce qu'on peut appeler des « identités narratives » que ce travail se propose de comprendre. Mots clés : Les noms divins- Omniscient- Sémasiologie- narration coranique- identité textuelle.

Abstract :

Our research is dealing with some aspects of the logical narrative of Coran, our work was based on the study of “The Divins names” and also the output of the semantic manifestation.

In order to realize these we have chosen to work about one of the names of god “The omniscient” considering it at the same time as a crucial composant of the semantic field, and also as an unsettled (variable) of a binary structure of Divins names.

The theoretical and methodological frame for it is constituted in the major part of “semasiology” as a field of semantic, our study put the emphasis, however on the different narrative contexts of the Coran, it is what is called “narrative identities” which we are going in these research try to understand.

Key words: Divins names– omniscient– semasiology– Coranic narration– textual identity.